وزارة الـتعلـيم الـعالـي والـبحـث الـعلـمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

بوادر استيطان البدو التوارق (إموهاغ) في الوسط الحضري

دراسة سوسيو ثقافية لمدينة تاظروك

مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص

علم الاجتماع الثقافي

من إعداد:

زندري عبد النبي

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد الغني مغربي

2005/2006

الفصل الأول

المقــ ــاربة المنهجــ ــية

01) أسباب اختبار الموضوع :

لايختلف إثنان في كون أي عمل هادف إلا وله دوافع و ان لكل باحث أسباب تدفع به للقيام بالبحث ، سواء كانت هذه الدوافع ذاتية تكون محفزة لإرادة الباحث حتى يتمكن من القيام بذلك البحث.

وكذالك الموضوعية التى تتروي على وجه الخصوص في الدوافع العملية ،التي تدفع بالبحث الى القيام بدراسات ،و بحثا عن الحقائق الموضوعية التي أوجدت الظاهرة التي هي في محل الدراسة.

-الدوافع الذاتية :

الدوافع الذاتية التي تدفعنا لاختيار هذا الموضوع يمكننا حصرها في النقاط التالية:

-كون الباحث من المنطقة موضع البحث و من نفس المجتمع.

-الإحساس بالتحولات السريعة التي يمر بها المجتمع التارقي .

-الرغبة في معرفة أهم التحولات التي يعرفها النظام التقليدي للتوارق في الوسط الحضري .

_الدوافع الموضوعية:

ان الدوافع الموضوعية لاختيار هذا الموضوع يمكن التطرق إليها في النقاط التالية :

-ان المجتمعات في العالم في حالة ديناميكية سريعة ،لذا على العلوم الاجتماعية منها علم الاجتماع ،دراسة و تتبع حركة تاريخ المجتمعات ،حتى تكون لدينا نظرة مستقبلية للواقع.

-ان انتقال المجتمعات البدوية التقليدية الى حياة الاستقرار و التمدن ،ينتج عنه تحولات في نظامها الاجتماعي ،لذا كان لزاما علينا معرفة أهم التغيرات الحاصلة فيها .

-ان معرفة أهم التحولات الحاصلة في النظام التقليدي للمجتمعات البدوية في الحياة المدنية ،يعطي لنا نظرة إستشرافية مستقبلية تساعد السلطات على وضع سياسة التعامل مع طبيعة حياتهم الجديدة ،و التقليل من مخلفاتها .

- نقص و انعدام الدراسات العلمية الدقيقة الحديثة ؛ حول مجتمع التوارق،مع أجود دراسات قام بها الأوروبيين الذين أعطوا تفسيرات خرافية أسطورية لأهم الظواهر الاجتماعية ، دافعنا للقيام

بدراسات علمية ميدانية دقيقة ،تساهم في تصحيح التفسيرات الخرافية القائمة على هذه ا لتمعات .

و يضم الوطن العربي جماعات بشرية تسكن الصحاري و السهول و الهضاب و الجبال و الواحات وهي نحيا بين التنقل و الاستقرار في هذه المناطق بطريقة رشيدة تدف الى استمرار البقاء من خلال الاستخدام الأمثل لبيئة فقيرة تبعثرت فيها الموارد في مساحات شاسعة فبعض الجماعات الصحراوية تعيش حياة استقرار دائم ،و بعضها الأخر يتسلق المرتفعات في فترة معينة و يهبط من عليها في فترة أخرى و البعض الأخر يجوب الصحراء شتاءا و يختفي في ظل الواحات صيفا.

هذه الجماعات لها تنظيمها الاجتماعي و ثقافتها التي تشترك في بعض عناصرها مع جماعات أخرى تظل تحتفظ بالبعض الآخر من العناصر الثقافية التي تميزها عن غيرها تماما مثل أي جماعة بشرية أخرى.

02_أهمية الدراسة أهدافها:

أ _ أهمية الدراسة:

تعرف مجتمعات العالم الثالث (ا لتمعات المتخلفة)عدة ظواهر ،و آفات اجتماعية في حياتم المدنية ،التي نجمت عنها الفوضى المنتشرة ،المتمثلة في عدم احترام القوانين المدنية ،نذكر منها حوادث المرور ،انتشار الإدمان على المخدرات ،انتشار البناءات السكنية الفوضوية (القصديرية)،التفكك الأسري ،التشرد،الفقر،التسول،الغزو الثقافي.....ألخ.

هذه الظواهر منتشرة في ا لتمعات النامية،(ابدي تحفظ لهذا المصطلح ومن الأحسن ان نقول ا لتمعات المتخلفة،حتى نتمكن من الوقوف على حقائق تخلفها).

و يمكن تفسيرها بسبب عدم فهمهم، ووعيهم بالحياة المدنية، التي أخذوها عنوة و تقليدا لغيرهم.وإيمانا منهم بأنا الأصلح و الأنسب لهم ،دون الأخذ بعين الاعتبار لمقوماتم الاجتماعية ،ومن هنا يترتب على صاحب الفكر إيجاد الحلول لهذه الظواهر الاجتماعية المنتشرة في ا لتمع ،و ذالك بالاعتماد على الدراسات التي يقوم الباحثين با الاجتماعيين .

و نظرا لنقص الدراسات التي تناولت موضوع التحولات الاجتماعية في الأوساط الحضرية،و التي تتناول دراسة مراحل الانتقال الذي تمر با ا لتمعات البدوية ،حتى استقرارها في الأوساط المدنية ،فان من الواجب التعرف على النقاط و التي نذكر منها :

_ الدوافع التي أدت الى الاستقرار .
_ هل فكرة الاستقرار مضبطة بمعايير اجتماعية منظمة لها .
_ ما هي أهم العراقيل التي يواجهها البدو المستقرون في المدن.
_ هل الاستقرار في الوسط المدني يفقد التوارق عاداتم و تقاليدهم.

كل هذه النقاط وأخرى مهمة من اجل معرفة أو الوصول الى حقائق و أبعاد التحول الاجتماعي لبدو التوارق.

ب _أهداف الدراسة:

ما من باحث يقوم ببحث الا و له من وراء ذالك هدفا أو أهدافا ،قد تكون ذاتية ،تبني على إشباع فضول الباحث ،وقد تكون موضوعية من اجل الوصول الى حقائق علمية ينتفع با،و تصبح كمرجع يعتمد عليه لفهم الظواهر الاجتماعية ،فمن خلال اختيارنا لتناول هذا الموضوع(التحولات الاجتماعية الطارئة على البدو التوارق بعد الاستقرار في الوسط الحضري،في إطار الدولة الجزائرية الحديثة)،سطرنا عدة أهداف نتوخا الوصول إليها نذكر منها ؛

-إيجاد تفسير لأهم المظاهر الفوضوية السائدة في ا لتمع.
-الوصول الى حقائق التمدن عند التوارق.
-معرفة خلفية عدم القدرة على التساير الفعلي مع خطط التنمية التي وضعتها الدولة الجزائرية.

03)-الإشـ ـ ـ ـ ـكالية:

لقد عرفت المجتمعات التقليدية القاطنة شمال إفريقيا ،عدة تحولات اجتماعية عبر عدة حقبات تاريخية ، هذه التغيرات التي أحدثتها مجموعة من العوامل، منها تاريخية وأخرى مناخية، و كذا ثقافية ، و كذا احتكاكهم بمختلف الشعوب ، منها وندال و بيزنطيين ، و يونانيين …… الخ . و الفتح الإسلامي، أصولا إلى نظام الدولة الحديث، الذي أوجده الاستعمار، فبعد استقلال هذه المجتمعات الإفريقية ظهرت دول جديدة وحديثة النشأة تميزت ببناء عصري و ظهور مدن حضارية ساهمت في إحداث تحولات (اجتماعية و سياسية وثقافية .... الخ) جذرية وسريعة على العديد منها، خاصة المجتمعات البدوية بعد استوطناها في الأوساط المدنية.

فالتوارق (إموهاغ)[1] هم احد هذه المجتمعات، التي عرفت هذه التحولات على مستوى أنظمتها الاجتماعية التقليدية ،منها نشاطها الاقتصادي ،وحياتا الاجتماعية و إنتاجها الثقافي ، هذه راجع إلى عدة عوامل استعمارية واجتماعية و ثقافية و ايكولوجية .... الخ.و التي كان تأثيرها عميقا على مستوى النظام الأم للمجتمع فقد عرف المجتمع التارقي (إموهاغ) -الحصر منهم و البدو- عدة تحولات عبر العصور، ففي الجانب الاقتصادي عرف عدة نشاطات، نذكر منها الإغارة و السلب، والرعي و التجارة بالمقايضة ،وكذا الزراعة. هذه النشاطات الاقتصادية أدت إلى ظهور تباين في المجتمع إموهاغ ،منهم حضر الذي يمارسون الزراعة كنشاط أساسي داعي إلى ضرورة الاستقرار، بالإضافة إلى عدة نشطة اقتصادية أخرى منها (التجارة و الصناعات الحرفية ... الخ). و البعض الآخر منهم، بدو رحل الذين يمارسون الرعي كنشاط اقتصادي، بإضافة نشطة أخرى يمارسها البدو، مثل مقايضة منتجات الحيوانية،مثل الحليب و مشتقاته و الجلود... الخ.بمواد أخرى زراعية و ألبسة في الأمصار (المدن) . هذا من جهة ومن جهة أخرى، عرف هذا المجتمع عدة تحولات اجتماعية ثقافية ناتجة عن احتكاكه بعدة مجتمعات، نذكر منها المجتمع العربي، لما له من تأثير واسع في إموهاغ، هذا باعتناق هذا الأخير للإسلام، هذا الاعتناق احدث تغيرات جذرية في النظام الاجتماعي لإموهاغ .

[1] اموهاغ /هو الاسم الذي أطلقه التوارق على أنفسهم أي بلغتهم (تماهق) .إذن أماهغ هو التارقي وتماهق هي التارقية و إموهاغ جمع توارق ، فإبان استجوابهم نجدهم يدعون أنفسهم باموهاغ . إذن فمن الآن فصاعد نضع كلمة اموهاغ بدلا من التوارق ذلك من اجل تقديم العرفان لهم ومن اجل وضع القارئ في الصورة الحقيقية لاسمهم.

ففي مطلع القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عرفت مناطق تواجد إموهاغ (الصحراء الكبرى) حملات استعمارية أوربية أدت في النهاية إلى كسر شوكة العصبيات المسيطرة في هذا المجتمع، حيث جعلت منها أنظمة تابعة إلى هيكلاها الاستعماري وراضخة إلى قراراتا ،و كانت نتيجة ذلك ظهور عدة تحولات على صعيد الأنظمة الاجتماعية التقليدية، نذكر منها على سبيل الحصر للدراسة، سياسة إخضاع بدو إموهاغ لمشروع الاستيطان ،وضرب الحصار على جميع تحركاتم، وفرض قوانين على أنشطتهم .

هذه السياسة (الاستيطان) استمرت بعد الاستقلال ،برسم حدود الدولة الجزائرية ، حيث وضعت هده الأخير عدة مخططات وسياسات تنموية من اجل استبطان لبدو في المناطق الحضرية ،لأجل ذلك قدمت الدولة الجزائرية عدة تسهيلات و تشجيعات لبلوغ هذه الغاية.

لكن السؤل المطروح في الإطار الجوهري هو:-هل هذه المخططات التنموية ناجحة في عملية استيطان البدو اموهاغ في المناطق الحضرية؟وهل هذا الأستطان اثر سلبا أو ايجابيا على نمط حياة البدو؟ وماهي الصعوبات التي واجهة هذه السياسة؟.ومن منظور آخر هل هذه السياسة أخذت بعين الاعتبار طبيعة النمط الاجتماعي لهذا المجتمع؟.

حيث أن المجتمعات البدوية عموما تتميز ببساطتها، وكما ذهب (د-هاجن E -HAGEN) إلى أنا تمتاز بخمسة مظاهر في نظريته، التي وضعها عن التغير الاجتماعي وهي كالتالي:

1-طرق السلوك التي تستمر مع التغير القليل وتنتقل من جيل إلى جيل.

2-السلوك المحكوم بالعرف وليس بالقانون.

3-النسق الاجتماعي الذي يؤثر بالتدريج الثابت في العلاقات الاجتماعية الثقافية الأساسية.

4-انخفاض الإنتاجية الاقتصادية.

أما من حيث قابلية التغير لهذا النوع من المجتمعات، فانه يميل إلى رفض كل ما هو جديد والتمسك بالنماذج الموروثة، بحيث ينظر أفراده إلى أي تغيير كعمل شاذ يشكل انتهاك للإشكال التقليدية.و للمجتمع الصناعي الحديث عكس هذا، إذ يعتبر هذا التغير ظاهرة سوية متوقعة،ومقررة بواسطة المعايير الاجتماعية نفسها.

أما حياة التمدن فميزتا التعقيد ، ذلك راجع إلى دخول أفراد المجتمع في الترف والبذخ سعيا إلى الرفاهية،ونظرا إلى هذه التحولات التي يعرفها بدو اموهاغ عبر مر العصور، وجدنا لزوما علينا دراسة أهم التحولات التي عرفها هذا المجتمع في استوطانه في الوسط الحضري،ومن حياة

الترحاب والخيمة إلى المكوث والبناء العمراني ، من نظم تحكمها القوانين العرفية إلى نظام تحكمه القوانين الرسمية، وكذا التنظيم الإداري .كل هذا وذالك دفعنا إلى طرح عدة تساؤلات حول أهم التحولات التي طرأت على مجتمع بدو اموهاغ بعد استيطانهم استوطانهم في الوسط المدني وهي كالتالي :

- هل السيطرة على النظام الاجتماعي التقليدي من طرف الاستعمار الفرنسي أدى إلى استسلام العصبية المسيطرة ورضوخها لتحولات الاجتماعية المفروضة عليها ؟.

- هل سياسة التنموية للاستيطان لبدو التو ارق (اموهاغ) له تأثير على نمط حياتهم ؟أن كان كذلك ففيما يتمثل ؟

04)- الفرضيات:

1-إن السيطرة على النظام الاجتماعي التقليدي أدى إلى خضوع العصبية المسطرة وإحداث تغيرات اجتماعية في مجتمع إموهاغ .

2-استيطان البدو التوارق(إموهاغ) في المدن احدث تحولات جذرية في نمط حياتهم وأنظمتهم الاجتماعية .

- تفسير الفرضيات:

الفرضية الأولى :أن إخضاع الاستعمار الفرنسي للنظام التقليدي لإموهاغ ثم انطوائه في ظل لواء الدولة الجزائرية الحديث أدى إلى حدوث عدة تغيرات فيه وكسر شوكة العصبية المسيطرة عليه.

الفرضية الثانية :وضع مخططات تنموية من طرف الدولة الجزائرية من اجل استيطان البدو اموهاغ يفرض عليهم ميكانيزمات نظامية عصرية.

عدم التشبع بثقافة المدينة وعدم فهمها يصعب على بدو النوارق التعايش مع معطيات حياة الوسط الحضري هذا ما يعكس انحرافات اجتماعية .

05)-المفاهيم الأساسية:

أ)-التغيرات الاجتماعية :

لقد هبت معظم النظريات ذات طابع تطوري ،وكانت نظرة التاريخ عند كارل ماركس أعظمها تأثيرا،وهي تدعي إن أسلوب إنتاج اى ،تكنولوجيا هي نتاج أي نتاج أي علاقات

اجتماعية فشانه عنه والعنصر الأساسي في المجتمع هو البناء التحتي الذي يقوم عليه البناء الفوقي والمتكون من كل النظم الأخرى السياسية ،الدينية والعائلية ..الخ

وعندما تتقدم التكنولوجيا تظهر أساليب إنتاج جديدة ،من هنا يمكنناان نستخلص إن كارل ماركس ربط التغير الاجتماعي تحولات وتطورات تكنولوجية حيث إن كل ما كان هناك تطور تكنولوجي يحدث تغير اجتماعي ولكن لا يمكن إن نهمل التغيرات التي يحدثها الفكر الاجتماعي

إما هربرت سبنسر HERBERT SPENCER فرىان المجتمع تطور من مجتمع صغير بسيط من الناحية البنائية والوضعية إلى مجتمع كبير ومتباين للغاية ،أي إن المجتمع يشهد تغيرات كلما اتسع وزاد اى أن التباين يظهر في المجتمع انطلاقا من التزايد الكمي هنا نلاحظ انه اهتم بالجانب الديمغرافي دون مراعاة التغيرات التي يحدثها الجانب الاقتصادي والثقافي والسياسي ..الخ إما العالم الانتربولوجيا الاجتماعية الأمريكي لوس مرجان في كتابه المجتمع القديم عام 1877م حيث وضع نظرية في التطور الثقافي يتميز ،حسب رأيه ،بثلاثة فترات أخلاقية هي الوحشية والبربرية والحضرية ،إن لويس مرجان نفى صفة الحضارة على المجتمعات البائية حيث إن هناك العديد من الحضارات ضاربة في التاريخ لايمكن نفي صفة الحضارة عنها كونها هي أساس الحضارة الإنسانية لان كل أساليب الحياة اليومية منذ أبونا ادم هي نتاج فكري إنساني

في جانب أخر يرى البعض أن التغير الاجتماعي يشير إلى (نمط من العلاقات الاجتماعية) في وضع اجتماعي معين يظهر عليه التغير خلال فترة محددة من الزمن ،إما العالم الاجتماعي الفرنسي (حي روشيه – GUY ROCHER) يرى أن التغير هو بالضرورة ظاهرة جماعية أي هو التغير الذي يحدث في البناء الاجتماعي في فترات زمنية ولكنه يمتاز في

فالتغير الاجتماعي في بحثنا هذا نقصد به تلك التغيرات الطارئة في البناء الاجتماعي سوء كانت بمؤشرات داخلية بنتاج اجتماعي أو خارجية نتيجة لاحتكاكه بمختلف المجتمعات وكذلك التغيرات أطارئة فيه أنشطته الاقتصادية

ب) مفهوم الحضر والتحضر :

يقول الكردي سنة 1984م في استعراضه لمصطلحات كل من الحضارة والتحضر والحضرية ،انه ورد في لسان العرب المحيط إن لفظ (الحضر) من الحضور تقيض الغياب والحضر خلاف البدو ويشتق من الحضر (الحاضر) والمقيم سواء في المدن أو القرى في مقابل البادية والحضر والحاضر خلاف ونقلا عن المنجد (إن البدو تشابهوا باختلاف الحضر فالتحضر) .ويعني بالحضر عموما كل

استقرار يحققه الفرد في مكان ما يشترط إن يكون لمدة بعيدة و من ثم كان مصطلح البداوة يعني بمعناه الضيق السعي من مكان إلى آخر وراء الرعي.

وإذا كان الاستقرار بالمراكز العمرانية - حضرية كانت أو ريفية – هو نقيض البداوة فان ذلك يؤكد على أن القرى و الأرياف يدخلان ضمن مفهوم الحضر و يضفي ذلك تعقيدات شتى على التمييز بين الريف و الحضر ، و التي ما تزال محل نقاش أكاديمي مستفيض.

ولعل اختلاف النشاط الاقتصادي السائد في المدينة عنه في القرية و كذا التفاوت في أساليب الحياة يمثلان سببين من الأسباب التي جعلت هناك تمايز قائما بين الريف و الحضر أما عندما تتم المقارنة بين هذين النمطين من جانب ونمط البادية من جانب آخر فان الصورة تتضح أكثر.

غير إن هناك أسسا عامة تطابقها معظم التمعات للتفريق بين الأنماط المعيشية المختلفة ، وترتبط هده الأسس بالبيان الاقتصادي و التركيب الاجتماعي النطاق الإداري للمجتمع فقد درج العلماء على اعتبار أنه إذا كان النشاط الاقتصادي للمجتمع غير معتمد على الزراعة فانه يمكن تصنيفه ضمن المناطق الحضرية سواء كان معتمدا على نشاط صناعي أو تجاري أو خدماتي أو غير ذلك ، أما البيان الاجتماعي فهو شديد التعقيد في النمط الحضري حيث تسود العلاقات الثانوية و تسيطر فكرة تنظيمات على كل أوجه و تتحدد بجلاء الطبقية بين شرائح التمع، وتبرز عناصر معينة بنسق القيم يكون لها الغلبة و الهيمنة (قيمة الوقت مثلا) و لا يعني ذلك أن البنيان الاجتماعي في النمط الريفي و البدوي تم بالبساطة و الأولية و إنما ترتبط سماته بنوعية الحياة، اقتصاديا،اجتماعيا و ثقافيا....الخ، و أخيرا فان مصطلح التحضر رغم صعوبة تحديده بشكل مغاير عن كونه عملية و نتيجة في الوقت ذاته (الكردي 1984) ، فهو عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق أهل الريف أو البادية إلى المدينة و إقامتهم بمجتمعها المحلي و بمعنى آخر هو عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى الحصر أو المراكز الحضرية الأخرى.

و تجدر الإشارة هنا إلى إن طبيعة التحضر عند العرب تختلف عنها في العالم الغربي فالتحضر ينتج عن التضخم في حجم المدينة (منظمة العمل الدولية 1992) و إذا كانت مزايا التحضر هي توفير قسم من التعليم و توفير فرص العمل و تأمين و توفير مستوى أفضل للمعيشة . و توفير خدمات عامة ، إلا إن مستوى التحضر في العالم العربي غير منظم و لا يتم وفق تخطيط سليم للمدن كما أنه يؤدي إلى تركيز السكان في مراكز حضرية لا يوجد فيها خدمات عامة.

فالتحضر حسب ما رأينا سلفا هو مصطلح معقد لا يمكن حصره، لذا فإننا في بحثنا نعتمد على المدلول الخلدوني للتحضر الذي يذهب في تعريفه للتحضر إلى كونه هو نتيجة لصراع عصبي اجتماعي للقيادة و سيطرة على باقي القيادات لتكوين الدولة ، ومن هنا يكون الانتقال من البداوة إلى الحضر عصبونه المحرك هو العصبية بمفهومها الخلدوني .

ج)-التنمية الاجتماعية:

التنمية مفهوم لا ينتمي إلى علم واحد ، لابد من تعاون العلوم المختلفة و التخصصات المتباينة في هذا المعنى ، و لقد اختلف المفكرون الاجتماعيون فيما بينهم في تحديدهم لمفهوم التنمية و أبعادها وثمة تعريفات عدة للتنمية منها أن التنمية تعني " النمو المدروس على أسس علمية و الذي قيست أبعاده بمقاييس سواء كانت تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادي،أو السياسي،أو الاجتماعي أو ميادين فرعية كالتنمية الصناعية أو الزراعية ...الخ،ويمكن القول أنا عملية تغير اجتماعي مخططة يقوم با الإنسان للانتقال بالتمع من وضع أفضل بما يتفق مع احتياجاته و إمكانياته الاقتصادية و الاجتماعية...الخ.

أما تنمية التمع المحلي فقد عرفتها هيئة الأمم المتحدة سنة 1956م بأنا: العملية التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي و الحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية و الاقتصادية في التمعات المحلية لمساعدتا على الاندماج في حياة الأمم و الإسهام في تقدمها لأقصى ما يمكن.

التنمية المراد تتبعها في بحثنا هذا هي تلك السياسات التنموية التي طبقتها الدولة الجزائرية لتوطين بدو ايموهاغ في المناطق الحضرية،و أهم التغيرات الناتجة عنها سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية .

د)-العصبـــية:

لقد ذهب العديد ممن شرح المقدمة دون أن يقدموا لذلك إيضاحات جدية ، إن العصبية تعني " التماسك الاجتماعي" أو " روح التضامن"[1] ، وقد ترجمها مؤلفون آخرون هم في الواقع علماء اجتماعيون أكثر منهم اديولوجيون "بالتضامن الاجتماعي"و" الالتحام القبلي " ، و "الروح العمومية " و "الذهنية العشائرية" و " القرية العصبية " و " التضامن بالعصب " و " الالتحام

[1]-عبد الغني مغربي:" الفكر الاجتماعي عند بن خلدون"، تر، محمد الشريف بن دالي حسين. المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1986، ص:144

الاجتماعي بالعصب " ....الخ. لكن حسب عبد الغني مغربي فان هذه التعريفات لا تؤدي إلى المعنى الحقيقي لمفهوم العصبية[1] . ويرى أن مفهوم العصبية يستهدف معنى سياسيا أكثر مما يستهدف معنى اجتماعيا، و العصبية لا تتعلق بعدد كبير من العوامل فقط بل متقلبة كذلك و غير مستتبة الوضع لينتهي إلى أن العصبية تعني الترابط والاتحاد الذي جعل منه ابن خلدون مفتاحا " للديناميك الاجتماعية "[2].

ويلازم العصبية في التحليل الخلدوني مصطلحات أخرى لابد من توضيحها أيضا باختصار:

1- **الرياسة**: وهي السلطة التي يمارسها شيخ القبيلة بحكم الأمر الواقع لا بحكم القانون، ويدفع الشيخ الذي بيده الرياسة أنصاره قهرا إلى غزو ارض أخرى لتحطيم العصبية الأخرى[3]. الرياسة إنما هي سؤود و صاحبها متبوع وليس عليهم قهر في أحكامه .

2- **الملك**: وهو السلطة و القهر " وأما الملك فهو التغلب و القهر و يكون الملك تاما إذا كان صاحبه يستعبد الرعية و يجني الأموال و يبعث البعوث و يحمي الثغور

ولا تكون فوق يده يد قاهرة "[4] و " هذا هو الملك الأعظم وهولا يكون إلا للأصحاب القبائل والعشائر و العصبيات و الزحوف و الحروب و اللأقطاع و المماليك".

3- **الوازع** : وهو السلطة التي تكبح جماح الفرد و تفصل " غريزته العدوانية " .وهو نوعان:

-**وازع ذا**تي : ومرجعه إقناع الفرد وانقياده بمحض إرادته هدى ضميره تحت تأثير التربية الدينية والخلقية .

-**وازع أجن**بي: وهو السلطة المفروضة على الشخص من الخارج بالتعليم أو بالعقاب و بالغلبة و القهر " الأحكام السلطانية و التعليمية مفسدة اللباس لأن الوازع فيها أجنبي و أما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع ذاتي[5].

---

[1]- نفس المرجع ،ص : 144

[2]-نفس المرجع،ص :143

[3]- نفس المرجع، ص :145.

[4]- المقدمة ، ص : 80

[5]- المقدمة: ص 80.

4-**القرابة و الحسب** : علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة ، لا يعني اصطلاح القرابة عند الأنتربولوجيين علاقات العائلة و الزواج و إنما يعني المصاهرة أيضا .

وأهم قرابة بالنسبة لنا هي التي تنحدر من نسب الأم matrilinéaire و التي تعود إلي نسب الخال avunculat بالنسبة للأول فإنه يعني العلاقة القرابية من خلال خط الإناث كما يقال في مجتمع ايموهاغ " الابن يتبع البطن و ليس الظهر " و لقد أولى بعض علماء الأنتربولوجيا أهمية كبيرة في دور النسب الأمومي في بداية مراحل التطور الاجتماعي من حيث أسباب وجوده ، و أسباب تطوره[1] .

أما نسب الخال : فهو العلاقة القرابية الخاصة التي تربط الرجل بخاله أو بأخ أمه ، خصوصا في المجتمعات التي يضفي عليها النسب الأمومي و تعتبر هذه العلاقة مفتاح تحليل بنية المجتمع التارقي ، و كل العلاقات الاجتماعية و السياسية والثقافية ،فهم بنية هذا المجتمع على الإطلاق[2].

5-**الولاء** : وهو مبدأ إرتباط جماعات القبائل التي يمتلك شيخها الرياسة و التحالف معها .

6-**القبيلة** : فقد صنفت التجمعات البشرية على أساس الكثرة كما يلي : الأمة الشعب الإمارة البطن ، الفخذ العشيرة والبطن و أحيانا يستعمل الأمة و الجيل بمعنى القبيلة الكبرى[3]، و تضم القبيلة عادة ثلاثة أصناف من الأفراد :

-صرحاء النسب و هم طبقة من الأشراف ، وهؤلاء يتفاوتون في الشرف بتفاوت بيوتهم في الحسب .

-الموالي واللصقاء أي الملتصقين بالقبيلة بواسطة الحوار أو الحلف أوالإصطناع.

-أسرى الحروب والغزوات الذين يستعبدون عادة.

---

[1]- حسن مرموري: "التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين " ،نفس المرجع السابق.ص:21

[2]- نفس المرجع : ص : 28.

[3]- محمد عابد الجابري : العصبية و الدولة ،دار الطليعة ،ط:3-بيروت1982. ص :457.

06)-المقاربة السسيولوجية : تعتبر المقاربة السسيولوجية (المقاربة المنهجية) خطوة هامة و أساسية في الدراسات الإجتماعية إذ تمثل الإطار الذي من خلاله يتم من خلاله تحديد الزوايا و الفكرة و الإتجاه الفكري النظري الذي يعتمده الباحث في تناول المواضيع و دراستها . فبالنسبة لموضوع دراستنا " الإندماج الإجتماعي لبدو ايموهاغ في الوسط الحضري " و بالتالي موضوع الدراسة هو التحول الإجتماعي لبدو ايموهاغ من حياة البداوة و الترحال إلى الحياة المدنية و من بين روا كزه هو التغير الإجتماعي و هذا الأخير هو محل دراسة البحوث في العديد من الزوايا المختلفة حيث تتناوله العديد من النظريات بالدراسة فإننا نرى من الأنسب الإعتماد على نظريات عدة وهي :

1- النظرية الخلدونية : كمنظور أساسي و رئيس لفهم و تحليل مجتمع ايموهاغ .

2- كما نعتمد على البنائية الوظيفية في تفسير و تحليل بعض المظاهر الثقافية و تحولاتا بالإضافة إلى الدراسات الأنتربولوجية في وصف الظواهر الإجتماعية

أ-النظرية الخلدونية : أما عن النظرية الخلدونية فإن ابن خلدون يضع مصطلح العصبية كتطور يقع بين البداوة إلى الحضارة و هو عقدة إشكالية ابن خلدون الخاصة بالإنتقال من طرق الإنتاج إلى أخرى في العمران الحضري أو العمران البدوي و يتسنى لنا أن نسمي مؤقتا هذا المستوى الثاني من العصبية مستوى توازنيا حسب ما ذهب إليه عبد الغني مغربي[1] . فالإعتماد على دراسات بن خلدون التي تناولت التمعات القبلية في تنقلها من البداوة إلى الحضر ساعدنا في إعطاء تفسيرات علمية فكرية لأهم التحولات التي تعرض التمع البدوي الترقي لإندماجه في الوسط الحضري . أو لبلوغ تلك التحولات البدو ايموهاغ بعد ارتباطهم بالمناطق الحضرية و الإستقرار با. لقد اعتمد بن خلدون في تحليله لفهم الحركة الإجتماعية على مفهوم العصبية الذي جعل منه أساسا لتفسير الدينامية التاريخية و الصراعات السوسيوإقتصادية التي لابد منها لتكوين الدورة السياسية التي تنتهي بالدولة ثم تتلاشى .

1**- البداوة**: لقد حدد الدكتور محي الدين صابر المفهوم العام للبداوة بأنه " نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان لطلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدة للإستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية على كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية

---

[1] - د. مغربي عبد الغني : نفس المرجع السابق, ص : 143.

ثانية و على مدى الأمن الإجتماعي و الطبيعي الذي يمكن أن توفر فيها من ناحية ثالثة[1] . البداوة الرعوية هي نمط الحياة السائدة الآن في كثير من التمعات البدوية عموما و التمعات الصحراوية بشكل خاص فقد ربط كثير من الباحثين بين البداوة كظاهرة و بين الصحراء (البيداء) أي لأن البادية هي الصحراء و من ينسب إليها فهو بدوي و من أقام با فهو مبتدئ , الإطار العام الذي يشمل الإقامة في الصحراء و التعود على العيش فيها هو البداوة فالبدو هم أصحاب النجمة و ارتياد الكلأ و تتبع مصادر المياه[2] . و الذي حدد التنقلات السنوية و الموسمية للبدو و هو حاجات قطعانه للغذاء – حيث يرحلون داخل الصحراء أثناء فصل الشتاء الممطر و يستقرون قريبا من مصادر المياه و عند أطراف الصحاري خلال شهور الصيف الجاف.

وقد قدم ابن خلدون سابقا تصنيف لأنواع البداوة عندما وضعهم في مستويات ثلاثة تبعا للدرجة (ظعنهم) في الصحراء و بعدهم عن الحضر فهناك البدو الذين يعتمدون على الإبل و يليهم في الترتيب " الشاوية" أي أصحاب الشاة و هم رعاة الضان و قد وضع معهم على نفس الدرجة " البقارة" أي رعاة البقر و يأتي في أسفل السلم الممتهنون الزراعة. و هم الذين مارسوا نوعا من أنواع الإستقرار في الواحات , و حول الآبار و الوديان و عند المراكز الحضرية و القروية و كما يقول ابن خلدون في المقدمة عن البداوة " فالبداوة أصل المدن و الحضر و ابق عليهما ومتى حصل البدوي على الرياش الذي يصل له به أحوال الترف و عوائده عاج إلى الدعة و أمكن نفسه إلى القيادة المدنية و هكذا شأن القبائل المبدئية كلهم "[3] .

2- **العصبية**:كما رأينا سابقا أن العصبية " إنما هي تكون من الإلتحام بالنسبة أو ما في معناه "[4] . و المقصود بالنسب ليس الرابطة الدموية , فهو بذا المعنى " أمر وهمي لاحقيقة له"[5] و كما يصيف ابن خلدون على ذلك "... و مازالت الأنساب تسقط من شعب و يلتحم قوم بآخرين في الجاهلية و الإسلام و العرب و العجم "[6] و المقصود من النسب فائدته و ثمرته و هي " هذا

---

[1] - محي الدين صابر :" عوامل التغير الحضري في نمط الحياة البدوية" . نقلا عن محمد السويدي :بدو الطوارق بين الثبات والتغير"،نفس المرجع السابق . ص 32 .

[2] - نفس المرجع السابق. ص: 161.

[3] - المقـــــــــــدمة:ص141.

[4] - المقــــــــــدمة: ص 141.

[5] - نفس المـــــــــرجع , ص 142.

[6] - نفس المـــــــرجع , ص 144.

الإلتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة و النعرة و ما فوق ذلك مستغنى عنه "[1] و كل ما يقع في هذا الإلتحام فهو داخل في معنى النسب و منه " الخلق و الاصطناع و طول المعاشرة و الصحبة و سائر أمور الموت و الحياة "[2] غير أن هذا الإلتحام لا يشتد و يصبح عصبية إلا إذا كان هناك ما يهدد كيان الجماعة "... فإذا القريب يجد نفسه عضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه و يود لو يحول بينه و بين ما يصله من المعاطب و المهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا..."[3] بالنظر إلى ما تقدم يرى الدكتور مغربي عبد الغني أن " العصبية التي تساعد على بناء و تأسيس الدولة عبارة عن تأليف الإلتحام الإجتماعي من جهة و علاقة تبعية و سيطرة الزعيم من جهة أخرى "[4].بينما يرى الجابري أنا :" رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية لا شعورية تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية أو المعنوية ربطا مستمرا يبرز و يشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة "[5] .

إن تقييد يقظة العصبية بوجود تديد أو عدوان يعني أن فاعلية العصبية لا تشتد إلا عندما تمس المصلحة المشتركة للجماعة و هي المصلحة التي تشكل فيها "...نحلة المعاش" العنصر الرئيسي و الفعل إذن فلابد من استحضار هذه الصبغة الإقتصادية في الصراع العصبي لفهم نظرية ابن خلدون كما أن الفاعلية السياسية تستهدف في الدرجة الأولى الحصول على الجاه و الملك من أجل توابعه من الترف و النعم [6].

- **العصبية نوعان**: خاصة و عامة.

أما الأولى مبنية على النسب القريب و الثانية تقوم على النسب البعيد و كل عصبية عامة تتألف من عدة عصبيات خاصة و من هنا كانت العصبية تقوم على أساس الكثرة داخل الوحدة و على التنافس و التنافر داخل التعاون و التناصر و لا تصبح العصبية قوية إلا إذا التحمت العصبيات الخاصة المتنافسة في إطار عصبية عامة واحدة . لكن العصبية المشار إليها يعتبرها بن خلدون عصبية طبيعية إذ لابد منها في الحماية و المطالبة و المواجهة.

---

1 - نفس المـــــــرجع , ص 142.
2 - نفس المـــــــرجع , ص 145.
3 - نفس المرجع ،÷ص:145
4 - نفس المصدر ،ص: 146.
5 - نفس المصدر،ص: 142.
6 - نفس المصدر،ص:143

أما العصبية المستندة فقط على التعصب للأنساب و الإعتداد بها فهي عصبية جاهلية لا فائدة منها مطلقا .

إن قيام الحياة الإجتماعية و بالتالي بقاء الإنسان يتطلب نوع من السلطة كي تحفظ للمجتمع تماسكه و تعمل على تقوية التعاون بين أفراده و كبح عدوان بعضهم على بعض سواء كل فرد أو كجماعات ، و ينظر ابن خلدون إلى العصبية من حيث الدور الذي تلعبه في الدفاع عن الجماعة على إعتبارها تقوم في البداية بنفس الدور الذي تقوم به في المدن ، إنه يعني بالعصبية فقط من حيث أنها رابطة دفاع أو قوة مواجهة و تنظيم العلاقات الخارجية للمجموعة المتماسكة .

3-الحضارة: إضافة إلى البداوة و العصبية تعتبر الحضارة كمدلول إجتماعي إعتمده ابن خلدون في تحليله للحراك الإجتماعي .

فالمقصود من الحضارة هنا إتخاذ حياة الإستقرار داخل المدن حيث يؤكد ابن خلدون أن تأسيس الدولة يسبق دائما تأسيس المدينة فتكوين الدولة و هو على كل حال لازمة طبيعية لعمل العصبية ، يؤدي حتما إلى العمران الحضاري (أو الحضارة)[1] . أي أن المدينة هي نتيجة لحركة إجتماعية ناجمة عن العصبية التي إلى توجيه سياسة العصبية القبلية إلى بناء و تأسيس ثم بناء المجتمع الحضري نتيجة الإستقرار أي أن الحضارة لا تعني الإستقرار في المناطق المدنية بل تتعداها إلى ظهور خصوصيات ثقافية إجتماعية ...ألخ خاصة بالمجتمع الحضري ، حيث يلزم ابن خلدون أن هناك مصير وطيد بين القبيلة الغازية و مصير نظام الإنتاج الخاص بها ،إذ يقول ابن خلدون :"...إن الدولة و الملك للعمران، بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها. وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر ..."[2]

إن ظاهرة التحضر بالمعنى الجغرافي للكلمة تخضع بادي ذي بدء لمجموعتين من الأسباب، فهناك الأسباب الموضوعية من جهة و هناك الأسباب الذاتية من جهة أخرى، و ذلك حسب ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الغني مغربي[3]:

-الأسباب الموضوعية: تكمن في كون القبيلة الجديدة الحاكمة تشعر في وقت معين و بعد أن تكون قد وسعت كثيرا أرضها بأنها في حاجة إلى مكان ما لتستقر فيه ، حتى تستطيع مراقبة العدو

---

[1]- عبد الغني مغربي : نفس المرجع السابق، ص :167.
[2]- المقدمة: ص : 670 .
[3]- عبد الغني مغربي :نفس المرجع السابق، ص :171.

جيدا، ولكي تستطيع أيضا كما حدث عن ذلك ابن خلدون ،أن تودع في المخازن حاجاتها و أمتعتها الأخرى، التي عادت تضايقها مضايقة شديدة ، و كذا رغبة الزعيم المفدى في إعداد نظام كفيل بأن ييسر له القيام بمهمته و لا يمكن تجسيد هذه الأفكار إلا في مكان معين ألا وهو المدينة .

-**أما العوامل الذاتية:** فتتمثل في ذلك الإغراء الذي يمارسه العمران الحضري على أهل البادية، و لا يمكن أن يبرز إلا إذا تحرق أعضاء القبيلة المعنية شوقا إلى التمدن ،و بعبارة أخرى فإن القبيلة التي تعرف الفوائد المختلفة التي قد تجنيها من العمران هي وحدها القادرة على أن تطمح إلى تغيير ظروف معيشتها .

وكما يوضح عبد الغني مغربي، فإن تأثير العوامل الذاتية التي وصفتها ضئيل على العموم بالقياس إلى العوامل الموضوعية، و ذلك لأسباب مختلفة سنشير إليها خلال عرضنا.

فنحن في بحثنا هذا نأخذ بمدلول النظرية الخلدونية في الحضارة للوصول إلى حقيقة التحولات الجارية في مجتمع إموهاغ البدو، التي لها بناء قبلي تحركه العصبيات . لهذا فإن الإنتقال من مجتمع بدوي بسيط إلى مجتمع حضري معقد له مرجعية حركية مرتبطة بالعصبية .

ب-المجتمعات البدوية في الدراسات الأنتربولوجية :

لقد وجه الباحثين الأنتربولوجيين في تناولهم للموضوعات الإجتماعية إهتمامهم إلى دراسة المجتمعات البدائية أي تلك الشعوب التي تعيش خارج النطاقات الثقافية الغنية المعقدة التي تسمى حضارات. وكلما إزداد إنعزال المجتمعات البدائية عن غيرها إشتد تباين بين ثقافاتها و بين الثقافات الأخرى ، و لهذا تضاعف إهتمام العالم الأنتربولوجي بدراستها و جمع الحقائق عنها .

يرى " روبرت ريدفيلد " " Robert Redfield " أن علماء الأنتربولوجية ترددوا قبل إعادة تحديد علمهم على أساس أنه يدرس كل الشعوب في جميع المواقف الإجتماعية و الثقافية . ففي عام 1922 عرف "رادكيف براون " الأنتربولوجيا الإجتماعية و الأثنولوجيا بأنهما تختصان بدراسة الشعوب غير المتمدنة و بذلك قيد دراسة هذين العلمين بقوله عن القيمة العلمية لهذه الدراسات على أساس أنها "تنقذنا من الوقوع في الكثير من الأخطاء الجسيمة ، في معاملاتنا مع الأجناس و الشعوب الأصلية"[1].

[1]-محمد السويدي:" بدو الطوارق بين الثبات و التغيير". نفس المرجع السابق . 1986.ص18 -

ولكنه تراجع في عام 1944 عندما أكد بأن ميدان الأنتربولوجيا الإجتماعية هو كل المجتمعات البشرية . فقد ذهب العديد من الباحثين المعاصرين إلى توجيه الدراسات الأنتربولوجية ، إلى دراسة المجتمعات التي تمر بعملية النمو الإقتصادي و التغير الإجتماعي ، و بصفة خاصة العالم الثالث[1].

إن تناول الأنتربولوجيا للمجتمعات يتم بدراسة " الكلا " متساند الأجزاء ، و لهذا يكون التركيز بالدرجة الأولى على الطرق المستخدمة في البحث و مدى تطورها عند الإنتقال من مستوى إلى آخر ، و مستويات الحياة الإجتماعية كالإنتقال من دراسة المجتمع البدائي إلى دراسة المجتمع البدوي .

ولهذا فإن دراسة العلاقات البنائية الوظيفية لنظام معين يجب أن تتم في ضوء إرتباطاته الداخلية و الخارجية في ذات الوقت ، وليس المعنى هذا ضرورة تعديل المنهج الأنتربولوجي أو تغيره ، وإنما يتعلق الأمر بتعديل الإتجاه النظري عند الإنتقال من دراسة (الكل) إلى دراسة (الجزء) ، و خاصة في حالة معرفة تأثير الكل على الجزء .

إن الإعتماد على الدراسات الأنتربولوجية يتناول مراحل التغيير الإجتماعي التي مر بها المجتمع التارقي من البداوة و الترحال إلى الإستقرار في الواحات و إمتهان الزراعة ، والدخول في الميادين الإدارية والحياتية المعاصرة ، و الخوض في الأنشطة الحضارية . هذه المراحل تعتبر متغيرا من حيث البناء النسق الإجتماعي ، و وظائف البناء داخل النسق حيث يمكن ملاحظة ذلك التغيير الحاصل في البناء و الوظيفة عبر المراحل التي مر بها المجتمع التارقي . و لهذا كان من الممكن دراسة التغير على أساس التغيرات الحاصلة في البناء النسقي و وظائف ذالك حسب ما ذهب إليه صاحب نظرية البنائية الوظيفية ، التي عملت من أجل إنشاء نظرية عامة عن المجتمع تقوم على أساس إفتراض أن المجتمع يوجد و يتملك حقيقة مستقلة أي أنه مثله مثل الأنساق الكونية الأخرى (النسق الطبيعي ، الحيواني ....ألخ) ، و من ثم يصبح الهدف منها الخواص الأساسية للأنساق الاجتماعية و أسلوب تطورها و من أجل الوصول إلى تطور في أقصى حد من النظام .

---

[1]-بوتومورت :" تمهيد في علم الاجتماع" . ترجمة.د.محمد جوهري و آخرون . الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. 1972.ط1.ص :85.

ج- المقاربة الوظيفية البنائية في تناول التحول الإجتماعي :

كما سلفنا الذكر فإن موضوع الدراسة بنسبة النظرية البنائية الوظيفية يكمن في دراسة المجتمع كبناء أو نظام ، والوظائف التي يقوم عليها هذا النظام داخل البناء الإجتماعي من معايير و ضوابط و أدوار وسلوكات .

كما يلاحظ أن أصحاب النظرية الوظيفية ، يختلفون فيما بينهم حول الوظائف الأساسية التي يتضمنها المجتمع ، فمنهم من يذهب إلى أن هناك تشابه بينها و بين الأنساق العضوية ، و البعض الآخر من يعتبر أن المجتمع عبارة عن نسق معياري وجد داخل الأفراد أكثر من ما هو خارجهم .

لقد كان هدف منظري البنائية الوظيفية هو الوقف على الحاجات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المعاصر ، هذا الاتجاه يعتبر المجتمع كنسق ذي علاقات متبادلة ومتساندة بين أجزائه ، ويتطور ولديه كل موجهات نحو التوازن ،ويمثل حاجات النسق الهامة أو وظائفه .

لكن ما يمكن الوقف عليه ، أن النظرية البنائية الوظيفية نمطين كبيرين ، نمط طبيعي من ناحية والذي يمثله تالكوت بارسونز . ومن الناحية الأخرى نجد أصحاب النمط المعياري الذي يمثله ولتر بكلي .

أما نحن في هذا البحث فنعتمد على النمط المعياري الذي يعتبر أن النسق معياري يوجد داخل الأفراد ، أكثر من ما هو خارجهم تخدم منظور النظرية النسقية الحديثة لعلم الاجتماعي ، هي محولة تنمية إطار عمل المفاهيم عن الحقيقة السسيوثقافية socioculturel يتميز بمزيد من الديناميكية والعضوية ، فمن ثم حاول بكلي الانتفاع بديناميكيات تحول المعلومات وهي أساس الدراسة السيبرناتيكية cyberneticapproach لتنمية نظرة جديدة عن العمليات الموجهة للتنظيم الاجتماعي و هذه الدراسة لها ملامح معينة تشترك مع ملامح العامة للبنائية الوظيفية .

ولاستخدام هذه النظرية في علم الاجتماع ، قسم بكلي BUCKLEY المجتمع إلى قسمين رئيسين ، البناء structure و العمليات process الأول يتكون من البناء السيكولوجي و البناء السوسيو ثقافي و طبعا حسب رأي بكلي ، يتكون النسق السيكولوجي من أربعة عناصر رئيسية .

أ) – الفرد البيولوجي

ب) - الأشياء البيئية موضع اهتمام الفرد

ج) – فرد آخـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر

د)- الاتصالات و المعلومات المتبادلة.

هذه العناصر الأربعة تمثل نسق مركب متكيف ، وهذه العناصر الأربعة كنسق من العناصر المترابطة و المتشابكة تمثل نسق اتصالات ضروري و ديناميكي ، الذي يعتبر أساس التنظيم الاجتماعي على المستوى السيكولوجي و على المستوى السوسيو الثقافي .كما عمل بكلي محاولة للوصول الى المستوى الأمثل في الاستقرار و المرونة من أجل التكيف مع الأنساق البيئية ن وهناك خمسة عناصر رئيسية في عملية التكيف هذه و هي :

أ)- منبع تقديم التنوع في النسق

ب)- المحافظة على مستوى أمثل من تواتورات النسق و إشباع العضو

ج)- أسلوبان – خطان – من شبكتين للاتصال مع البيئة أحدهما للتحقيق الهدف و الحصول عليها و الثاني لتوثيق و وملائمة أنساق النظم الاجتماعية الرئيسية مثل (العلم ،لتكنولوجية ، الدين ......).

د)- نسق لصنع القرار .

ه)- ميكانيزم لنشر المعاني والرموز الأنساق و مجموعة الأخبار .

في داخل هذا البناء كلما زاد ارتفاع المستوى كلما كان الاعتماد على الاتصالات من الاعتماد على صلة الطاقة و هكذا يقوم التنظيم على مجموعة من القرارات تعتمد على تغذيته بمعلومات معينة و في لحظة معينة من الزمن.

العملية في داخل نموذج الأنساق تتكون من انفتاح و مدد معلومات و مصادر للتغذية و هدف عمليتان رئيسيتان:

– morphostasis : شكل من عمليات المحافظة على التكيف بين المستوى السوسيو ثقافي و البيئة .

– morphogenèses: و يعني العمليات تتجه نحو تنقية النسق أو تغيره.

هذه العمليات تعتمد على عناصر في عملية التكيف على المستوى السوسيو ثقافي مثل (التنوع ، التوتر ، النظم ......) . [1]

---

[1] - BUCLEY ; w : « sociologie and modern system – thaery » . prentice – hall . englewaol cliffs . N .J .1967 .P.80.

وعلى رسلي هذا المنظور المعياري للأنساق نحاول أن نفسر أهم التغيرات الثقافية الاجتماعية الحاصلة في المجتمع إبان انتقاله من البداوة و الترحال إلى التمدن .و ذلك موازة مع النظرية الخلدونية و الدراسات الانثربولوجية لمعرفة أهم التغيرات الحاصلة في المجتمع عند إموهاغ .

07)- منهجـــــية البحث:

أ -المناهج المتبعة و التقنيـــــات المستعمـــــلة:

لكل موضوع بحث منهج يناسبه، و لكل منهج تقنيات خاصة بجمع المعطيات من المصادر المختلفة التي تعتبر المادة الخاصة التي ينطلق منها البحث.

المنهج: يعرف المنهج على أنه ذلك الإطار الفكري لتوجيه الباحث و هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار و هو النبراس و المرشد للوصول إلى معرفة حقيقية المراد تحقيقها.

و لكن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المناسب للدراسة و نظرا لتشعب جوانب الموضوع الذي ندرسه اضطررنا إلى استعمال عدة مناهج : المنهج التاريخي لمعرفة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع و أهم التغيرات الطارئة عليها و المنهج الوصفي من أجل وصف السلوكات الصادرة عن الأفراد في المجتمع . و كذا المنهج التحليلي من أجل تحليل الظواهر الإجتماعية .

أما بالنسبة للمنهج التاريخي فكما سلفنا الذكر فإنه يستعمل من أجل دراسة الظاهرة القديمة التي تتمثل في البداوة ثم مرورا ببداية الإستقرار وصولا إلى الوقت الحاضر لمجتمع التوارق , و هذا من خلال الرجوع إلى وصولهم ووصفهم و ملاحظة تطورات كل من العلاقات و الإقتصادية و الثقافية ...الخ . بمعنى تحليل الظاهرة اجتماعيا تبعا للأحداث التي نتجت فيها.

أما بالنسبة للمنهج الوصفي فقد اعتمدنا فيه وصفنا لكل الظواهر الإجتماعية في حالتها الدينامية و السكونية , اعتمادا على الدراسات الأنتربولوجية التي تهتم بدراسة المجتمعات البدائية .

أما المنهج التحليلي فاعتمدنا فيه تحليل المواقف و المظاهر الإجتماعية لمعرفة خلفيتها الدلالية.

التقنيات المستعملة: يقول (puens-pritcharder) " كل المناهج متشابهة في جميع العلوم، لكن تقنياتها هي التي تختلف لان الظواهر المختلفة تفرض معالجات مختلفة"[1].

إذن نوعية المشكلة وطبيعة الفروض هي التي تتحكم في اختيار التقنيات

[1] Puens-pritcharder : « la femme dans les sociétés primitives et entre essai d anterpologie social », (paris presse universitaire de France 1971 p 25

وهذا حسب ما تقتضيه ضرورة البحث و الظروف السائدة في كل من الملاحظة بالمشاركة و الملاحظة المباشرة و غير المباشرة، و المقابلة.

1) الملاحظة المباشرة : تتم عن طريق إستعمال الحواس كالسمع ، و ذلك للإستماع إلى المناقشات و القصص التي تتعلق بموضوع الدراسة و يمكن إستعمال البصر أيضا و هذا بملاحظة السلوكات الخارجية لبعض الأفراد أثناء تعاملهم بعضهم مع البعض .

2) الملاحظة بالمشاركة : وتتمثل في إشتراك الباحث في حياة الناس الذين يقـ ـوم بملاحظتـ ـهم و مساهمته في أوجه النشاطات التي يقومون با ، ويتطلب هذا النوع من الملاحظة أن يكون الباحث عضوا في الجماعة التي يدرسها ، و أن يتجاوب معها .

3) المقابلة الغير منظمة : و يرجع سبب إختيارنا لهذه التقنية إلى كون جل المستجوبين الذين قابلناهم كذاكرة إجتماعية أميين ، وكانت المقابلة فردية في بعض الأحيان و جماعية في أحيان أخرى ، مستعملين في ذلك آلة التسجيل السمعية ، من أجل الإحتفاظ بأقوال المستجوبين و نقلها بإنفعالاتا .

تعتبر المقابلة من أهم وسائل البحث لجمع المعلومات و البيانات في الميدان الإجتماعي و بدونـ ـها لا يستطيع الباحث التعرف على الحقائق . و لا يستطيع تبويبها و تصنيفها و تحليلها علميا يساعده على التوصل إلى نتائج نائية .

وكانت الأسئلة التي طارحناها تدور حول أهم المحاور المتعلقة بالموضوع كالفلكلور الشعبي و التظاهرات و العادات و التقاليد و مجمل العلاقات الإجتماعية .

08)- مجال الدراســـــــة :

يتناول هذا البحث بصفة عامة التوارق ، لكن هؤلاء يتوزعون على رقعة جغرافيا واسعة جدا من جنوب توات إلى تمبكتو و فزان إلى زندر في مسافة قدرها حوالي 1.500.000 ميل مربع ويصل عددهم إلى الملايين ، كما توضح الخريطة . فهم يتوزعون على عدة دول : ليبيا ، مالي ، نيجـ ـر ، الجـ ـزائـ ـر و بوركينافاسو ....ألخ .

و حسب هذه المعطيات فإنه من المستحيل دراسة هذا المتمع دراسة مركزة في وقت قصير ، لذلك إخترنا أحد مناطقهم ، هي أهقـ ـار و إخترنا منه للدراسة الميدانية تاظروك . و لذلك نتمكن من حصر و تركيز البحث فيها وعلى رقعة جغرافية صغيرة جدا ، و أكثر من هذا فقد حصرنا البحث في المؤشرات التي تدل على الإستقرار و مصادر الذاكرة الجماعية . فعن مؤشرات

الإستقرار سنقوم بزيارة كل من الحقول الزراعية و الآثار القائمة للبيانات القديمة . وهذا من أجل وصف دقيق للتقنيات الزراعية و البناء العمراني ، و ذلك بالإستعانة بمقابلة بعض الأهالي .

أما عن الـال الزمني للدراسة فإن كل دراسة إجتماعية يقوم بـا الباحث إلا و لها حيزها الزمني الذي تنحصر فيه ، فبالنسبة لموضوعنا هذا " الإندماج الإجتماعي لبدو التوارق في الوسط الحضري" ، فإننا سنحاول حصر دراستنا بدءا من زمن بداية الإستقرار في مدينة تاظروك إلى يومنا هذا ، و ذلك بالتطرق إلى مراحل ما قبل الإستعمار الفرنسي التي شهدت بداية نواة إستقرار التوارق البدو على ضفاف وادي تاظولت ثم مرحلة و صول الإستعمار إلى هذه المنطقة و أهم التغيرات التي أدخلها المستعمر على نظام الأهالي في المنطقة ، إنتهاءا بمرحلة الإستقلال و أهم مراحل التنمية المحلية التي أدخلتها الدولة الجزائرية لترقية هذه المدينة إلى يومنا هذا .

أما عن مصادر الذاكرة الجماعية (الـال البشري للدراسة) فقمنا بمقابلة كبار السن الذين تتراوح أعمارهم ما بين 56 إلى 90 سنة ، و هم من أصول إجتماعية مختلفة فمنهم رعاة ، فلاحين و تجار و حرفيين.... ألخ . و تم إختيار هؤلاء على حسب ما تقتضيه ضرورة الموضوع ، أي الذين لهم علاقة بالموضوع ، و يمكن أن يعيدوا مختلف جوانب الدراسة ، كأن يكونوا عارفين بالتاريخ الشفوي و أن يكونوا قد مارسوا بعض الأنشطة الإقتصادية ، كتجارة القوافل العابرة للصحراء أو الرعي فيها . و بعض الوظائف السياسية ، أو شيوخ القبائل . ثم بعض الذين لهم شأن بين الآخرين و يتمتعون بالولاء .

و أخيرا تجدر الإشارة إلى أننا لم نـمل باقي الشرائح الإجتماعية في الدراسة ، حيث قمنا بمقابلتهم لمعرفة أهم التغيرات الطارئة عليها حتى يتسنى لنا مقارنتها بالماضي و الوصول إلى نتائج دقيقة و واضحة .

أما عن المعاينة فإننا لم نعتمد على تحديد الهيئة بل إعتمدنا على العمل العشوائي مع الأخذ بعين الإعتبار الفئات الإجتماعية السالفة الذكر . بالإضافة إلى دراسة المؤسسات العمومية التي لها صلة بالـتمع (تأثير على الـتمع) ، و من هنا فإننا لم نقتصر في دراستنا على مجموعة من الباحثين لكوننا لسنا بصدد دراسة حالة و لكننا سوف نقوم بدراسة شاملة لمدينة تاظروك . حيث نتطرق إضافة إلى المؤسسات العمومية إلى مقابلة مواطنيها حيث تتم هذه المقابلة بصفة عشوائية و أخرى موجهة .

09)- صعوبات البحث :

ما من بحث أو استقصاء يقوم به الباحث من اجل الوصول الى حقائق علمية إلا وله خصائص وميزات تجعل من تناوله موضوعا سهلا ويسيرا ، فالبحوث الاجتماعية لاتخلو من الصعوبات ذلك نظرا لطبيعة الموضوع أو يعود ذلك الى المجتمع المدروس نفسه .

وبحثنا هذا هو من البحوث التي تعتمد على الروايات الشفوية ذلك نظرا لان المجتمعات الإفريقية كبقية مجتمعات العالم الثالث تعتمد في مرجعيتها الاجتماعية على الذاكرة الجماعية التي يمثلها كبار السن ، من هنا و جدنا انه من الصعب الوقوف على الحقائق العلمية ذلك عائد الى كون الروايات الشفوية متعددة ومتضاربة فيما بينها في بعض الأحيان .

كما تعتبر القيم الاجتماعية المحافظة عائق أمامنا للوصول إلى بعض المعارف التي يراها المجتمع من بين الأمور التي لايجب البوح بها حتى بين الفرد و أصدقاءه

أضف الى ذلك قلة المراجع والمصادر التي تتناول هذا الموضوع ، وبالأخص تلك التي تتناول تاظروك كدراسة علمية اجتماعية.

لقلة الإمكانيات والأدوات البيداغوجية لتناول مثل هذه الدراسات ذات الأهمية العلمية والاجتماعية .

صعوبة حصر المجتمع في مكان وزمان معينين، ذلك نظرا للحركة التي يقوم بها البدو والمستقرون الذين يمارسون نصف البداوة.

10) الدراسات السابقة:

لقد كان مجتمع التوارق منذ القدم مجذب لأنظار العديد من الفضوليين ،و موقع انتباه الكثير من الرحالة و الجغرافيين و التجار القدماء ،فوصفوه بإشكال مختلفة ،فمنهم من استغرب و البعض الأخر جبرته بعض عاداتهم و تقاليدهم ......الخ.

لذالك سنحاول إلقاء نظرة عامة على هذه الدراسة ،ابتداء من أقدم مؤرخي الا غريق و الرومان الذين وصفوا الشعوب (القرامنت)،حيث يظهر جليا اليوم ان (ايموهاغ) هم أخلافهم

،حيث تخص بذكر بعض باحثيهم هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد ،و كما نعلم أيضا و بفضل ديفرييه DUVEYRER ان الشعب التارقي منحدر من الليبيين و النازيوس[1].

تكون الشعب التارقي نتيجة تراكب الشعوب البربرية ،التي يشهد عليها سابقا في الألفية الأولى من طرف علماء ما قبل التاريخ بفضل النقوش و الرسومات الحجرية،ولا سيما التي تخص العربات المكتشفة في التاسيلي و الهقار و ادرار-ان-فوغاس،تمثل الكتابات الليبية و الفينيقية همزة وصل بين الثقافة التارقية الحالية ،و الشعوب البربرية في التاريخ القديم التي كانت تعيش في المغرب و الصحراء[2].

ويرى ريمون فيرون R-FURANE ان ابن بطوطة هو اول من ذكر كلمة الهقار و ذالك أثناء رحلته عندما ترك حاو-GAO سنة 1350 متجها شمالا ماردا تاكودا ،وشق طريقه وسط صحراء جرداء خالية من الماء و النبات ،وواصل سيره مدة 15 يوما حتى وصل ببلاد الهقار التى قال بأنا قبيلة بربرية[3].

ويبدو من كتابات ابن بطوطة انه يعجب بطباعهم ،كما لم يطب له المقام بينهم ،و ربما يكون السبب راجعا الى انه لم يوفق في الزواج منهم ،و لذا اتسمت كتاباته بالمبالغة ،ومع هذا فقد وصف التوارق وصفا حقيقا ومن عدة جوانب .

كما أتى بعده عدة علماء كابن خلدون ،الذي اهتم بدراسة أجداد التوارق من الصنهاجيين ،الذين ردهم الى أصول عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية ،و كما يحدثنا بعد ذالك عن الطبقة الثانية منهم و قد ساهم صنهاجة الملثمون ،حيث كانت كتاباته عن الملثمون ذات طابع علمي لوصفه للوصول النسبية

للتوارق ،وكذا نظامهم الاجتماعي .....الخ

وكما يتحدث هذا الأخير في كتابه (تاريخ البربر) عن هوارة الذين عرفوا على أنم أصل كيل آهقار ،الحاليين عن طريق جدتم الأولى تيسكي العرجاء ،أثار هؤلاء المؤلفين معلومات

---

[1] -Badi Dida : « touaregs de l'adagh des Ifoughas » , mémoire Magistère ; université mouloud Mammeri Tizi Ouzou , 2000,p :18..

[2]- مرموري حسن : " التوارق بين السلطة التقليدية و الادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين " ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر .2001/2000 ،ص:32.

[3]- نفس المرجع ،ص: 33.

مفصلة عن التنظيم الاجتماعي للشعوب التي تعيش داخل الصحراء ،و تمتد هذه المعلومات الوصفية على فترة خمس قرون ،و تكتمل مع ليون الأفريقي 1552م.

و من هذا الأخير لا نعرف شيئا عن قرنين ونصف من تاريخ الشعوب التي تعيش داخل الصحراء الكبرى الى غاية القرن 17.الذي عدة حملات للعديد من الباحثين الأوربيين و نظرا لتنوع اتجاهاتم و اختلاف ظروف أبحاثهم ،لذا ارتأينا ان نقسم بحثهم الى عدة مراحل.

- المراحـ ـ ـ ـل:(هذا المحور منقول عن رسالة ماجستير مرموري حسن)

_مرحلة المغامرة؛الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا في القرن الثامن عشر ،قد أدت الى ضرورة إيجاد منافذ لصناعات و منتجات القوى الاستعمارية الكبرى ،في هذه الحركة الناتجة عن المنافسة الاستعمارية بدأت رحلات المغامرين ،وكان الألماني بارث الذي موله الانجليزي في رحلته لعبور الصحراء نحو منطقة وراء فضول المغامرين و المستكشفين بعد نشر كتابه (رحلات و اكتشافات في إفريقيا الشمالية و الوسطى)1860.و أثرت المعلومات التي جاءت في هذا الكتاب ،فضولا كبيرا في توجيه نظرة الأوربيين لفترة طويلة حول الصحراء و سكانا.

ديفرييه الذي لم يكن بعيدا عن نفوذ الاستعمار الفرنسي الذي وصل الى غاية مشارف الأجر ،احتلال تيماسينين 1860 ،قد أورد معلومات عن طريق الاستطلاع الذاتي ،و عن طريق القصص الشفوية التي جمعها بنفسه عن أصحاب المعرفة التقليدية،و لا سيما دليله عثمان.

ان هذا المغامر الذي يصف الطوارق peuplade قد استأنف أطروحة بارت حول استيطان الصحراء التي حسبه كانت في البداية موطنا للسود الذين يرجع إليهم كل أثار الحضارة المادية التي نجدها حاليا في الصحراء .و اعتبر القرامنت بمثابة شعب اسود ،و الذي توصل الى درجة حضارية لم يصل إليها غيره بعد.

حادثة فلاترز 1881 قد آدت الى توقف محاولات المغامرين و المنصرين،لاكتشاف أسرار الصحراء ،و تأخذ عملية التوغل الفرنسي مدة عشرون سنة ،و في هذا الوقت بقيت صحراء الطوارق (ايموهاغ)بمثابة بقع بيضاء ،و في الخرائط الاستعمارية الفرنسية بإفريقيا الغربية ،و الصحراء الوسطى.

هذه الوضعية لم تؤدي إلا بزيادة تحريضهم لإكتشافها ،وهو الإتجاه الذي سيطغى لاحقا ،خاصة عند الضباط السامون للجيش الإستعماري .

المرحلة الإستعمارية :

بعد إستتباب الأمن الإستعماري بالثمن الذي نعرف ،فإن المرحلة المقبلة تميز العلاقات بين المجتمع التارقي و القوة الإستعمارية ،هي تكوين إدارة إستعمارية ،و لايمكن أن يتم ذلك في الواقع بدون العمل على البنية الإجتماعية السياسية للتوارق ،وتغييرها بما يتناسب والسياسة الإستعمارية ، هذا الإهتمام الجديد للإدارة الإستعمارية قد إنعكس على الأعمال التي تليه ،والتي تتعلق بالمجتمع التارقي ، حيث أصبح يدرس من هنا فصاعدا عن قرب ،والإهتمام أكثر بمواضيع أكثر عمقا في الانتولوجيا و هكذا بدأت تظهر في الأربعينات .

ويكن تقسيم هذه الفترة إلى جزئين بسبب طولا أولا ثم كونا قد طورت إلى حد كبير معرفة المجتمع التارقي .

_ فترة الإتصال العنيف :

عرفة هذه الفترة بعض المناوشات بين الجيش الإستعماري وبعض المحاربين التوارق(إموهاغ)إبتداءا من إحتلال تين بكتو 1893،وإن-صالح 1900،إلى غاية المأساة الدموية من جراء الثورات التي أحدثت حدثت إبان الحرب العالمية الأولى (أمود وان قدازن) 1916 فيهرون أق أنصر 1916، كوسن 1919،وكنتيجة لعدم تكافؤ القوة، فإن غلبة الحضارة الغربية قد فرضت ما يسمى بالسلم الإستعماري ، مهما كان الثمن حتى وإن كان ضرورة تبديد مجموعات بأكملها و إستعمال البعض ضد البعض الآخر وتفكيك البنية السوسيو سياسية للتوارق .

شهدت هذه الفترة إتصال عنيف بين التوارق الذين لهم صورة تقليدية للحروب –تعتبر فعالة بالنسبة لهم – والضباط الذين ينتمون غالبا إلى الطبقة البرجوازية الكبرى ، و الراغبين في تسجيل شرف احتلال عدد من المناطق في سجلاتهم الشخصية ، هؤلاء الذين سيستأنفون خبراتهم بالاتصال مع مجتمع التوارق في روح الغالب الذي يتحدث عن المغلوب .[1]

ترك لنا بعضهم كتابات مهمة ، حتى وان لم تكن تمثل سوى آراءهم الشخصية ، الا أنها تمدنا بمعلومات مذهلة حول عقليتهم ، و الطريقة التي يقدمون بها المجتمع التارقي لاسيما (Gaedel.1961)و(Rèchier.1924)و (Benhazera.1906) .

---

[1] -Badi (d) : Op. Cité .P :20.

العمل المرجعي للأب فوكو خاصة قاموسه تارقي فرنسي 1918 ، لايمكن أن يقارن على مستوى النوعية و العطاء العلمي ،بالأعمال السابقة التي لا تخرج عن الإطار الوصفي .مهمة بدون شك لم يكن يغلب عليها الطابع البيوغرافي ،الذي يؤثر غالبا على المعلومات ،التي يصعب التحقق منها ،الشيء الذي يكون صورة غير - متكاملة الأحداث في المتمع التارقي.[1]

فترة السلم الإستعماري :

بعد استتباب الأمن الإستعماري بالثمن الذي نعرفه ،فإن المرحلة المقبلة التي تميز العلاقات بين المتمع التارقي و القوة الاستعمارية ،تتمثل في تكوين إدارة استعمارية ، هذا الاهتمام الجديد للإدارة الاستعمارية قد انعكس على الأعمال التي تلته ،و التي تتعلق بالمتمع التارقي ،حيث أصبح يدرس من هنا فصاعدا عن قرب و الإهتمام أكثر ،فأكثرت بمواضيع عميقة في الأنترلوجيا ،وهكذا بدأت تظهر في الأربعينات مراكز علمية متخصصة تؤطر باحثين محترفين ،للاهتمام أكثر بالمادة العلمية و المعرفة، و التي أعطت دفعا شاملا للأبحاث المتناولة للمجتمع التارقي بصفة عامة ،من بين هذه المراكز IFAN في داكار ،ومتحف بارادو BARDO،وقد ساهمت في نشر وإثراء المعارف من مختلف الاختصاصات ،وفي مختلف الميادين ولا سيما ما نشر في دوريات IFON و وليبكا LYBICA وغيرها .

ومن بين هؤلاء الباحثين نجد إسم M.REYGASSE،الذي ساهمت أعماله في مجال ما قبل التاريخ _وبالخصوص حفر قبر تين-هنان ابلسة عام 1925،بصفة فعالة في معرفة الاستيطان القديم للصحراء إن هذه الأعمال بصفة عامة وحفر قبر تين –هنان قد أدت إلى جدل كبير لم يغلق بعد بين علماء الآثار ما قبل التاريخية.

ساعدت أبحاث (M.REYGASSE)،في فتح اتجاه جديد لمعرفة استنباط الصحراء ، هما سمح الأول مرة بربط العلاقة بين الاستيطان في ما قبل التاريخ ،و فخر التاريخ لهذه المناطق مع الاستيطان الحالي ،خاصة ما يتعلق بالتوازن ،من خلال الآثار ما قبل التاريخية .

هذا الاتجاه الجديد للبحث، سوف يستعمل بفعالية من طرف الباحثون مثل:H.LOGHTE 1982 و TMOND والي اليم ،الذين يعمدون عن اكتشاف كل الأسرار ،لكن هذه الأبحاث التي تندرج في الوقت الذي كانت فيه المدارس الانجليزية EVANS PRITCHARD.RACHIFF BRAWN قد أرسو

1 -Badi (d).Op. Cité. p :20.

الأفكار الأساسية للانتربولوجيا الاجتماعية ، لم تكن لتستفيد هذه الدراسات حول التوارق،من ثمار الأنتربولوجيا الاجتماعية إلا بعد مجيء J.NICOLAISON إلى الميدان ،الذي أدخل منهج المقارنة عند المتخصصين في الدراسات حول المجتمع التارقي ،بمقارنة البنية السوسيو سياسية لاهقار مع نظيرتها في اير (بالنيجر) .

3_المرحلة بعد الاستعمارية:

غادر معظم الباحثين الأوربيين إفريقيا مع حركة الاستقلال ،بينما بقي بعض الملتزمين في ميدان الدراسات التارقية ،لغرض مواصلة تلك الأعمال بصفة منتظمة ،مثل R.BERNUSالذي نشر كتابه حول غذاء سكان الهقار في سنة 1968.

هناك عدد من الدراسات حول التوارق ،و ان كان قد تضاءل بالنسبة إلى توارق أزجر و اهقار ،في هذه الفترة الأخيرة لصالح توارق الجنوب ،قد أدى إلى خلق تقليد قوي للأبحاث ،و إلى تكوين مجال حقيقي للدراسات ،و الذي استمر حتى بعد حركة الاستقلال في إفريقيا.

في الواقع إن الأرشيفات التي تم نقلها من المراكز العلمية القديمة (الجزائر و داكار بالسينيغال)،إلى المراكز المتخصصة و على الخصوص في AIX-EN-PROVENCE و fort Vincennes بفرنسا قد ساهم في مواصلة هذه الأبحاث عن المجتمع التارقي .

وبذالك ظهر جيلا جديدا من الباحثين الفرنسيين في السبعينات مثل:cassajus-h.claudot وa.borgeot إلى جانب الانجليز أيضا مثل l.brock،لقد وضع كل هؤلاء في تطبيق نظرية جديدة للأبحاث في ميدان المجتمع التارقي ،و في مجالات الأنتربولوجيا ،الأدب ،علم الإنسان و قد سيطر هذا المجال الأخير على العشرية 1970_1980.

ب-الاتجاهات في حقل الدراسات حول التوارق:

حتى وإن لم تكن هذه الدراسات اختصاصية ،فإنها تشهد على الاختلافات التي ما زالت موجودة ،و ستبقى كثيفة في معرفة المجتمع التارقي ،هكذا فإن الإنتاج الوفير للمعارف حول التوارق ،قد أدى في هذه السنين الأخيرة ،إلى تكوين ثلاث اتجاهات مختلفة يمكن تميزها بين المختصين.

_ **الاتجاه الأول:** يمثل هذا الاتجاه قدماء ضباط الجيش والإداريين الاستعماريين للمنطقة ، الذين لم يتحصلوا بعد ثلاثين سنة من الاستعمار على حقائق حول المناطق الصحراوية ، والشعوب التارقية الذين سيروهم رغم ذلك والعصي في يد غالب .

تمثل هذا الاتجاه حاليا جمعية "الرحالة " التى تصدر مجلة تحمل نفس الاسم ، تحتوي على مقالات جيدة في الغالب على التوارق ، والصحراء على العموم ،و بالنسبة لهذا الاتجاه فان المهمة الحضارية لفرنسا قد أوقفت جراء استقلال الدول الإفريقية ،قبل أن تتوصل إلى أهدافها ،و اليوم أيضا على فرنسا أن تحتفظ بدور مناسب لدى هؤلاء الشعوب.

مقالة إداري فرنسي بين الماضي و المستقبل، في ذاكرة الاستعمار:العلاقة مستعمر /مستعمر(1994-217-211) يمثل بما فيه الكفاية رأي هذا الاتجاه.

_ **الاتجاه الثاني:** لقد ظهر كما يبدو اتجاه ثاني في هذه السنين الأخيرة ،و الذي يرى أن التوارق لم يكونوا على الإطلاق مجتمعا متجانسا . ولا يمكن حتى إستعمال مصطلح مجتمع للإشارة إلى مختلف المموعات التارقية و الصواب ان نتحدث عن مجتمعات بالجمع ،و حسب هذا الاتجاه فإن التوارق يقدمون منذ القدم شكل مجموعة جماعات في نزاع بينها ،والتي تتمتع ببنية غير متساوية ،ولا تسمح بتكوين أمة بأتم معنى الكلمة ،BOURGEOT يبدو من خلال كتابه الأخير كالممثل الأكثر بروز لهذا الاتجاه ،و على الخصوص في مدخل كتابه المتمعات التارقية sociétés .touareg 1995

،الذي يتكون من جمع مقالاته السابقة خلال خبرته في مجال الدراسات التارقية ،من الواضح ان استعمال كلمة مجتمعات بصيغة الجمع يتحمل انه ليس هناك مجتمع تارقي واحد،لكن مجتمعات عديدة ،و الواقع فقد التحق به بعض المؤلفين مثل:D.cassajus من خلال مقالة[1] (les amis français de la cause Touaregues)./

-الاتجاه الثلث : يرى هذا الاتجاه ان التنظيم السياسي ، في الكونفدراليات المستقلة عن بعضها البعض ، التي وجد عليها الفرنسيين التوارق ، من حيث الغة والنمط الحكم والتنظيم الاجتماعي ، ل ايخفي وحدة الثقافة التي تجمع التوارق ، الذين لهم روابط مع السلطات المركزية.

---

[1]-Cassajus (d) ; « les amis français de la cause Touaregues », in cahier d'étude africaines ; vol 35,n 137,1995.

يتمثل حاليا هذا الاتجاه الباحث H.claudot Hawad خاصة في كتابه touareg portrait en fragment تستند الأطروحة الأساسية لهذه الباحثة قوتا من مفهوم تموست(temoust) من فعل يموس (umos) الذي يعني الهوية ،يستعمل هذا المفهوم تقليديا عند مجتمع التوارق ،في دوائر مركزية مختلفة ،يستعمل أولها للانتماء إلى الكونفدرالية ،مثل:(توماس –ن-أهقار) والتي تدخل في دائرة أخرى أكثر اتساعا تميزها عن باقي الأمم ،عاد مفهوم (توماست) الى النشاط في السنوات الأخيرة ،خاصة في النمط الحالي عند الوطنيين التوارق ،يتصادم هذين الاتجاهين الاخيرين في مناقشة فكرية يستعرض كل من : Bourgeot, H.claudot في مقاربتيهما المتعارضة حول التمع التارقي [1].

هذه المناقشات ستؤثر حتما في توجيه الأبحاث مستقبلا على التوارق و تعلن بداية عهد جديد في نظرة الباحثين الوطنيين .

01_**مالي و النيجر:** في الوقت الذي يستنبط مؤيدي تموست حججهم من المعرفة العميقة للميكانيزمات التي تحرك التمع التارقي ،و من معاينات ناتجة عن رؤى جديدة بين الأجيال الشابة ،فإنه كما يبدو وجدت أطروحات Bourgeot بعض المؤيدين من الباحثين الوطنيين خاصة الذين لهم روابط مع السلطات المركزية .

هذا يعود إلى كون هؤلاء الباحثين متورطين مباشرة في صياغة سياسات معينة نحو مواطنيهم ،التوارق في نفس الدولة ،من بينهم A.Salifo في كتابه (la question touareg au Niger 1994)

الذي ساهم في الماضي ،و بكثرة في معرفة التمع التارقي خاصة في فترة الاحتلال ،وتمرد كاويس ترأس اللس الأعلى للثورة في الوقت الذي تجري فيه (أحداث الشمال) بين سكان التوارق في شمال النيجر و كتيبة "تين تبراضين"،و في الواقع فإن كتابه السابق جاء ردا على عرض منوديك (Mano dayak) حول تلك الأحداث في كتابه "مأساة التوارق"[2].

باحث نيجري آخر D.Hamani،وكما يبدو من خلال قراءة كتاباته يلتحق بأطروحة Bourgest،حسب رأيه لم يسبق أن وجد على الإطلاق في الماضي مجتمع تارقي موحد لا سياسيا

[1] -voir ;A. Bourgeot .et H .Claudot : « in cahiers d'étude africaines », vol 35.N137.1995.pp.659_685.

[2] -Mano dayak : « touareg tragédie » ,latter ,paris .1992. p :25 .

ولا اقتصاديا .يظهر هذين الباحثين عبارة عن همزة وصل بين أنصار الاتجاه الثاني من الأوربيين و هدف سياسة الدولة ،التي عوضت الاستعمار في تسيير شؤون المواطنين بالنسبة لهذه الدول ،فإن وجود " أمة " تارقية يتعارض مع تكوين " الدولة الأمة" حسب النمط الأوربي .

و يجب الاعتراف على أن هؤلاء المؤلفين لهم الاستحقاق في توسيع مجالات دراسات التوارق ،في العلاقات بين هذه الشعوب ،و الدول الناتجة عن الاستقلال .

لقد تم طرح هذه العلاقات بصفة عامة من طرف الحركات السياسية العسكرية في السنين الأخيرة بصفة تعكس من النظرة الأولى كإعادة حركية اجتماعية بعد الصدمة الاستعمارية، علاقات مثل هذه لابد أن تكون موضوع ملاحظة متأنية لدراسة معمقة[1].

02_ليبيا و الجزائر:

و على العكس من مالي و النيجر ،لم يحظى حقل الدراسات في هذا المجال بالأبحاث اللازمة في هذين البلدين بعد الاستقلال ،إلا في بعض الاستثناءات المعزولة .

القشاط في كتابه الذي يحكم فيه من خلال عنوانه أن التوارق عرب الصحراء الكبرى [2]. يمثل صورة الاتجاه السياسي الذي كان يسود المجتمع الليبي في نهاية السبعينات و بداية الثمانينات ،لتحقيق حلم وحدة الوطن العربي الكبير ، فكانت مهمته إثبات الهوية العربية للطوارق ، و بالتالي الانتماء إلى الوطن العربي الكبير ،و قد اعتمد على ابيات شعرية نسبها إلى هؤلاء (التوارق) و جعل منها أدلة قاطعة .

أما السويدي في رسالته " بدو التوارق بين الثبات و التغيير "[3] ،اخذ مدينة تمنراست التي اعتقد أنها واحة كعينة لدراسته التي كلنت في جزئها النظري تعتمد على الطابع الوهمي الذي ابتدعه الفرنسيون و لا سيما Henri Ihot ،تطرق في الجزء الثاني التطبيقي الى معطيات إحصائية ،لتمجيد سياسات التخطيط التي أفلست نصف الكرة الأرضية .

وعلى كل وإن كانت هذه الدراسات تكشف لنا النماذج السياسية السائدة آنذاك ،شعارات ،قوميات ،أحلام الوحدة فإنها تفتح مجالا جديدا للدراسات العربية حول المجتمع التارقي التي كان آخرها في القرون الوسطى .

---

[1] -Badi Dida ,op-cité, p :29.

[2] -القشاط محمد :التوارق عرب الصحراء الكبرى ،ط2 .سردينيا .أديتار 1989.

[3] -السويدي محمد :بدو التوارق بين الثبات و التغيير .مرجع سابق الذكر.

_الباحثين المحليين: وقد توسع مجال دراسات التوارق في السبعينات بقدوم جيل جديد من الباحثين الوطنيين ،يرى هؤلاء الباحثين سيسمح بإنشاء نظرة جديدة كانت غائبة في مجال الدراسات التاريخية الأولى،مرة ينتقل الاوتوكتون (Autochtone)[1].من وضعية موضوع الدراسة الى فاعل يفكر في مجتمعه.

يظهر جليا من خلال قراءة أعمال هذا الجيل ، أن أغراضهم و مصادر مقاربتهم لتمعهم ،سيختفي بالضرورة عن الدراسات التي نشطها الكرولوجيين و المغامرين الأوائل في بداية القرن العشرين ،لا بد من التذكير أنه في الآونة الأخيرة ظهر عدم توازن واضح ، بين عدد من الباحثين المحليين في مجال الدراسات التارقية لصالح بلدان الجنوب الصحراوي مقارنة مع توارق الشمال ،حيث لا يتجاوز عددهم أربعة ، و في المقابل نجد في الجنوب أكثر من 30 باحثا ، سواء بصفة منظمة أو متقطعة ،يمكن ان نفسر عدم التوازن هذا بقلة العدد مقارنة مع الجنوبيين[2] .

أما الالات و الجرائد المستقلة منها و الرسمية، فقد عملت على إرسال صورة فلكلورية لا تتعد كثيرا عن الأساطير التي تحدث عنها الأوربيين كثيرا،في القرن التاسع عشر ، و اتخذت من التوارق متحفا و مخزنا سياحيا ، بجانب الصور و النقش ما قبل التاريخ ، و المناطق الخلابة للتاسيلي و اهقار و حتى أصبح التارقي مرادفا لرقصة فلكلورية أو لصورة تذكارية.

---

[1]- الاوتوكتون : السكان الأصليون.

[2] -Badi Dida .Op, Cité .p : 30.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

بوادر استيطان البدو التوارق (إموهاغ) في الوسط الحضري

دراسة سوسيو ثقافية لمدينة تاظروك

مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص

علم الاجتماع الثقافي

إعـ ـداد:

زندري عبد النبي

الإشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الغني مغربي

2005/2006

المحتـــــويات

الفصـــــــــل التمهيدي

الجـــــــــــانب النـــــــــظري

الفصــــــــل الأول

البــــــداوة في التمعات المعاصـــــرة

الفصـــــل الثاني

بنـــية النظام الاجتماعي لإموهـــــاغ

الفصـــــل الثالث

بوادر استقرار البدو إموهاغ في الجزائر الحديث

الجـــــــــــانب المـــــــيداني

الفـــصل الأول

نظــــرة جغرافية وفيزيقية و ديمغرافيـــة

الفصـــل الثـــــاني

السلطة الاستعمارية والنظام الاجتماعي التقليدي

الفصـــــل الثالـــــث

تنمية مدينة تاظروك و أهم التغيرات الاجتماعية الحاصلة فيها

مقـــــــدمة

أضحى موضوع التوطين احد المواضيع التي تشغل العديد من المنظرين ؛ من علماء الاجتماع والانتربوجيين وكذا السياسيين ، هذا الانشغال أفضى الى وضع عدة دراسات حول طبيعة ونمط حياة المجتمعات المراد توطينها وتقديم دراسات حول سبيل توطينها وتقديم أفكار من اجل تحقيق ذلك دون ما تغيرات في حياتهم ، ولاشك في ان التخطيط العلمي هو السبيل الأنجع لتحقيق ذلك . ودول العالم الثالث ماهي إلا إحدى اكبر الدول التي تعاني من مشكلة البداوة كظاهرة تعيق ديناميكيتها وتطورها لبلوغ ما وصلت إليه الدول المتقدمة، ذلك ما دفعهم لتفكير في سبيل توطين البدو.

يضم الوطن العربي جماعات بشرية تسكن الصحاري والسهول والهضاب والجبال والواحات ، وهي تحيى بين التنقل والاستقرار في هذه المناطق بطريق رشيدة تدف الى استمرار البقاء من خلال الاستخدام الأمثال لبيئة فقيرة تبعثرت فيها الموارد في مساحات شاسعة .فبعض الجماعات الصحراوية تعيش حياة استقرار دائم وبعضها الأخر يجوب الصحراء شتاءا و يحتمي في ظل الواحات صيفا ، هذه الجماعات لها تنظيمها الاجتماعي وثقافتها التي تشترك في بعض عناصرها مع جماعات أخرى تظل تحتفظ بالبعض الأخر من العناصر الثقافية التي تميزها عن غيرها ، تماما مثلها مثل أي جماعة بشرية أخرى .وقد كان لهذه الجماعات الصحراوية في بعض الفترات تنظيمات العسكرية .وكانت لها أيضا قدرة على سياسة شئونا .

وبما هذه المجتمعات العربية الصحراوية منها خاصة في حالة تغير مستمر مثلها مثل باقي المجتمعات العربية ، فان التغيرات التي تطرأ على مكونات الحياة الاجتماعية والثقافية لا تسير بمعدل واحد .ولا تتم بسرعة واحدة فالجوانب المادية للثقافة غالبا ما تسبق الجوانب اللامادية أو المعنوية . و يترتب على ذلك " التخلف ثقافي" تتسم فترته غالبا بحدوث تفكك في العلاقات الاجتماعية ولذا فان التخطيط في نظر بعض المفكرين لا بعد وان يكون عملية إعادة تنظيم المجتمع نتيجة لاختلاف معدلات التغير بين عناصر الثقافية[1].

هذه التغيرات الحاصلة بسبب الانتشار الثقافي المادي منه المعنوي والذي تحركه العولمة بأسلحتها التكنولوجية الحديثة جعل لزوما على المجتمعات التقليدية الدخول في مجاله، لكن هذا الدخول يجب ان يكون في ظل تخطيط محكم و ممنهج بطريقة علمية تحافظ على النمط الاجتماعي لهذه المجتمعات ؛ كما يدخلها الى المجتمعات التكنولوجية دون فقدان ماهيتها .

فالجزائر بعد استقلالها ورثت أوضاع مزرية دفعتها للتخطيط على جميع الأصعدة ، منها صعيد توظيف البدو في المناطق الحضارية لهدف تسهيل ترقيتهم الاجتماعية وتحكم في سرعة التغيير الاجتماعي الذي يشهد ه المجتمع.

---

[1] - محمد السويدي : " بدو الطوارق بين الثبات والتغير ".المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.ص:05.

ومن بين هذه التمعات الجزائرية تستحق الدراسة هو التوارق "إموهاغ " الذي له خصائص متداخلة مع نمط الحياة البدوية في الصحراء الكبرى ، البعض الأخر تعتبر خصوصية تتعلق بنمط حياة وطبيعة التقليدية التارقية من نظم اجتماعية مهيكلة له.

ومن اجل الوصول الى حقائق علمية ذات أهمية في توطين التوارق "إموهاغ" وغيرهم من البدو في الجزائر قمنا بتقسيم عملنا الى ثلاثة مراحل هامة وهي كالأتي:

الفصل التمهيدي الذي خصصناه للجانب المنهجي للدراسة حيث يحتوي على عل أسباب اختيار الموضوع وأهميته ثم تطرقنا الى الدراسات السابقة حول التوارق التي كانت تمهيدا لإشكالينا معتمدين في ذلك على المرحلة الاستكشافية حول الموضوع .فبعد البناء الإشكالي وضعنا الفرضيات إيجابه مسبق على تساؤلات الإشكالية ، وبعدها وضعنا المفاهيم الأساسية وبعدها المنظور المنهجي العلمي الذي تعتمد عليه في الدراسة حيث اعتمدنا على المنظور الخلدوني في تحول التمع من البداوة الى الحضر كما اعتمدنا على الدراسات الإنتربولوجية و البنائية الوظيفية لكي تساعدنا في تحليل الوقائع السسيولوجية و الاقوف على حقائقها .

وبعدها وضحنا ماهي الطريقة المنهجية التي نتبعها لأجل ذلك و ماهي الأدوات المنهجية التي نعتمدها في الميدان .ثم عرجنا على الميدان الدراسي المكاني منه و الزمني الذي نجري فيه دراستنا و آخر الفصل تطرقنا الى الصعوبات التي واجهتنا في الميدان أما الجانب النظري فقد احتوى على ثلاثة فصول .الفصل الأول تطرقنا فيه الى البداوة في التمعات المعاصرة و الذي تطرقنا فيه إلى العموميات حول البداوة ثم ملامح البداوة في الوطن العربي و الذي أتبعناه بظاهرة البداوة في الوطن العربي ثم البداوة في الجزائر

أما في الفصل الثاني فكان حول بنية النظام الإجتماعي لإموهاغ حيث تطرقنا إلى أصل إموهاغ و موطنهم ثم الأنظمة الإجتماعية التقليدية لإموهاغ و بعدها تطرقنا إلى أوجه النشاط الإقتصادية في التمع التقليدي و في آخر الفصل تطرقنا إلى التصنيف الإجتماعي لهم

بعد عرض البناء الإجتماعي لإموهاغ تطرقنا في الفصل الثالث إلى بوادر إستقرار البدو إموهاغ في الجزائر الحديث حيث تناولنا بوادر التغيير الإجتماعي في عهد الإستعمار الفرنسي ثم إلى الهياكل الإدارية بعد الإستقلال وبعدها التحولات الطارئة على النظام الإقتصادية بعد الإستقلال وفي ختام الفصل تحدثنا عن الخطط التنموية لعصرنه التمعات التقليدية في الدولة الجزائرية

أما في الجانب الميداني فقد احتوى هو كذالك على ثلاثة فصول حيث تناولنا في الفصل الأول إلى النظرة الجغرافية و الفيزيقية و الديموغرافية لمدينة تاظروك التي هي قيد دراستنا الميدانية حتى يتسنى لنا معرفتها و الإحاطة بها طبيعيا و بشريا

أما في الفصل الثاني منه قد تناولنا بالتحليل والدراسة إلى السلطة الاستعمارية و النظام الإجتماعي التقليدي وفي درسنا خضوع السلطة التقليدية للإستعمار الفرنسي ثم النظام الإقتصادية التقليدي و سيطرة الإستعمار و أنفر نجا بالدراسة إلى الحياة الإجتماعية في ظل الضغوطات الإستعماري بعدها ختمنا الفصل بالمظاهر الثقافية و السياسية الاستعمارية

فكان آخر الفصول الميدانية هو الذي تناولنا فيه تنمية تاظروك و أهم التغيرات الإجتماعية الحاصلة فيها و الذي أفضينا فيه إلى النظام الأسري و مكانة المرأة في مجتمع إموهاغ ثم التنشئة الإجتماعية و الحياة الثقافية و بعدها التنظيم الإجتماعي و أوجه الطرقية في تاظروك فكان بعده نظام السلطة و الخلفية العصبية ليليه النظام الإجتماعي و تلاشي التلاحم العصبي فالسياسة الإسكانية في تاظروك ليكون بعدها تطور النشاط الفلاحي في مدينة تاظروك ثم ظهور المرافق الإدارية و علاقتها بالمتمع و في آخر الفصل تطرقنا إلى ظهور الإعلام و وسائل الإتصال و دورها الإجتماعي و كانت نهاية العمل تحصيل النتائج التي وصلنا إليها في دراستنا لأهم التغيرات الطارئة على إستطان إموهاغ في تاظروك و كذا أهم التحولات الإجتماعية الحادثة في مجي السياسة الإستطانية المطبقة من طرف الدولة الجزائري

الإطار
النظري

الفصل الثاني

ملامح البداوة في الوطن العربي

تمهيد : ان ظاهرة البداوة هي نمط اجتماعي منتشر في الأوساط العربي من الخليج الى المحيط ، تشترك البلدان العربية في العديد من صفاتها لذا سنحاول في هذا الفصل التطرق الى أهم التغيرات الحاصلة فيها وكذا أهم النظريات المعتمد في توطينهم .

أولا : البداوة في المجتمعات المعاصرة:

أ)- مفهوم البداوة :

البداوة هي أقدم نمط اجتماعي عرفه الإنسان، في اول سعي له ، في تكيفه مع الظروف الطبيعية . فبالبداوة افتتح الإنسان صلته بالبيئة من حوله ، وينتزع بها رزقه فطلبه متطفلا على مائدة الطبيعة المبسوطة أمامه في كرم واسع حينا ، وفي شح ضيق حينا آخر ، يجمع ثمار الأشجار من على وجه الأرض يطعمها ويعالج جذور النبات في باطن الأرض فيلتهمها .[1]

أما في عصرنا الحالي، فيوصف بأنه مجتمع يضم مجتمعات محلية تحيا في العصر الحاضر حياة تقليدية ،وتتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية، وتعدد وظائفها،كما يشمل حالة حضارية اقل تقدما إذا ما قورنت بحالات حضارية أخرى متقدمة، سواء أكانت في الماضي أو الحاضر.

يعرف د.محي الدين صابر البداوة بأنها:" نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة، يتوقف مدى الاستقرار على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها ،من ناحية،وعلى كافة الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية ،وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يوفر فيها من ناحية ثالثة[2]" .هذا يعني أن البداوة مرتبطة بالاستقرار من جهة، ونمط وطبيعة العيش من جهة أخرى، حيث ينتقل البدو من مكان إلى آخر في طلب الكلأ لماشيتهم ،هذا ما ينعكس على طبيعة حياتهم والوسائل الحياتية لديهم . ولكن من جهة أخرى، قد ربط الكثير من الباحثين بين البداوة كظاهرة والصحراء "البيداء «. أي أن البادية هي الصحراء، ومن ينسب إليها فهو بدوي، ومن أقام بها فهو مبتدى، والإطار العام الذي يشمل

---

[1]- الدكتور محيي الدين صابر:" عوامل التغير الحضاري في نمط الحياة البدوية". في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية رعاية البدو وتحضيرهم وتوطين ، القاهرة .1965، ص317.

[2]- نفس المرجع.ص:318.

الإقامة في الصحراء، والتعود على العيش فيها هو البداوة، فالبدو هم أصحاب 'المنجمة' وارتياد الكلأ وتتبع مصادر المياه[1].

وقد كان ابن خلدون سباق الى تصنيف أنواع البدو عندما وضعهم في مستويات ثلاث، تبعا لدرجة (ظعنهم) في الصحراء، وبعدهم عن الحضارة ،فهناك البدو الذين يعتمدون على الإبل في معاشهم ويطلق عليهم ابن خلدون اسم " الآبالة " أي رعاة الإبل، ويليهم في الترتيب (الشاوية) أي أصحاب الشاة وهم رعاة الضأن ، وقد وضع معهم على نفس الدرجة (البقارة)، أي رعاة البقر، ويأتي في أسفل السلم الممتهنون للزراعة .كما حدد ابن خلدون أشكال البداوة الرعوية من خلال درجة تأصل ظاهرة البداوة، من عدمه حيث توجد أربعة أشكال هي:

أ- البداوة الخالصة: وتمارس الجماعة البدوية خلالها (الظعن) في قلب الصحاري، ومن الطبيعي أن يكون دليلها في ذلك هو الجمل، بما أنه من قدرة وتحمل.

ب– البداوة الجزائية: وهي أقل تأصلا نتيجة لعدم قدرة الحيوان الراعي على التوغل داخل الصحراء، وقلة احتماله للجفاف الشديد في الصحراء، ومن هنا كان لجوء بدو هذا الشكل – خصوصا الشاوية منهم – إلى أطراف الصحراء.

ج– الإستقرار الجزافي : وبدو هذا الشكل قد مارسوا نوعا من الإستقرار بالقرب من المجاري المائية، وعند حواسي المناطق الزراعية .

د –الإستقرار الكامل : ويكون البدو خلاله قد استقروا تماما، واستبدلوا بعاداتم، عادات ونظما حضارية جديدة، ولم يعودوا مرتبطين بالقيم البدوية الخالصة .

مما قدمنا يمكننا استخلاص أن البداوة ترتكز على ثلاثة عوامل في حركتها الارتحالية:

1- كمية الموارد المعيشية: حيث أن الحلول بمكان والمكوث فيه، يقتضي توفر ظروف ايكولوجية ،منها الماء والكلأ ومكان يليق بالمخيم هذا، يعني أن البدو لا يحلون في مكان حتى يقوموا بعملية الاستطلاع ، ثم في النهاية يرسى بم الأمر إلى الاتفاق على مكان معين بعد التأكد من توفره على جميع مؤهلات الحياة.

2- توفر الوسائل الفنية لاستغلالها: هذا يوحي أن البدو رغم بساطة حياتم، إلا أنم يوفرون وسائل تكنولوجية بسيطة و مصنوعات يدوية لمواجهة قسوت الطبيعة، حيث نجد أن خيامهم

[1]- الدكتور محمد السويدي :" بدو التوارق بين الاثبات والتغير".مرجع سابق،ص:32.

سهلة التنصيب والتفكيك ،وكذا حملها على الإبل غير شاق ،ولديهم وسائل يدوية لتسوية أرضية المخيم ،وكذا الدفاع عنه ....الخ

3- **توفير الأمن الاجتماعي والطبيعي** : إن ضرورة توفير الاستقرار الاجتماعي في الترحال هو شيء أساسي للحفاظ على الأمن داخل الجماعة البدوية، حيث نجد لأمغار (رئيس)القبيلة المسيطرة على جميع القبائل له جميع السلطة في التسيير والدفاع عن الجماعة ،ومن جهة أخرى لكل جماعة بدوية حمى تحتمي فيه، حيث نجد أن لكل قبيلة أو جماعة بدوية منطقة للرعي ولها حدود مع بقية الجماعات المجاورة لها، هذه الحدود لها قوانين تسيرها والتي ترجع صلاحيتها إلى أمنوكال[1]عند مجتمع إموهاغ ، هذه الحدود توفر للجماعة الأمن الطبيعي.

كما اسبقنا الذكر فان الترحال الذي تقوم عليه البداوة، ترحلا أو تنقل (كمي) ،وليس تنقلا نوعيا ،بينما نجد أن التنقل الذي تقوم عليه الهجرة، هو في الغالب تنقل نوعي ،ينتقل به المهاجرين من نمط حياة إلى نمط آخر، حيث تفرض الهجرة في أدنى مستوياتها لونا من الاحتكاك الثقافي الاجتماعي بمجموعة أخرى، تقوم فيها حالة الأخذ والعطاء والتكيف، بينما نجد نمط البداوة –كنمط حياة –يدور في أفق ثقافي واحد متماثل ، لان المجتمع بمقوماته المادية من البشر ومقوماته الاجتماعية من نظم ،ينتقل أو يرتحل[2].

وقد خرج الدكتور محي الدين صابر بنتيجة ،هي أن الانتقال البدوي ليس مقابلا لغويا ولا بديلا اجتماعيا لمعنى(عدم الاستقرار)،أي يمكن النظر إلى البدو الرحل كمستقرين اجتماعيا، لان هذا النمط من الاستقرار يعني تنظيم وسائل الحياة ، والبدوي يرحل من مرعى إلى آخر وهو ليس بجديد على المكان الذي يحل به، وعلى هذا يكون مجال الاستقرار عند البدوي، هو المجال الاقتصادي الذي يمارس فيه حياته الاجتماعية والاقتصادية كاملة[3] .

يؤكد هذا الانتروبولوجي الفرنسي كلود بلونجرنون " c . Blanguernon" الذي يرى أن بدو اموهاغ لايتبغون مقتضات الهجرة (بمعناها العلمي) ، لأنهم في فترة الجفاف يرحلون بمواشيهم نحوى المراعي الخصبة في مالي ونيجر في حين يتركز وراءهم الخيام وقطعان المعز في

---

[1]- أمنوكال : هو رئيس الكونفدرالية عند امو هاغ ، وهي مأخوذ من كلمين" مسيس" أي صاحب ، و"أكال" أي المكان أو الأرض أو البلاد ومنه يمكن القول صاحب المكان أو صاحب الأرض أو البلاد .

[2]- د . محي الدين صابر:"عوامل التغير الحضاري".مرجع سابق الذكر،ص:319.

[3]- نفس المرجع ، ص :10.

منطقة اهقار .أي في مواطنهم الأصلية مما يدل على أن اموهاغ كبدو هم أكثر سكان الصحراء تنقلا و لكنهم ليسوا بأكثرهم هجرة.

ب)- خصائص الترحال و أثارها على نمط الحياة البدوية:

لكل نمط من أنماط الحياة الاجتماعية خصوصيات يمتاز بها، سواء كانت ناجمة ثباته أو ديناميكيته- ولا نقصد هنا بالديناميكية والثبات حالة الاستقرار و الترحال في المناطق و الأماكن الرعوية – و لكن نرمي إلى الحركة و الثبات الناجم عنهما.

فالمجتمعات البدوية المرتحلة فرضت عليهم طبيعة حياتهم نوعا من أنماط الحياة ، منها الترحال و عدم الإستقرار في مكان واحد بحثا عن الكلأ لماشيتهم، سواء أكان بالإنتقال بين شعب و وديان حميتهم أو الهجرة إلى مناطق بعيدة بحثا عن الكلأ .

هذا الوضع الغير المستقر يفرض على البدو للبحث عن الدفء و الأمن و الراحة ، لذا كان من الضروري أن تكون الروابط القرابية قوية في إطار البناء الإجتماعي القبلي ، أي الحمية القبلية" العصبية "ـ حسب المفهوم الخلدوني ـ إذ بقوتها و تماسكها، يكون قوام المجتمع البدوي في فرض الضبط، و بسط السلطة على العشائر داخل القبيلة أو مجموعة من القبائل التي تكون مجتمع المحمية تحت سلطة القبيلة الحاكمة ، أو المسيطرة هذا ما يجعل من التجمع القبلي ضرورة في المجتمعات البدوية .

و نظرا لكل ما قدمناه يفرض على المجتمعات البدوية، والمتغيرات التي تواجهها أثناء ترحلها وخفة الحركة هذه تستدعي أن تكون الجماعة البدوية بسيطة في مسكنها و ملبسها و معداتها.

يرى " ك " بلونجرنون Blonguenan .c– " أن أثاث البدو يتميز بالخفة و الليونة ، وذلك لان هذا الأثاث يتحتم على البدوي أن يحمله على ظهر حيوان لمسافات طويلة و لهذا يصبح الوزن الثقيل " العدو الرئيسي " للبدوي فلا غرابة إذن أن يراعي البدوي عند ربع جلود الأكياس، أن تكون خفيفة و مرنة في ذات الوقت " [1]

و هكذا يتبين أن التنقل أو الترحال الذي يقوم عليه البداوة تنقل " كمي " و ليس تنقلا نوعيا، في حين يكون التنقل الذي تقوم عليه الهجرة تنقلا نوعيا ، لان المهاجر ينتقل من وسط إجتماعي إلى وسط إجتماعي آخر جديد بعكس البدوي، الذي ينتقل و هو في وسطه

BLANCUERNON (CLONDE) : « LE HOGGAR. PARIS. EDITION))-[1]
ARTHARD ». 1965. P : 98)).نقلا عن: محمد السويدي ، مرجع سابق ص : 34

الإجتماعي، أو بمعنى أوضح على حد تعبير العلامة "رالف لنتون " ، فإن تنقل قبائل الرحل " لا يتعدى مجرد انتقال القرية برمتها من مكان لآخر. [1]

ج)- تكامل الجماعات البدوية في ظل الدولة الحديثة :

تمتاز الجماعات البدوية بطبيعة نظامها التقليدي الذي يقوم على السلطة القبلية التي توجه حركة التجمعات البدوية ، كما يعتبر شيخ القبيلة كمرجعية قانونية و كمصدر للقرار .

أما من الناحية الجغرافية فتكاد تعرف القبائل البدوية معنى الجغرافية ذات رقابة دولية تراقبها برغم من وجود الحدود العرفية المتمثل في الحمى ، فلكل قبيلة أو مجموعة من القبائل منطقة خاصة بها ترعى فيها لكن هذا لا يعني عدم وجود تنقلا للبدويين باقي المناطق، مثل بدو إموهاغ الذين ينتقلون في الصحراء الواسعة دون وجود قيود جمركية تمنعهم من ذلك، لكن توجد هناك قوانين عرفية التي تضبط العلاقات داخل التجمع القبلي، و كذا علاقات خارجية بين القبائل في الفدرالية و باقي التجمعات المحيطة بها .

و في عصرنا الحديث فقد تراجعت حركة الجماعات البدوية ،حيث اعتبرها العديد من الباحثين قطاعا متخلفا في ضوء الظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية المعاصرة، فالجماعات البدوية و جدت نفسها داخل أوطان سياسية و قوميات متعددة و أصبحت (القبيلة) بالتالي موزعة بين عدد من الواحات ذات الحدود الدولية ،كما حدث بين جمهوريات الجزائر و ليبيا و مالي و النيجر ،و بين المجموعة السياسية في الجزيرة العربية . فقد وجد البدو أنفسهم داخل حدود لم تعد فيها و حدتهم القبلية و مسارحهم الجغرافية تمثل الإطار الاجتماعي و السياسي المميز .[2]

فضلا على هذا فقد عرفت التجمعات البدوية تحولات في نمط حياتها، بداء من التواجد الاستعماري الذي فرض على حركتها قيودا تحدد طبيعة حركتها، و بعدها ظهور فكرة القوميات و طبيعة تكوين الدولة، ذات النفوذ الإداري. كانت من أهم عوامل التغير الإجتماعي في التجمع البدوي، ذلك لان الدولة الحديثة بما تمثله من قوة، و قرتها التكنولوجيا الحديث " قضت بها على

---

[1] - لنتون رالف :" دراسة الإنسان". ترجمة:عبد الملك الناشف، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية 1954. ص 269 .

[2]- محي الدين صابر ، د . لويس مليكة :" البدو و البداوة ". سرس البيان مركز تنمية المجتمع في العالم العربي،1966. ص 19.

عزلة البدوي ،و قدرته على الإفلات من سلطتها ،كما قضت على وظيفة البدو في حراسة الصحراء "[1].

و من هنا فقد وجد المجتمع البدوي نفسه جزاء من كل، و هو المجتمع الكلي ، مثله مثل بقية المواطنين تتقاضى منه الدولة الضرائب المقررة ، بعد أن كان هو الذي يفرضها على سكان الصحراء و القوافل العابرة ، كما أجبرته على الامتثال للإجراءات الإدارية المحددة من رقابات جمركية و تأشيرات الدخول و الخروج بين الدول إلى غير ذلك من الحقوق و الواجبات التي حملها المجتمع السياسي القومي إلى المجتمع البدوي، و التي تناولت كل جوانب حياته ،و في هذا الوضع أصبح البدوي في صراع بين موروثه التقليدي و قوانين الدولة الحديثة .

ثانيا : ملامح البداوة في الوطن العربي .

أ)- المجال الجغرافي:

تعتبر البيئة الصحراوية احد الظواهر الطبيعية التي يشترك فيها كل الوطن العربي ، فلا نكاد نجد بلدا عربي واحد ، الا وكان جزاء من الأراضي صحراء قاحلة ، ذالك على امتداد الوطن العربي من الخليج العربي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . ولما كانت البيئة الايكولوجية تفرض نمطا معيشيا ، كانت البداوة هي الأكثر تناسبا مع القفار المترامية الأطراف.

ففي العربية السعودية نجد القبائل البدوية ،التي لا يتجاوز عددها250000 نسمة ،توجد متفرقة في منطقتين صحراويتين ، الربع الخالي في الجنوب ، ونفرد فالشمال ، واهم القبائل فيها هي قبيلة عنزة التي ترتبط بقبائل المزاليخ وهي عادة مستقرة في سوريا في أنحاء حمص .أما في العراق فانه توجد منطقتان رئيسيتان للبدو ،الناحية المحصور ة بين الفرات ونمر، الأخرى توجد بين غرب الفرات وشرقي نمر ،وعدد بدويها حسب إحصائيات 1952 تقدر ب: 400000 بدوي (أما اليوم فقد تناقص عددهم) ، اغلبيهم ينتمون إلى قبيلة قمار وسنجار.وفي سوريا فان المجال البداوة يتشكل بمقاطعة الغرب الشمال الغربي ، هذه المناطق المحدودة جدا تسمى البادية .الا أن هذه المنطقة لم تتوقف عن تقلص نتيجة التوطين نفس الحالة يمكن أن نلمسها في بدو السودان قبائل غرز عرفت تحولات كبيرة أدت إلى توطينهم واستقرارهم فان جزء منها لا يزال يمارسون الحياة البدوية فعلى ارتفاع 12 شمالا نجد مجال مربي الإبل ، واحدة من أشهر هذه القبائل ،قبيلة

---

[1]- بيرجو مرور :" العالم العربي اليوم" . ترجمة محيي الدين محمد ، بيروت . دار مجلة الشعر ،1963. ص 65 .

الكبابيش التي تتوغل تقريبا حتى حدود المصرية وغرب النيل والمنطقة الجبلية المحاذية للبحر الأحمر ،تعيش قبائل بجا التي افصل سلاسله من الجمال[1] .

وتشمل المناطق المصرية التي تمثل اهتمام دارسي البداوة الصحراوية، الغربية منها و الشرقية، إقليم سينا.أهم القبائل المنتشرة فيها فبائل أولاد علي وقبائل جمعية قي نواحي ماريوت، وقبائل جواب في وادي تدرون ، أما إقليم أسينا فيضم العديد من القبائل ،كانت تؤدي دورا كبيرا في القوافل التجارية أو الحجيج .

وتشكل الحيل البدوية في المغرب العربي، احد أهم مميزات الصحراء الكبرى، حيث تنتشر فيها العديد من القبائل ، البعض منها يوجد مترددا على المناطق الشمالية أو الأطلس ألتلي ، والبعض الأخر تنتقل في الصحراء مثل اموهاغ الذين يتوزعون قي عدة دول ليبيا ،مالي ونجير وبوركينافاسو والجزائر ،ونظرا للاختلاف الموجود بين بدو اموهاغ ،و بدو العرب في العديد من المظاهر الاجتماعية ،فأننا سوف نوضح، ونتناول حالهم بكل دقة كونم موضوع دراستنا في الفصول الموالية.

ب)-المميزات الاجتماعية:

يمكن أن نقسم المجتمعات العربية القائمة في الوقت الحاضر إلى ثلاثة أنواع عريضة، يتميز كل نوعا منها بخصائص اجتماعية ونفسية واقتصادية معينة، رغم أجود بعض التداخل بينها.

أ- كثرة غالبة تقطن في الريف وتشتغل قي الزراعة.

ب- قلة قوية متزايدة في العدد والنسبة تسكن المدن وفيها يتركز معظم النشاط الاقتصادي والسياسي والثقافي، وهي الفئة التي تتعرض أكثر من غيرها للمؤثرات الخارجية.

ج- ثم أخيرا قلة أخرى متناقصة في العدد والنسبة، من البدو الرحل الذين ينتقلون وراء المطر والرعي وتحكمهم معايير القبلية وتقاليدها.[2]

أ- التنظيم الاجتماعي للبدو: تعد الأسرة الممتدة هي الشكل السائد في المجتمعات البدوية، ذلك أن طبيعة الحياة البدوية تتناسب مع هذه الأشكال العائلية.فالثروة الحيوانية يصعب تقسيمها بين أفرادها ،لان تقسيمها يعني تقسيم المراعي وتجزئتها، مما يؤدي إلى خلافات ونزعات نتيجة ندر الكلأ .

---

[1]-AWWAD MOHAMED : « Le nomadisme dans les pays du moyen orient ». (p.p 353. 368), cloquez international sur les problèmes de zone aride –paris, une sco-mai, 1960, p ; 356.

[2] - لويس مليكة :" قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ". الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، الا سكندرية .المجلد الثاني ، 1970 .ص:552.

ولذالك تحتفظ بالملكية الجماعية للثروة ، كما أن صعوبة العيش في الصحراء بشكل فردى ، يجعل الفرد أكثر ارتبطا بالأسرة لحماية نفسه أولا، ومواجهة عدوانية الطبيعة ثانيا ، زد على هذا فان الأسرة الممتدة تضمن نتقل العادات والتقاليد للأجيال اللاحقة، ومن ثمة تحقيق تواصل الأجيال .

لكن الفرد من بين ذلك هو قادرة النظام السياسي للبدو ، فكل خيمة تعتبر قلعة حصينة لصاحبها يفعل منها كل ما يشاء، دون أن يجرؤ احد من جيرانه أو عشيرته على منعه، أو الاعتراض عليه [1] . كما أن أفراد الأسرة مرتبطين بالأب مادام على قيد الحياة ، وقد تمتد هذه المسؤولية في الغالب إلى الأقرباء ، كما تتصل القرابة في المجتمع البدوي بالأب دون عائلة الأم –لكن في مجتمع اموهاغ خلاف ذالك- وتعتبر الأسرة البدوية ابرصية تحمل اسم الأب .

لكن الأسرة ذاتا ليست منفصلة عن باقي الأسر الأخرى القريبة منها، والتي تجمع بينها وحدة النسب، بحيث لا تتعدى الجد الخامس.فاتحاد مجموعة من الأسر تعطينا ما يسمى بالفخذ، ثم يليها البطن والعشيرة التي من خلالها يتوسع المجتمع البدوي ليكون وحدة جامعة شبيهة في تنظيم ها بالدولة الحديثة ، تتمثل هي القبيلة التي تتكون من سماط أو نزلة وهي جماعة صغيرة تتألف من6الى 12 خيمة كل واحدة يسكنها أعضاء من اجل استعمال الأمثل الكلاء[2].

تمارس القبيلة كما وكيفا الضبط الاجتماعي، وهي التي تتحمل مع العائلة تلقين ،و ضبط السلوكيات المختلفة للأفراد.كما يعود إليها الفضل في اخذ القرار النهائي في تحديد وقت الرحيل، ومكان الانتجاع وإعلان الحرب و السلم .

ب-المميزات الثقافية : يعكس التراث الثقافي للمجتمعات البدوية بجلاء كفاح الإنسان ،و جهوده من اجل إشباع حاجاته كالحاجة إلي الطعام والراحة والمأوي وتامين نفسه ضد ما يهدد حياته، في ضوء إمكانيات بيئية محدودة الموارد ،كما أن البدوي مدعو إلى استغلال وسطه بأكبر قدر ممكن، فجميع الأدوات التي يستخدمها هي من صنع مواده الخام المتوفر لديه، صوف و شعر وجلود الحيوانات للسكن واللباس و الأحذية و الحليب و اللحوم للطعام. وبالرغم من أن الثقافة البدائية وان كانت متميزة، فهي تحمل بعض السمات التي نجدها عند مجتمعات غير الصحراوية ريفية أو حضرية ، مثل الزواج من ابنة العم أو بنت الخال (زوج الأقارب) ، وتفسير بعض الوقائع

---

[1]- مكي الجميل:" البدو والبداوة في الوطن العربي " . سرس البنان.1962.ص:24.

[2] -CAPOT (Rey) : « Le mouvement de la population dans le territoires du sud » .Alger, (pp 232 /248) . Revue africaine 2eme et 3eme trim. .1940.P: 240.

الاجتماعية، بمعتقدات غيبية مثل مس الجن – وسوف نعود إلي ذلك بتفصيل عن مجتمع التوارق في الفصول الموالية.

ج- الوضع الاقتصادي : يتميز الاقتصاد البدوي بشكل عام بالبساطة ،و بالرغم من ذلك فان تنظيمه و تطويره وتوسيع نطاقه يمكن أن يلعب دورا هاما في اقتصاديات البلاد عامة ، فالمواشي من معز وأغنام والإبل تعتبر الثروة الأساسية للبدو، بحيث يستخلص منها :السمن واللحم والصوف، وهي مواد اقتصادية للتجارة البدوية ،إذا القطيع يشكل رأس المال الذي ينموا بذاته في السنين الجيدة وينجوا بتنقلاته في حالة الجفاف.[1]

فضعف الاقتصاد البدوي وتخلفه يرجع إلى ارتباطه بالعوامل الطبيعية ،إن اعتماد البدوي على الماشية كمورد اقتصادي أساسي لا يقي ممارساتم لبعض الأنشطة الأخرى الملحقة ،كنقل البضائع التجارية وقيادة القوافل بل وممارسة الزراعة في بعض المواسم، مثل قبائل الشعانبة في ورقلة.

-ثالثا: ظاهرة توطين البدو في الوطن العربي :

أ) مفهوم التوطين:

لقد وردت تعار يف عديدة ومختلفة لمفهوم التوطين، فمنها من يركز على الغاية والهدف من التوطين، ومنها ما يركز على درجة التغير والجوانب المراد تغييرها، ولتوضيح ذلك نورد التعريف التالية:

أ-) تعريف أحمد الخشاب: يعتبر التوطين على انه العملية الاجتماعية المرتبطة بتهجير الأفراد من جهة إلى أخرى، وهو يعني إسكانم في قرى خاصة،أو مدن في مناطق الإصلاح الجديد، وتيئة أحسن السبل لهم ورعايتهم رعاية خاصة ضمانا لاستقرارهم في المناطق التي هاجروا إليها، خوفا من عودتم إلى مواطنهم الأصلية وأقاربم وذويهم. والتوطين عملية إنشاء وتعمير تتضمن تغيرا في الظروف الطبيعية القائمة، واستغلال اقتصادي للثروة[2]. هذا التعريف كما نرى يربط بين التوطين والتهجير، في حين أن التوطين غير التهجير، فالتهجير عملية ترحيل للجماعات البدوية، من مكان

---

[1] - Capât (Rey) : « Etat actiel dunomaalisme au Sahara ». (Pp : 329-393).Recherche sur la zone arideo, p330

[2]- أحمد الخشاب :"سكان المجتمع العربي ".دراسة تكاملية، القاهرة، دار المحامي للطباعة، بدون سنة، ص:07.

إلى آخر، بسبب الظروف الاقتصادية، أو السياسية [1]. وتحمل الهجرة مدلولا دينيا نابعا من هجرة الرسول صلى ا! عليه وسلم ، وقد اتبعت هذه الطريقة في العربية السعودية، وكان الهدف منها تحقيق الوحدة السياسية، وضمان استقرار البدو ، كما أن التهجير ،كما هو في التعريف يتطلب نقل البدوي من مكان إلى آخر ، أما التوطين فهو يتضمن توفير الاستقلال والاستقرار الاقتصادي في نفس المناطق التي يعيش أو المناطق القريبة....

ويرى مكي الجميل، أن التوطين هو إقرار الجماعة البدوية في وطنها وبيئتها في إطار من تقاليدها وعاداتا وظروفها البيئية المختلفة، وذلك كله يفترض تيئة المناخ النفسي والاجتماعي للاستقرار[2].

ويعرف" مصطفى صلاح الفوال" التوطين على انه مجموعة عمليات التي من شأنا أن تتيح للجماعة البدوية المزيد من الاستقرار،والتوطين في نطاق سكني معين ، ضمن مساحتها العادية ، أو في أخرى ملائمة وقريبة، وفي إطار من ظروفها وقيمها ونظامها واحتياجاتا الأساسية ورغبتها خلال فترة زمنية محددة، بغرض إحداث تغيير معين، ومتدرج في نمط حياتم الاجتماعية، وعلى ضوء خطة مدروسة ،وضمن إطار السياسة القومية للدولة.[3]

فالتوطين حسبه ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار عادات وتقاليد البدوي ،وهو أيضا ليس عملية اعتباطية، بل هو يخضع لخطة شاملة لجوانب الحياة البدوية ،وكثيرا ما يستعمل التحضير للدلالة التوطين يعني في الأخير تمكين البدوي من ممارسة الحياة الحضرية،إلا أن تغيير نمط الحياة البدوية لا يتم في كل الوجوه بإسكانم في المدينة، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فقد علق بالأذهان، وهو شائع يجعل كلمة الحضارة في استعمالها العادي في اللغة المعاصرة ،مطابقا لمعنى المدينة CIVILISATION التي تدل على التقدم المادي والفكري والاجتماعي ،ومن هنا فإن تحضر البدو يعني إعطائهم الحضارة، في هذا المعنى أن البدو ليست لهم حضارة عريقة ،فقد أثبتت البيئة الصحراوية أو البدوية أفكارا غيرت وجه العالم [4].

---

[1]- محي الدين صابر "التوطين ومشروعاته "في مكي الجميل "البدوي والبداوة "مفاهيم ومناهج ،سرس،لبنان ،1966،ص45

2-مصطفىصلاح الفوال :"البداوة العربية والتنمية" .القاهرة ،مكتبة القاهرة الحديثة 1967ص404

3-مصطفى صلاح الفوال:"تنمية المجتمعات الصحراوية". القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة 1967ص195

4-محي الدين صابر: "التوطين ومشروعاته في البدو والبداوة، مفاهيم ومناهج". مرجع سابق الذكر، ص:43

تركز التعارف السابقة على نوع معين من التوطين، وهو التوطين الذي تقوم به الدولة اتجاه البدو ،سواء كان ذلك عن طريق الترغيب، أو عن طريق القصر،إلا أننا نلاحظ أنه كثيرا ما يتخلى البدو أنفسهم عن الحياة البدوية ،بشكل جماعي أو فردي بدون تدخل الدولة، وذلك لأسباب طبيعية ،اجتماعية ،وسياسية وعليه نلاحظ تعدد في أنماط التوطين .

أ- أنواع التوطين:لا توجد هناك خصائص واحدة لتحديد أنواع التوطين لذلك نلاحظ اختلاف في تحديد هذه الأنواع، فمثلا يفرق كلا من ج. باقوت (j . Pagot) وأ. برمود(o. Barmand)[1] .

بين أنواع التوطين من خلال الأسباب المؤدية إليه إلى التوطين في ناحية (Sèolemtarisation dons une location)، حيث يأتي البدو الذين تفككت قبيلتهم للتمركز حول مناطق العمل ،و يترتب عن هذا النوع من التوطين عدة مشاكل، منها قطع الأشجار .من أجل الاستعمال الطبيعي للقرية يضاف إلى هذا تفقير الغطاء النباتي، لان هؤلاء البدو يحتفظون بجزء من ماشيتهم .

- التوطين حول ينابيع الماء العائلي : يحدث هذا النوع من التوطين عند ما يتخلى أحد العناصر الحيوية في العائلة البدوية عن النشاط الرعوي، للعمل في نشاطات أخرى، فيترك الماشية تحرث من طرف العجائز أو النساء و الأطفال ،و لذلك فهم مضطرين للاستقرار أمام ينابيع الماء التابعة للعائلة، و لا يمارسون الانتجاع الا لمسافات قصيرة[2].

إلا أن هذا التميز يعتبر بسيطا و لا يدل على أي تغير في الحياة البدوية، و هناك تصنيف يعتمد على مدة الاستقرار، فهناك التوطين الدائم و المؤقت ،لكن هذا المقياس نفسه ناقص ،فالبدوي الذي يقال عن توطنه أنه مؤقت، لم يكن كذلك بتاتا ،لأنه يملك خيمة و لواحقها ، و من ثمة ثروة مهمة كانت درجتها فيض بعض الشهور في إحدى المنازل ثم يتمم الباقي متجولا، فهذا البدوي لم يجد إمكانيات أكثر في التحكم باحتياجاته، و مع أنه يستقر لمدة محدودة فانه لا يشطب مرتبته كبدوي، لأنه فقد كل قطعة بحيث لم يعد يجد مبررا لتبديه، و لما كان بغير مورد ،يضطر إلى بيع خيمته بالنسبة إليه البداوة قد انتهت .[3] إن أغلب الدارسين يركزون على النوعين من التوطين هما:

---

[1] -C.F.O. Bremond. J .Pagot : « Partages nomadisme et transhumance en zone saharienne » .Recherche sur la zone aride.Actes colloque, de paris UNESCO 1962 P 349.

[2] - Ibid. P 349.

[3] -BANET : « Lontribution à l étude des pasteurs nomade » . Araba maison alodition nom citée .1962. p 170.

- **التوطين الإجباري أو ألقسري** : و يتم عن طريق إكراه البدوي على الاستقرار يتم بأمر من الدولة ، و ليدخل في اعتباره أن البدوي يكون من عشيرة واحدة ،و من مشاريع التوطين الإجباري على سبيل المثال، ما قام به رضاء شاه (سنة 1925 – 1964) ،حيث فرض لتحقيق أغراضه الشخصية ،توطين قبائل باهمان بجي بالقوة . وهذه الإجراءات في الغالب بشعة [1]. و هناك مثال آخر يتعلق بالأمر الذي أصدره الملك عبد العزيز آل سعود عام 1939 بتوطين الأخوان الذين حملوا لواء الدعوة الوهابية ،و بلغت مستعمرات هؤلاء الإخوان ما يقارب من 150 مستعمرة في كل من النجد و الإحساء[2].

ومن عيوب هذا التوطين أنه يتم عن طريق القهر ، فهو و أن تحقق غاية السلطة من الناحية المادية، فإن تغير ذهنيات البدو عن طريق الإجبار، كثيرا ما تفشل، بالإضافة إلى عملية التوطين ، هذه تؤدي إلى جمع فئات غير متجانسة من البدو .

- **التوطين التلقائي (الطوعي):** يتم هذا التوطين بتخلي العشائر البدوية عن الحياة الرعوية و الترحال من تلقاء نفسها، و الاستقرار بصفة نائية بشكل جماعي أو فردي، و غالبا ما يتم الاستقرار بالقرب من المراكز العمرانية سواء كانت مدن أو قرى، و يكون نتيجة لدوافع ذاتية ،كالتطلع للتمتع بمزايا المدنية الحديثة،كما يتم تحت تأثير عوامل خارجية كجاذبية المشاريع الصناعية، التي تقام في المال البدوي أو تستغل المواصلات فيها ، كما يلعب أقارب البدو المقيمين في المدينة دورا كبيرا في إحداث هذا النوع من التوطين، و يترتب عن هذا النمط نتاج سلبية ليس فقط على مستوى الحياة البدوية ،بل يتجاوز ذلك الى المناطق الوافدين إليها، نتيجة لإقامتهم للإحياء التي لا تخضع للمقاييس العمرانية الحديثة، و لا تتوفر على أدنى متطلبات الحياة و لتجنب سلبيات النوع الأول من التوطين الإجباري ،و تفادي فوضوية الثاني استوجب الاهتمام بالتوطين المخطط .

- **التوطين المخطط** : يسبق هذا التوطين القيام بدراسات استطلاعية حول طبيعة الحياة البدوية للقبائل المعينة بالتوطين، ثم تهيئة كل الظروف التي من شأنها ضمان انتقال البدو من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار ،فهو يعتمد على العلم في تحديد الإمكانيات و المراحل و يسمح بمراقبة العملية بدقة . فالتوطين إذن في هذه الحالة غاية يجند من اجل تحقيقها و سائل تتطابق مع هذه الغاية ،ففي

---

[1] -MONTEIL VINCENT : « La tribus du fars et la sedentarisation des mandes » .o p. cite. p 23.

[2]- صالح مصطفى الفوال :" تنمية المجتمعات الصحراوية". مرجع سابق الذكر. ص: 204 .

الأنظمة ذات التخطيط المركز حسب " مكي الجميل " فإنا تعتمد على أسلوب الفوضى تمليه الدولة بمختلف وسائلها القانونية ،و الإدارية بالإضافة إلى هذا الاقتصادي و الاجتماعي يتبعه زوال القيم المرتبطة به ، فيحدث فراغ قيمي تضعف معه مقاومة القيم القديمة للقيم الجديدة، أما الأسلوب الثاني فهو قائم على أساس الاقتناع، بحيث يتم عن طريق التنشئة الاجتماعية، سواء من خلال التعليم، أو الاختلاط الاجتماعي، و الهجرات الداخلية و التقليد .[1]

فهذا الأسلوب يتيح للبدوي تغيرا طبيعيا لمعتقداته ،و تقاليده لأنه يسمح له أولا اختيار القيم ثم التكيف التدريجي مع الحياة الجديدة .

ب)- الخلفية الاجتماعية و التاريخية لظاهرة التوطين : إن مسألة توطن البدو ليست قضية حديثة العهد، فقد لوحظت حالات منها في فترات تاريخية متباينة، و في أماكن مختلفة من العالم. و لذلك يبدو أن التحديث الرئيسي لتوطين البدو بشكل عام أمر غير ممكن . لكن يمكن تقسيم الصيرورة التاريخية للتوطين إلى مرحلتين : مرحلة ما قبل النصف الثاني من القرن 19 ،وما بعدها بحيث تميز التوطين في المرحلة الأولى بالبطيء، في حين امتاز في الثانية بالسرعة و الاتساع ،مما أدى إلى تقلص عدد البدو بشكل ملحوظ ، فيذكر كوريس سنة 1992 أن بدو كسخاي الإيرانية كانت في طريق التوطن الكامل .[2]

وتتحدث"مادلين بريقول "عن توطن بني طهور في ورقلة سنة 1908،أنه كان توطن ببطء، ازداد تسارعه بعد الحرب العالمية الثانية 1945الى 1950.[3] ففي إفريقيا والى نهاية القرن ما قبل الماضي هناك مساحات شاسعة اقل سكانا كانت ميدانا للتنافس البدوي دون أن تكون ضغوطا للتوطين ، بحيث كان بإمكانهم الاحتفاظ بأمل البقاء مع اتصال بتراثهم الحضري ، ولكن منذ إذ شحذت الحياة البدوية موجة من التوطين تحت تأثير عوامل عديدة ،طبيعية اجتماعية سياسية ....الخ.

-أ-أسباب التوطين:

-1-الأسباب الطبيعية: يميز كلا من نارغي (Narghin) وبيرك (Berque)وكرادر Krader ، ثلاثة مناطق طبيعية للبداوة : أسيا الوسطى (أو سهوب الحصان) ،أسيا الجنوبية ،والغربية

[1]- محي الدين صابر:" التوطين و مشروعاته في البداوة مفاهيم و مناهج ". مرجع سابق الذكر.ص 47 .

[2] - Madelin brigol : « L habitat du fars et ars et la sedenntarisation des nomades » .O P. Cite .p :23.

[3] -Ibid ; P: 182.

والصحراء الكبرى الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر ، وهي تمثل وحدة جغرافية[1] . واهم ما يميز هذه المنطقة ،البرودة الشديدة ، وعدم كفاية الأمطار ولذلك فان عامل الجفاف له دور هام في الإسراع في حركة التوطين " فجفاف 1972 أدى إلى هلاك 40% من الماشية في موريتانيا ، حتى أن الإنسان لم ينجوا نفسه إذ توخ الكثير من الأطفال بالإضافة إلى انتشار الأمراض و الأوبئة وازدياد الحياء القصديرية بالقرب من المدن [2] . فأمام هذه الوضعية يكون البدو أمام اختيارين : إما أن يغادر الحياة البدوية ليصبح عاملا في المدن ، وإما أن يجدد قطيعة ، الا أن امتداد مدة الجفاف من شانه أن يجعل عملية تجديد القطيع مستحيلة ، ولكن الجفاف ذاته لم يجعل سوى زيادة حركة التوطين هذه الحركة التي كانت موجودة من قبل ، فبرغم من تعاقب فترات الجفاف و قساوة الطبيعة فان البداوة حافظت على وجودها ، فهي تمثل حسب برك Berque "حالة قسوة لتكيف

مجتمع إنساني مع قساوة الطبيعة "[3] ، فالمناطق الصحراوية تكاد تكون الحياة فيها مستحيلة إلا إن البدو لم يتمكنوا فقط من ضمان بقائهم ولكن تمكنوا من استغلال المناطق الصحراوية وتوطيد نظام حياة اجتماعي خاص بم[4].

لقد أثبتت الكثير من الدراسات تأثير الوسط في وظائف الأعضاء فسيولوجيا ،وفي الطبع والوراثة بالنسبة للسكان الأصليين .فاكبر خطر حيوي للجفاف والحرارة على الإنسان هو اجتفاف الإنسان déshydratation حيث أن الكمية القسوة التي يمكن الحصول عليها خلال 5 أو 6 ساعات متوالية تفضي بان الكمية التي ينبغي أن يستهلكها الإنسان في الصحراء من الماء هي 8ل5 . فالإنسان الأكثر تكيفا مع الوسط الصحراوي ، هو الذي يملك توازن فسيولوجي بين فقدان العرق ومساحة جسمه ،لذلك نجد بدين الجسم ، أضف إلى هذا ألون بشرة البدوي الصحراوي يلعب دورا هاما في مقاومة الحرارة الجافة ، فالنيل الأسود يوفق جزءا كبير من أشعة الشمس ،

---

[1]-Madeleine Brigol : « L'hobitat des nomades » . Travaux de l'institut des

recherches sahariennes ; tome XVI, 2ème semestre 1957 p : 182.

[2] - Monteil vincent : « les tribus du fars et la sedenntarisation des mondes » ; Op. .Cité, p.32.

[3] -Chorales toupie : « la sédentarisation des nomades en raubasine ». Op. ; Cité, p.32.

[4] - Monteil vincent .Op, Cite p : 32.

فهو يسخن بسرعة ، لكنه اقل احتراقا من الجلد الأبيض .أما من الناحية النفسية فنلاحظ أن طريقة الحياة البدوية تسمح للمرأة ممارسة بعض الأعمال خارج بيتها أو خيمتها كالرعي وجلب الماء فقد يكسبها نوعا من السعادة النفسية . فقد اجرين تجرب على امرأة أروبية في منطقة اهقار ، حيث لوحظ تأثير الوسط في تعبير ملامحها الفسيولوجية فتشعر بضيق وسرعة الانفعال ، عكس المرأة المتجولة التي تشعر بالسعادة وهذا راجع إلى التكهرب والقوة المغناطيسية أو غاز الا زوت في الجو المحلي.[1]

وعلى ضوء ما سبق نلاحظ أن العوامل الطبيعية لوحدها لا تفسر أسباب التخلي الجماعات البدوية عن حياة التخييم و الترحال، فهي قد تؤدي إلى الإسراع من حركة التوطين كظاهرة كانت موجودة من قبل. من الأدوار الإقتصادية التي كان يقوم با البدوي قد افتقدها نتيجة للتطور الحديث ،كتجارة القوافل مثلا فدخول الشاحنة إلى الصحراء و الملح الاصطناعي واختفاء الغزوات التي كانت تدوروه على القبائل الكبرى مقابل حمايتها للقبائل الصغرى، لكن السبب الاقتصادي قد يكون كسبب للتوطين المؤقت.

-2-الأسباب الاجتماعية : بشكل الحياة البدوية تعاونية رعاية في إطار الأسرة تعيش الحد الأقصى لإمكانياتا، بحيث لا تستطيع المقاومة من اجل البقاء، إلا بالتماسك وطني العام ، عملية الدمج هذه لا تحقق ثمارها الا بتكيف الإنتاج الحيواني مع متطلبات الاقتصادية، فأداء كل فرد لدوره داخل الأسرة المكونة للقبيلة يؤلف تكامل الوظائف[2]. إلا أن توغل الحضارة الغربية في أعماق الصحراء بكل ما تحمله من جوانب مادية وثقافية، أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على العلاقات الاجتماعية البدوية،حيث انتشرت المفاهيم الفردية ، فتفكك التمع القبلي وتشتت الخيام ،فبد الجيل الجديد ينفصل شيا فشيا عن السلطة الأبوية ، وذلك بحث عن النشاط الجديد في المدن والقرى [3]. وذلك تحت مزايا الحياة الحضرية ، فتحت صدمته بالتمع الحديث ظهرت متطلبات جديد لايمكن تلبيتها إلا في المدن الحضرية، ضيف إلى هذا التغيرات السياسية الجديدة المتمثلة قي ظهور الحكومات الجديدة القائمة على أساس الحدود الجغرافية ،التي قيدت حركة البدو

---

[1]-l-cabot Briggs chimats et adaptation lnimoine au Sahara (75 a 83) colloque international de biologie des populations soharienves du 23 au 25 dct .1969 . Alger_ p. 75

[2] -CHARLES TOUPES : « La sedenntarisation des nomades en mouritanie sahélienne » Op. Cité ; P.327

[3] -Monteil Vincent : « les tribus du fars et la sedantatisation des nomades » Op. , Cité , p :186.

وفرضت عليهم تنظيم اجتماعي وسياسي يتماشى في الأغلبية مع الحياة البدوية ، المبنية على أساس الولاة للقبيلة ، كما أن الحكومات الحديث أدخلت بعض الخدمات الاجتماعية في مجال التعليم والصحة والعوامل الجذابة لتوطين البدوي .

تنطبق الأسباب الأنفة الذكر على التوطين التلقائي أو الطوعي الذي يشكل محور هذا البحث.

-ب- أهداف التوطين: تختلف أهداف التوطين بشكل واسع، إلا انه في مجمله ليخرج من المحاور التالية:

-الأهداف الاقتصادية : تتمثل في إدماج الاقتصاد الرعوي ضمن الاقتصاد الحديثة ، بإدخال الطرق العملية والوسائل العصرية في تربية المواشي ، وهذه بدورها لاتتاتى إلا من خلال استقرار البدو في أماكن معينة بشكل دائم يسمح بالرقابة الدائمة لنمو الإنتاج الحيواني وعلى هذا الأساس يمكن تحقيق الأهداف الخطة العامة المنشودة للاقتصاد .

الأهداف الاجتماعية: يستهدف التوطين اجتماعيا إحداث تغيرات قي البنايات الاجتماعية للبدو ، والتي تتناسب مع المرحلة المتقدمة التي يعيشها الحضر، فمن باب تحقيق العدالة الاجتماعية ، الاستفادة الجماعية من عائدات الدخل الوطني، كان لزاما على الدولة توفير الخدمات الاجتماعية الثقافية و الصحية و الإدارية للبدو ،هذا يتطلب ثبات البدو في مساكن مستقرة بشكل جماعي ،حتى يسهل على الدولة تقديم لهم هذه الخدمات ، من ثم يمكن تحقيق وحدة اجتماعية متماسكة في الحقوق والواجبات[1] .

-ج) التوطين من وجهة نظر مختلف الاتجاهات :

لم يعد التوطين يهم الدول و الحكومات الإقليمية، أو ا لتمعات البدوية نفسها، لقد أصبح يشكل اهتمام المنظرين في العالم، ولي كلا وجهة نظره الخاصة انطلاقا من خلفيات تبدو لصاحبها أنا موضوعية وعلى ضوء هذا، نميز ثلاثة اتجاهات هامة.

-1) الاتجاه المعارض: يعارض هذا الاتجاه عملية توطين البدو من وجهتين:

أولا : لاعتبارات إنسانية : فالبدو كشكل من أشكال التنظيمات الاجتماعية وما تحمله من خصائص إنسانية ، يكون من الأفضل أن لا يؤثر فيها مثال عن تكيف الإنسان مع

[1]-صلاح الفوال :" علم الاجتماع البدوي " ، مرجع سابق .ص :104.

الطبيعة،فبالرغم من قساوة الطبيعة استطاعوا أن يصارعوا العطش والبرد و الأمراض، كما تمكنوا من تطوير قواعد أخلاقية و اجتماعية راضين با ، بل تغمرهم السعادة[1] .

-ثانيا : لاعتبارات اقتصادية : يمثل هذا الموفق نظرة كابوراي (Capotey) ففي سنة 1940 كتب " ماهي الأهمية الداعية إلى تخريب نمط الحياة الذي هو من دون شك الشكل الأفضل لاستغلال الأرض و المتأقلم مع المناخ " [2] وللتوطين نتائج سلبية ،ذلك أن البدوي يركن إلى الكسل...ويبعد كل مجهود أخلاقي ومادي ... إن التوطين الممارس هو آفة اجتماعية[3]

وباختصار يمكن طرح مشكل العمران ووضعية تربية الماشية، حتى يكون لدينا وعي بحجم وثقل ظاهرة التوطين[4] .ويرى" كابوراي" أنه لا يمكن تحقيق توطين سريع في الصحراء لثلاثة أسباب اقتصادية : ندرة المياه قلة مناصب الشغل في قطاع البترول ،نقص في الفائدة المكتسبة في الماشية[5] .ويتمثل التوطين بالنسبة للبعض انيار يعتبر"بارث" أن للبدوي مستوى معيشي صحي جيد، والتوطين يحولهم إلى بروليتاريا، كما أن التعايش الحضاري البدوي يشكل توازن[6] . يمثل هذا الإتجاه الإقتصادي المعارض،كما نلاحظ مجموعة الأوربيين ذوي النظرة الرأسمالية للموضوع .

ـ 2 **الإتجاه الوسطي** : يتجنب الموقف الوسطي طريقة الجبر في التوطين، حيث يتعرف "ليون ليرو" (lèon lehroux) أن التندي أو الترحال كشكل قديم للمجتمع البدوي يظهر انه مدعوا احتمالا الى الاختفاء عن شكله المعتاد ... يبقى إذن مساعدته على الموت، فالمشاريع الصناعية و الاقتصادية التي تتوغل في الصحراء، هي التي من شانا أن تأخذ عملية التغير التلقائي للحيات البدوية، فانتقال اليد العاملة البدوية الى الصناعة يفرض عليها بالضرورة الاستقرار عند ذالك، ما على الدولة إلا أن توفر الخدمات اللازمة لهم .

- 3 الاتجاه المؤيد للتوطين : أما الذين يؤيدون التوطين، فيستندون في رأيهم على حق الدولة نحو نفسها و واجباتا نحو مواطنيها ،هذا المستوى القومي، أما على المستوى العالمي فهو يتغير- التوطين- زيادة للإمكانيات الإنسانية باستغلال الأرض استغلالا أفضل.

---

1 - Robert montagne : « la civilisation du désert ». Nomade d'orient et dafrique d kachatte 1947 p,11

2- Monteil xincent ; Op. Cité ; p 64

3 -Ibid ; p : 61.

4 - Y ,Bonete : « contribution a l étude des poster nomadisation ». Op. Cité ; p :108.

5 -Monteil vincent.op ;Cité ;p :104

6 - Ibid ; p : 104.

و ضمن هذا الاتجاه مونتاي فانسوا (Monteil Vincent) أربعة فروق للتوطين المشارقة و علماء الاجتماع الفرنسيون، و المتخصصين السوفيات، و المنظرين الاسرائليين.

- الوطنين المشارقة: في رأى هؤلاء البدو عامل من عوامل استغلال الفقير من طرف الغني و هي استمرار الماضي متقهقر يتناقض مع متطلبات العالم المعاصر ،لأنا تشكل في الظروف الحالية عاملا هاما للتبذير، سواء كان ذالك ما تلحقه الحيوانات بالغطاء النباتي الصحراوي ،أو تعطيلا للقوة البشرية فمشاريع التوطين تدعم في النهاية الانسجام الاجتماعي.

- وجهة نظر الجغرافيين و علماء الاجتماع الفرنسيين: يعتمد هؤلاء في تأيدهم لمشاريع التوطين على النجاح الذي أحرزنه الكثير من عمليات التوطين ،حيث يرى بقيجة (m. Beggeja)(سنة 1930) ، وهو إداري فرنسي ،كان في البلديات المختلطة في السرسوبان اتجاه البدو نحو الزراعة و التوطين ،قد حقق نجاحا كبيرا و على ضوء هذه النتيجة يبني الأنتربولوجي بوتي (petit) 1960 رأيه ، حيث يقول أنه ينبغي أن تقل اتجاه البدو نحو التوطين الذي هو في رأينا ضروري[1] .

-وجهة نظر السوفيات : أن موقف السوفيات اتجاه التوطين نابع من مبادئ النظام الاشتراكي نفسه ،جعلهم يرون أن التوطين أمر ضروري لتحقيق الخطة العامة ،و يظهر هذا الموقف فيما كتبه كاشكروف (kash karov) و بقمولوف(bogomolov).

-وجهة نظر الإسرائيليين (المنظرين) : الموقف الإسرائيلي يتسم بالعنصرية ،و مرتكز على سلب الأراضي العربية بشتى الوسائل، فقانون الملكية الصادر في 10مارس 1951 شد الخناق على البدو، وحدد مجال تحويلهم في صحراء النقب ،كما أن النظام المتبع في الفلاحة (الكيبوتسل) لا يشجع على توطين البدو و العرب[2].

فالتوطين عندهم يأخذ منحنى اغتصاب و استبدال حيث تغتصب الأراضي من المواطنين الأصليين (الفلسطينيين) و يتم استبدالهم بأفراد آخرون الذين يتم تسجيلهم على الاستقرار في فلسطين بخلفية عقائدية . إذا يمكن اعتبار المستوطنات اليهودية مغتصبات يهودية لأن كلمة مستوطنة تعني أحقية هؤلاء في الاستقرار و نفي الإستعمار

[1] -Monteil vincent : « les tribus du fors et la sédentarisation des nomades » ,OP .Cité, P : 67.

[2] -Ibid ; P : 87.

ـ رابعا : *البداوة في الجزائر* :

أ)- مناطق إرتكاز البدو :

إن عملية تحديد مناطق إرتكاز البدو في الجزائر تكاد تكون عملية معقدة ،ليس فقط بسبب تباين تضاريس الجزائر ،و إنما أيضا لإنتشار البدو بشكل غير محدود نتيجة لتنقلاتم المستمرة سعيا و راء الكلأ ، فبدو الجنوب يضطرون في كثير من الأحيان إلى التخييم في المناطق الشمالية المحاذية للصحراء، كما أن التغيرات التي حدثت في المناطق التلية و السهوب أدت إلى تقهقر لكثير من بدو هذه المناطق نحو الجنوب، بالإضافة إلى شساعة المناطق الجنوبية المتمثلة في الصحراء الكبرى .

وهكذا تكون مهمة حصر مناطق البدو صعبة، لكن هذا لا ينفي وجود تحديدات قام با بعض الدارسين و إن كانت غير دقيقة ، بالإضافة إلى كونا عامة و سطحية لأنا تعطينا فكرة عن توزيعهم الجغرافي، فهناك التحديد الذي وضعه "بوخبرة" و المتمثل في :

ـ المناطق التلية والجزء الرطب من الهضاب العليا ،و يمتاز بدو المنطقة بالتنقل الضعيف و ممارسة النشاط الزراعي إلى جانب رعي الماشية دون الجمال .

ـ المنطقة الجافة بالنسبة للهضاب العليا ،و يضطر بدو هذه المنطقة إلى الإنتقال بشكل أكثر من أجل الرعي، و لذلك نجدهم يقومون بتربية الجمال بدل التركيز على الماشية.

ـ المنطقة القاحلة الجنوبية ، بدو هذه المنطقة يتميزون بتربيتهم للجمال بشكل أوسع و يتنقلون بإستمرار نتيجة ندرة الكلأ و الماء .

و على أساس هذا التوزيع، نلاحظ أنه كلما إتجهنا نحو الجنوب، تزداد صفة البداوة[1] .

لكن هناك ثمة ملاحظة تبين أن هذا التوزيع الجغرافي للبدو غير مرتبط بالوسط الفيزيائي فقط، بل هو أيضا نتيجة لماضي تاريخي للبلاد و كنتيجة للتنظيم الإجتماعي لسكانه [2] .فالهضاب العليا والأطلس الصحراوي وما يعرف السهوب ،تمثل منطقة لتربية الماشية ولذلك هي مأهلة بالسكان منذ عهد قرطاجة التي استعمرت من طرف الروم. نتيجة لأراضيها الزراعية المتمثلة في السهل الشمالي الممتد في اتجاه تونس. في حين المنطقة السهبية فهي خاصة بالبدو، بحيث تمثل مجال رعيهم وتجوالهم. يذكر "قوتيار" (E-F-goutier) أن الصحراء لم يكن الإمكان التوغل فيها الا بعد مجيء

---

[1]-Hakam (R) :« éléments pour une eco-politique du nomadisme precalanial en Algérie ». Op. Cite. p :23.

[2] -Jean sagne : « l'algérien pastorale, ses origines, ses origines, sa formation son passé, son présent, son à avenir ». Op. ; Cité, p :17.

الرومان،الذين حملوا معهم الجمال إلى غرب إفريقيا، وعند سيطرة الو ندال على هذه المنطقة من إفريقيا بدأت امة فتية تتشكل شيا فشيا وبدأت تعي بقوتا[1].

يترتب عن التوزيع السابق محديدات اجتماعية واقتصادية ،فبدو الهقار على العموم فقراء, بحيث لا يوجد اختلاف اجتماعي كبير بينهم على العكس ما في الهضاب العليا الجزائرية ،فهناك بدو أغنياء يملكون الكثير من رؤوس الماشية[2] .

هناك قبائل تنتقل لمسافات بعيدة كقبائل الأرباع و الشعانبة ،حيث يتهجون نحو وادي ريغ وقبائل الاهقار التي تتوجه نحوي أدرار-أن- يفوغاس في أيام الجفاف في الاهقار، ومنهم من ينتجع نحوي الجنوب الشرقي للواحات (وسوف نعود إلى ذلك بتفصيل في الفصول القادمة).

بداوة الهجرة المحلية: ويخص قبائل الشمال الصحراوي، حيث يتجولون داخل مثلث الأغواط ,القليعة والوادي.

ب)- بنية البداوة في الجزائر:

1)بنية البداوة الاجتماعية و الثقافية: تتركز الحالة الاجتماعية للبداوة أساسا على الأبوية, فالأب هو محور العائلة ،فهو صاحب السلطة في البيت وينوب عنه ابنه الأكبر أثناء غيابه، فالفرد هنا لا يعيش مستقل عن العائلة الأبوية، بل يعيش و يتفاعل ضمن وظائف العائلة نفسها ،فالزواج لا يتم الا بأمره كما أن الأب هو الذي يتولى تعليم ابنه ونقل تراث الأجداد إليه، فما يفعله الأب هو المستحسن و السليم في نظر الابن(الا عند إموهاغ).

كما لا توجد فروقات اجتماعية بين البدو ،فالصراع الطبقي لا معنا له هنا ،فالجميع لهم نفس الحاجيات سواء تعلق الأمر بالسكن الذي هو الخيمة، أو الطعام الذي ينحصر في الحليب و التمر والكسكس، إلى جانب العائلة كمؤسسة اجتماعية نجد:

-الدوار: وهي الخلية الضرورية لحياة الجماعات الرعوية ،ذلك أن الراعي بمفرده يستحيل عليه مواجهة مصاعب الطبيعة، فابتعاده عن الجماعة معناه موته كبدوي, وثمة فان ضرورة التلاحم لمواجهة قساوة البيئة تترجم اجتماعيا من خلال(العزيلة) أو(التويزة)، وهي شكل من أشكال التعاون يتم بشكل جماعي.

---

[1]- Ibid. P :49.

[2] - AKTOUF.(R) : « nomadisme en ahaggar », Op. Cité ; p : 28.

والملاحظ أن الدوار متكون من مجموعات من العائلات الكل فيها يتعاونون نظرا لصغر عدد العائلات من جهة، وعدم وجود أجانب من جهة أخرى، إذن كما نلاحظ فان الجماعة هي الإطار المحيط بالفرد وضمنها تظهر فعالية الشخص[1].

- **القبلية**:وهي الوحدة الإدارية للجماعة البدوية شبيهة بالدولة، يستمد رئيسها سلطته من المكانة الاجتماعية الأجداد.

2**) البيئة الاقتصادية:** وصف الكثير من الدراسيين الاقتصاد البدوي بالبساطة، ولكن هذا التبسيط المبالغ فيه ينبغي أن لا يكون موجها لنا لاستخلاص أحكام سطحية تخفي ورائها الواقع من العائلات الاجتماعية تستند في ذات الوقت على هذه القاعدة الاقتصادية، وعليه فإننا سوف نركز على وسيلتين لتحليل هذه البيئة:

- الوسيلة الأولى تتعلق بالمالكية ، وذلك ضوء التغيرات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع الجزائري ، المتمثلة في اختفاء أنواع مختلف من ملكياتا التي سائد (ملكية العرش والحابوس ،ملكية البايلك والعزلة) .فان واع الملكية أساندة هي الملكية العائلية التي تعتبر بالنسبة لبعض **الملكية خاصة** :فالملكية إذن عبارة عن ملكية خاصة ذات شكلين أساسيين، من جهة تعتبر ملكية استغلالية في حالة استخدامها لرعاة، أما في الحالة التي تقوم العائلة بنفسها بوظيفة الرعي فلا وجودة لظاهرة الاستغلال.

الملكية التعاونية: وهي تنظيم حديث النشأة، تستغل لتربية المواشي بشكل جماعي.أحدثتها الدولة من اجل تطويرا وتنمية القطاع الحيوانية، وتحقيق استثمار امثل له.

-الوسيلة الثانية في تحليل ،تتعلق بطبيعة التقنيات المستخدمة في الإنتاج، فهي تقنيات ذات تطور بطيء جدا لارتباطها بتغيير المراعى والحيوانات وتوسيع المراعي .وزيادة وزن الحيوانات وهذه العملية كلها تخضع للبيئة الايكولوجية التي غالبا ما تؤدي الى إصابة البداوة الرعوية بكوارث تقضي على جزء من ثرواتا يصعب عليها تجديدها وتنميتها في زمن قصير ، وخاصة إذا امتدت فترات هذه الكوارث المتعلقة بالأمراض والأوبئة والجفاف ، لذالك نلاحظ أن بنية الاقتصاد البدوي تقليدية ومرتبطة بالطبيعة بشكل أكثر.

3) –البيئة الديموغرافية : تتركز الملامح الديموغرافية على عاملين رئيسيين، الأول طبيعي والثاني اجتماعي، ولكل منهما تأثير في تحديد النمو الديموغرافي، وتوزيع الكثافة السكانية للبدو :

---

[1] - Ibid ; P : 43.

- العامل الطبيعي: هو المحدد لمال البداوة ، والمتمثل في الهضاب العليا والمناطق الممتدة من الشمال الى الجنوب والمحصورة بين الأطلس والعرق الكبير ، تعتبر السهوب فقيرة لكونها شبه صحراوية ، ماعدا الواحات التي توجد في الأماكن المتوفرة على المياه . والمناطق الصحراوية القاحلة ، هذه الوضعية الغامضة تعطي اهتمام خاص للظاهرة الديموغرافية، ومن دون شك فان العدد الإجمالي لسكان هو ضعيف جدا ، بحيث انه لاتصل عشرة سكان الشمال بالرغم من أن المساحة الصحراوية اكبر بعشرة مرات من الشمال .

ففي سنة1929 كانت نسبة البدو في الأطلس الصحراوي والهضاب العليا تقدر ب81 % هذه النسبة انخفضت سنة 1949 إلى58 % على العكس، فبالنسبة للواحات والصحراء شهدت نسبة البدو و أشباه البدو، وارتفع من 38.7% إلى 14.8% بالنسبة للحالة الأولى، هناك تخلي البعض عن شكل الحياة البدوية، أما المناطق الصحراوية، نلاحظ أن إحصائيات 1936 حددت عدد البدو في الصحراء 920.000 نسمة.

وهناك تقييم بالنسبة المئوية قام به[1] capot Rey وهو يشمل المناطق البدوية الثلاثة : الأطلس الصحراوي، والهضاب العليا 58%من البدو و17% شبه بدو و24% حضر.

الزيبان واد ريغ سوف وميزاب : 38% بدو ،12.8% شبه بدو ، 56.8% حضر والصحراء ، 27.7% بدو، 8.8 % شبه بدو ،63.4% حضر، من خلال المعطيات السابقة، إن نسبة البدو في الأطلس الصحراوي أعلى من المناطق الصحراوية ،وهذا يعود إلى عامل طبيعي ففي المناطق الأولى تتوفر المراعي والمناخ المعتدل للحياة الرعوية ملائمة ،المنطقة الصحراوية فهي تمتاز بقساوة الطبيعة ،ولذلك نجد نسبة البدو أقل من الحضر الذين يتمركزون في الواحات. إلى جانب العامل الطبيعي هناك أيضا العامل الاجتماعي الذي يلعب دورا رئيسيا في النمو الديمغرافي للبدو، وعليه يجب علينا معالجة طبيعة التوازن معدل الخصوبة لمختلف الجماعات المحلية من جهة، وحركة الأفراد التي تنتج من مجموعة إلى أخرى فضلا عن تلك التي تتم داخليا بالنسبة للمجموعة .

المناطق الجبلية والهضاب العليا إلى عهد قريب ،كانت محرومة من أي وجود طبي، إلا أن حركات السكان والأوبئة التي تحدث من فترة إلى أخرى وضعف الخصوبة. كل هذه العوامل عملت على الحفاظ على مستوى ثابت لعدد السكان لكن ثمة مؤشرات تبين أن مجموع النمو الطبيعي ينبغي أن يكون مرتفع لدى البدو عنه لدى الحضر ،فهو غني في النظام الغذائي لدى البدو

---

[1]- Ibid ;p : 29.

أحسن منه لدى المستقرين في المدن، فهو غني بالبروتينات ومن جهة النظر الصحية والمناخية فإن الـال البدوي اكبر مساعدة على النمو السكاني ،لأن سكان الخيام اقل إصابة بالأوبئة بحكم الانتشار في الـال ، لكن برغم من هذا فإننا نلاحظ عدم توازن ديمغرافي بين البدو والحضر، بحيث نلاحظ اتجاه الهجرة من الأولى اتجاه الثانية، أن حركة السكان تتجه من منطقة ذات الكثافة الضعيفة إلى المنطقة المزدوجة [1] . لاتمنا هنا في هذا التغير بالدرجة الأولى تطور توطين البداوة، بحيث يظهر انه خلال كل جيل الكثير من أفراد القبائل تعلن بأي طريق كانت مبررات لوجودها البدوي، وتستقر في أماكن ثانية فيتحولون إلى فلاحين.

ج- الظروف الاجتماعية والتاريخية للجزائر، و أثارها على استقرار البدو:

إن ظاهرة توطين البدو ظاهرة لها جذورها التاريخية القديمة جدا ، حيث يذكر هرودوت " Hérodote" أن ماسنيسا تدخل لانتزاع الحياة المتنقلة للبدو ،و ربطهم بالأرض والضغط عليهم للعيش بالقوة في المدن . ويذكر"بوليب " إلا أن اجتياح الرومان على إفريقيا لم يكن كاملا، ولم يتوغلوا في الصحراء باستثناء الجنوب ، الجنوب الغربي للاوراس السهوب ، والسواحل الشمالية التي أن تحول البدو إلى أن تحول البدو إلى فلاحين بالقوة لم يؤدي إلى تكيفهم مع هذه الحياة المستقرة ،فنلاحظ انه في فترات الاضطراب يتخيلون الفرصة من الجل العودة الى حياتم القديمة . فعندما اجتاح الوندال الجزائر في القرن (7) رجع البدو إلى نظامهم القبلي الذي كانوا عليه منذ ثلاثة قرون[2]. أما أهم تغير في الحياة البدوية حدثت أثناء دخول الهلاليين الى الجزائر حيث شهدت المناطق الوسطى والخصبة والسهول ، الموجودة في الشمال والتي تعرف اليوم بالصحراء توطين فيها البدو نظرا لكونـا منطقة زراعية أكثر منها رعوية .

-العهد العثماني : لقد أثبتت الإدارة العثمانية في الجزائر سياسة التفاهم والود مع رؤساء القبائل ، فاغلب البدو توقفوا الجنوبية للتل ، فكانت الإدارة على علاقة بأولاد سيد الشيخ ، وشيوخ جبل عمور وجراد وأولاد مختار بالتيطري (المدية) . وشيخ الخنانشة وآخرون كثيرون،ولقد كان هدف الإدارة العثمانية من تحكمها في القبائل جمع الضرائب المتنوعة من البدو ،وأثناء وجودهم في

---

[1] -F.Barth : « le nomadisme dans les montagnes et sur les hauts plateaux de laies du sud ». (369-385), Colloque international sur les problèmes de la zone aride, Paris, UNESCO, 1960.p : 371.

[2]-Augustin (b) .et . (N) Lacroix : « le volutoin nomadisme en algerie ». Imp. Crient ale, Pierre fontano.1983.P :27.

التل وضمان ولاء القبائل للسلطة العثمانية [1] . فسياستهم كانت تستهدف جلب كل البدو من الصحراء إلى التل ليسهل عليهم جمع الضرائب منهم فتشتتهم في أعماق الصحراء يجعلهم في مثى من دفع هده الجباية. كما أن وجودهم في التل يكون لبعض الأشهر، وهي الفترة الكافية لتبديل قطعانم وصوفهم بالقمح ، فور انتهاء العملية يكونون قد اخذوا منهم ما أمكن ليعودوا مرة ثانية إلى الحياة البدوية في الصحراء ،أما السكان الذين كانت لهم علاقة سيئة مع الإدارة العثمانية تمنع من الرعي في التل[2] .

وعلى ما سبق يمكن أن نقول أن الإدارة العثمانية لم تساهم لا من بعيد و لا من قريب ،في حل مشكلة الجماعات البدوية ، بل حافظة على البناء الاجتماعي الموجود خدمة لمصالحها المتعلقة بجمع الضرائب التي لعب فيها رؤساء القبائل دورا مهما ، إذ كان يسند جميعها لرؤساء القبائل الكبرى،لتعطي للإدارة العثمانية أثناء وجودهم في التل ،وذلك بالرغم من أن عائدات الاقتصاد البدوي جلها وجهت نحو تحقيق مستوى من الكفاف للبدو. وعند احتلال فرنسا للجزائر لم تكون السلطة العثمانية تمارس أي سلطة على ما وراء الأطلس الصحراوي باستثناء بسكرة[3] ،إلا أنا كانت تسيطر عليهم بطريقة غير مباشرة ،عن طريق موالاة رؤساء القبائل لها.

- العهد الاستعماري الفرنسي : إن الفترة التي عاشتها الجزائر تحت كنف الاستعمار الفرنسي ،لا يمكن فصلها بحال من الأحوال عن وضعية البدو في المرحلة الحالية ، ذلك أن تأثير الاستعمار على القبائل البدوية ظهر بعد احتلال المناطق السهبية، في أوساط القرن ما قبل الماضيين ،بعد القضاء على المقاومات التي قادها الأمير عبد القادر سنة 1847 . والتي كانت مقاومة بدوية، ودليل على ذلك تقنيات الحرب والتنظيم العسكري الذي اتبعه الأمير، خاصة فيما يتعلق بالزمالة العاصمة الإدارية المتنقلة.وبعدها تم احتلال الاغواط و ورقلة وتقرت على التوالي 1852م،1853م،1854م[4].ومثل هذه المناطق بالنسبة للبدو مراكز للعاشبة في فترة الصيف .

وبعد أن استتب الوضع الفرنسي حاولت تنظيم كل ما يتعلق بالملكية , على أساس القانون الفرنسي وعملا بمبدأ الجزائر الفرنسية , واهم القوانين التي أصدرت في هذا الشأن قانون 22 ابريل 1853 سيناتوس كانسلة(swnatusconsulte) الذي يهدف الى تجديد القوانين المتعلقة بالأرض

---

[1]- Ibid ; P : 22.
[2]-Alain (Romey) : « les said atba de N Boussu ». Histoire et état actuel de leur nomadisme, Ed .L' harmattan ; 1983.P :21.
[3]- Ibid ; P : 21.
[4] -Augustin Bernard, N.Lacriax, Op. ; Cité .P :27.

فصنفتها الى ارض الملك وهي أراضي خاصة , وأراضي أعرش التي تعتبر ملكية جماعية مست هذه القوانين المناطق الشمالية أما الصحراء لم يمسها هذا القانون بشكل فعلي إلا بعد 1871[1]. فقبل حلول المعمرين الى هذه المناطق العشابة كانت تتم دون أي مشكل، لان الهضاب العليا لم تكن أهلة بالسكان بشكل كبير.

إلا أن المعمرين الأوائل الذين غادروا بلادهم أصبحوا فلاحين في الجزائر، عند امتلاكهم أراضي المناطق التلية، وفي الهضاب العليا أصبحوا يطبقون مايعرف بالفلاح الماكر(Dry fermer) [2]. فتوسعت بذلك المناطق الزراعية على حساب المناطق الرعوية. مما أدى إلى إعاقة العشابة، كما انه فرضت على القبائل البدوية ممارسة هذا الانتجاع الموسمي ، اجراءات وقوانين في بعض الأحيان نجد إن السلطات الفرنسية تجاوزت تقييد تجوالهم إلى منعهم من ذلك نائيا .مثلما وقع لقبائل سيد غنية سنة 1873 و350خيمة ،525 ابل ، 6500 ماعز .

وفي اجتماع 8 جانفي 1923، الذي ضم المسئولين العسكريين والمدنيين ،حددت فيه مساحات الانتظار لأراضي مخصصة للراحة ،والفترة التي يكون فيها الرعي مسموح للرحل فحددت بين 15 أوت .لكن هذا القانون لم يأخذ بعين الاعتبار خصائص كل منطقة .

إن فترة الاستعمار الفرنسي كانت اشد على البدو، باعتبارها أحدثت تغيرات، أهمها أبعاد بعض الوظائف التي كانت لدى البدو. كالتنقل عن طريق الجمال ، فدخول الشاحنة الى الصحراء سنة 1925 قضت تماما على تجارب القوافل،وأصبح أيضا الملح الصناعي ، يمارس إنتاج الملح وتصديره من طرفا البدو و فقد بذلك قيمته ، ومع زيادة الاستثمارات الرأسمالية في المنطقة حولت البدو إلى أيادي عاملة ، بعد ذلك على أنم غير قادرون على مواجهة المضايقات الاستعمارية، سواء أكانت مباشرة عن طريق العنف ،أو غير مباشرة عن طريق القانون[3].هذا ما يفسر تديم البنية البدوية من الأساس ، حيث اضطر الكثير إلى التخلي عن الحياة البدوية لممارسة شغل مستمر نوعا ما عند المعمرين ، ومست مجموعة التوطين هذه الأفراد والجماعات ، مثلما حدث لقبيلة بن طهور[4].

لقد شمل الاحتلال الفرنسي كل جوانب الحياة بما فيها وسائل التعامل الاقتصادي ، ويظهر ذلك في ظهور التعامل بالعملة نقدا مما أدى إلى تفكيك القبلية .فمنذ قرون كان التجار في

---

[1]-Ibid ;P :72

[2]-Augustin Bernarat, N. Lacroix : op. Cite, p : 27

[3]-Alain (Romey) :op. Cité ; p : 21.

[4]- Augustin Bernard ; N. Lacraix : op. Cité ; p : 27.

الصحراء بتبادلهم لسلع ، يتم ذلك عن طريق مقايضة التمر مقابل القمح ، القماش ، الدوكا أو الدورو كانت نقود للعد أو الحساب ،اول من استعمله للتبادل الفرنسيون .حيث ادخلوا التعامل بالنقود من خلال أجور العاملين في فرقها العسكرية ، المنح العسكرية و التقاعد وإنفاقات السياح ، تدفق هذه الأموال غيرت تختلف العلاقات بين مختلف الفئات الاجتماعية ، فالراعي كان دائما موجودا لدى بدو الصحراء، لكنه كان يتحصل على مقابل طبيعي – بعض أصناف التغذية والهدايا – وفي كل سنة يتحصل على عدد من الحيوانات، التي تبعث فيه الأمل ليصبح مالك قطيع في يوم ما، أما النقود التي يتقاضاها لأتسمع له بتكوين قطيع لان النقود توضع في يده ، فيشتري بالفائض منها بعض الوهرات[1] .

لقد سعى الاستعمار الفرنسي الى إيجاد نوع من التطابق والانسجام بين المتطلبات العسكرية والسياسية ،وتدعم الاقتصاد الرأسمالي ، فكانت إيديولوجية مبنية على أساس كسر الرباط الحامي لمنطقة الاقتصاد البدوي، وذلك بالاستيلاء مباشرة على الإنتاج الرعوي لتغذية احتكاريته للقطاع الرعوي ، إن الأثر العميق لهذه السياسة المسيطرة اتجاه التمع البدوي تنتج لنا ظروف جديدة لدوران إعادة الإنتاج، فهناك تاجر كبير من المعمرين وهو حضري بالطبع ، مقابل مربي كبير للمواشي وهو بدوي ، هذا المصدر الاستغلالي لقوة العمل الأكثر ،التي تربط العقد بين البدوي،والمنتج الحضري الذي هو في موقع اجتماعي ، ووضعية إدارية فعالة يحدث نوعا من الإخلال في التوازن الذي يصاحبه نوعا من الاتجاه نحو سيطرة و استغلال البدوي من طرف الرأسمالي الحضري[2].

تأتي بعد ذلك الثورة التحريرية لتؤدي إلى تقلص نسبة التوظيف التي تسارعت، و تياراتا بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا التقهقر يرجع إلى سياسة التقهقر التي انتهجتها فرنسا من قمع الأهالي، بحيث أدت إلى عدم تمكن البدو من التكيف مع قيم التوطين[3]. فالتوطين يقتضي تغير الحرفة فلا يمكن ممارسة تربية المواشي في المناطق السهبية دون تنقل، و أمام هذه الوضعية يفضل البدوي التجول في الصحراء و المناطق الرعوية مع عدد قليل مما تبقى له من الماشية، وعملية تشكيل القطيع مستحيلة وترتب عن ذلك تحرير يد عاملة بدوية مهمة أصبح الحضر و الموالين القاطنين يستغلونا،

---

[1] -ELKENZ (H) : « élevage et agriculture ».Dan l'étude pastoralisme Dérate mecheria et El-bid.AARDES ; Alger.1978.p :53.

[2] - Boukhobza (M) : « l'agro pastoralisme traditionnel en Algérie » OP ; Cite .p :305.

[3] - Ibid ;p :305.

و هذا أدى إلى تقوية الماشية التي فقدت الطابع البدوي و أصبحت تمارس على شكل مضاربة ،أي أخذت الطابع الرأسمالي التبادلي ،وهي بذلك تخدم مصالح كبار تجار الماشية الذين يحققون ثروة لأبأس بها على حساب البدو الذين تحولوا إلى رعاة مأجورين.

إن زيادة حدة القمع الذي ظهر مع إقامة المحتشدات العسكرية،أدت إلى نتائج مريعة ،فيما يخص تقلص رؤوس الماشية وتشتت الشعب، وتجزئته حتى بدت عملية الانسجام تكاد تكون مستحيلة[1].

- وضعية البداوة بعد الاستقلال: إن تأثر الوضعية العامة للبداوة في الوقت الحالي بثقل الفترة الاستعمارية أمر لا يختلف فيه اثنان ، ويترجم هذا الحكم في الظواهر التي برزت بعد الاستقلال مباشرة ، حيث ظهرت موجة من التوطين في المناطق الحضارية بشكل كبير جدا ، فاختل التوازن بين المجال البدوي الذي أصبح معطل عن وظيفته، والمناطق العمرانية التي اكتظت بالسكان ،وتشوه مظهرها العمراني نظرا لإحاطتها بالبيوت القصديرية ،وما يتبع ذلك من سلبيات على الواقع الاجتماعي والاقتصادي .

أمام هذه الوضعية السيئة حاولت الدولة تدارك الموقف، فبادرت بعدت اجراءات آنية وأخرى بعيدة المدى ومنها :

مشاريع التوطين : لقد ارتبطت مشاريع التوطين في الجزائر بعد الاستقلال ، باستغلال المجال الصحراوي ، ودمجها ضمن الاقتصاد الوطني ، فاتبعت سياسة خاصة من اجل توطين البدو ودمج اليد العاملة المحلية في الوحدات الحرفية والصناعية الجديدة ، وتغيير شكل الحياة من خلال أقامت قرى اشتراكية ، وقد عمدت هذه السياسة بقوانين ومخططات ،فكان مشروع تطور السهوب وتربية الماشية، مجال اهتمام المرحلة الثانية من تطبيق الثورة الزراعية .

فالمراسيم الخمس (30 ديسمبر 1975 ، المتعلقة بموضوع إعادة تنظيم الشروط الاجتماعية الاقتصادية للملكية الرعوية ،حاولت وضع النصوص القديمة لميثاق الثورة الزراعية حيز التطبيق .والمرسوم رقم 75. 43. 17. جوان 1975 حدد قواعد الرعي على الشكل التالي :

1- تحديد مساحات الرعي ،وملكية رؤوس الماشية، والأراضي المزروعة من طرف الثورة الزراعية .

---

[1] F. Fanon (E) : « sociologie d'une révolution » ,éd, Maspero .Froncе.1968 ; p :105.

2-القانون النموذجي للتعاونيات الرعوية للثورة الزراعية (CEP,RA)، هذه الأخيرة ينقسم نشاطها إلى:

أ- تنظيم واستغلال وتيئة الأراضي الرعوية.

ب- التطوير والرفع من عدد الماشية ،وتبادل الأغذية بين مختلف المناطق[1].

أما المرحلة الثانية من الثورة الزراعية ،فتعطي الأولوية في تدخلها للتخلص من العلاقات الاجتماعية للإنتاج الحيواني السهبية بتوجيه المكتسبات المحققة خلال المرحلتين الاولتين في الجانب الزراعي ، حيث يأخذ بعين الاعتبار إعادة تنظيم شروط الإنتاج للتقدم الضروري ،والمرتبط بالسياسة العامة لإعادة توزيع الماشية عن طريق مقاييس نزع الملكية، التي استمدت من المبادئ المحددة في الميثاق (الأعشاب والماشية لمن يرجعها إنتاجية بالعمل ،والذين يعيشون منها مباشرة)[2] . إذن المربي هو كل شخص يربي ويتغذى ويتولى استغلال في القطيع لحسابه الخاص ،فيستفيد بذلك من حق اكتساب بطاقة تخول له حق استخدام المراعي ، والحصول على مساعدات من الهيئات المكلفة بذلك ومن ثم فان تحققها لأهدافها بشكل كامل لم يحصل ، إذ أن هذه المشاريع السابقة أهم ما يؤخذ عليها هو تأخرها عن الاهتمام بالحياة البدوية ، كما أنا لم تعمل على تطوير واستغلال الوسائل والإمكانيات الموجودة بل اتبعت طريقة التعبير والتعديل المسبق ،كما هو موجود فالأراضي المستصلحة توجد عادة بعيدة عن القرى التي بنيت ، فقبائل الرقيبة في تيندوف وبدو السعيد التي تم توطينها في خمس قرى اشتراكية ذات تخطيط عمراني مستقبلي[3]. بالرغم من الملايين التي أنفقت على هذه المشاريع وبالرغم من تحسد كل الوسائل المادية والبشرية، فان القتل أبطأ تطورها والسبب لا يعود إلى أسباب مرتبطة بقبائل الرقيبة الذين أبدو ترددا ازاءها نتيجة ضعف عائداتا[4], فالتوطين الذي يعتبر انجاز المرحلة الثانية من الثورة الزراعية في بعض البلديات نتائجه كانت مخيبة سواء كان ذلك على الماشية أو على الإنسان نفسه[5].

إن طريقة الإتصال بالبدو من طرف المخططين والإداريين نفسها، لم تكن سليمة فالالتماس المذكور الذي تحدث عنه "منتاي فانسو"(vincent mointeil). والمتمثل في عدم إحداث

---

[1] - Houes Elkenz : OP ; Cité, p : 62.
[2] - Ibid ;P : 62.
[3] - Hakam. Op. Cité .P.2
[4] -Ibid ; P.250
[5] -Hakam :Op.Cité.p.2

تطوير كلي ومفاجئ عند إعادة الإعتبار لهؤلاء البدو واختياراتم محاولين في ذلك احترام مستقبلهم، يمكن أن يكون من الضروري عدم أخذ اللهجة المعتاد سماعها دائما عند الإتصال المخطط ،والإداري البدوي(ثق فإننا سوف نساعدك) ولكن في المقابل ينبغي حثه (ماذا يمكن أن تفعل بنفسك؟) والى أي درجة خاصة أنت بحاجة إلينا؟[1] وهكذا يبدو أساسا أن تغيير الحياة البدوية ينبغي أن تكون مشاهدة و مسموحة من طرف البدو أنفسهم كنتيجة لمهوداتا الخاصة، وليس كضرورة دائما مطلوبة من الدولة .

-ملخص الفصـ ـل:

لقد تناولنا في هذا الفصل البداوة و واقعها في الوطن العربي ، أهم الاتجاهات التي أفضت في موضوع توطين البدو في المناطق الحضرية ،وكذا أنواع الاستيطان الطوعي منه و الممنهج و الموجه، هذه الصفات هي مشتركة بين جميع البدو في الوطن العربي ،فإموهاغ في الجزائر لهم من بين الفئات الاجتماعية التي هي مستهدف للاستيطان ،فرغم اشتراكها مع هذه المتمعات البدوية في بعض الخصائص ،إلا أن هذا المتمع له خصائص تميزه عن غيره من الشعوب لذا سنحاول تناوله بنوع من التفصيل في الفصول الموالية.

1 -Alain (Romey) :Op. ; Cité, P.158.

الفصل الثالث

بنية النظام الاجتماعي لإموهاغ

تمهيد : لكل مجتمع خصوصيته تميزه عن باقي التمعات ، فإموهاغ مجتمع من بين التمعات البقعة في الصحراء ،لها ميزاتا وخصوصياتا تختلف عن باقي التمعات الصحراوية من هذا المنطلق سنحاول ان نتعرف على هذا التمع ونقف على أهم خصائصه التي يمتاز با، وكذا الوقوف على أهم الأنظمة الاجتماعية المكونة له ،وكذا أنماطه الاجتماعية .

أولا-أصل إموهاغ وموطنهم :

أ)- الملامح التاريخية لاموهاغ :

يعتبر كل من ابن حوقل (ق10م) والبكري (ق14م) وليون الإفريقي (ق15م) .من الأوائل الذين اهتموا بدراسة اموهاغ،ذلك مع أن القليل منهم من خاطر بزيارة اموهاغ في موطنهم وعايشهم في قلب الصحراء الكبرى[1].

وفي هذا المقام نأخذ برأي كل من هيرودوت كونه أقدم وأول مؤرخ في العالم، ثم ابن خلدون الذي يعتبر المؤرخ الاساسى لتاريخ البربر والمغرب الإسلامي بصفة عامة هذا باعتبار أن الفكرة التي حققت إجماعا كبيرا لدى معظم المؤرخين هي انتماء إموهاغ إلى أصل بربري ذالك استنادا إلى لغتهم وعدد من السمات الاجتماعية التي يشترك فيها الشعب اموهاغ (الترقي) مع البربر .

-ا- **هيرودوت** HERODOTE 450 ق،م : يطلق الإغريق بصفة عامة اسم (الليبيون) على سكان شمال إفريقيا وهذا منذ القرن التاسع قبل الميلاد[2] .يتحدثون عنهم كونم السكان الأصليين لهذه المنطقة، و اسم الليبيون ليس سوى ترجمة يونانية للكلمتين (تنو tehenou و تمهون.temehou) اللتين وجدوهما في النصوص المصرية القديمة (الكتابة الهيروغرافية) و كان يعتقد إن (تمهو وتنو) صادرة عن الكلمة التارقية "تماهق"لذلك يحتمل إنا كانت تطلق على التوارق "اموهاغ".

و من جهة أخرى يطلق على الإغريق كلمتا "المازيوس" ‘‘ maxyes ‘‘و الازوس’’auses على البربر بصفة عامة لذلك يعتقد[3].انه قد تحول اسم مازيوس إلى مازيك ثم إلى مازيɣ ثم إلى اموهاغ .

---

[1]-محمد السويدي:"بدو الطوارق بين الثبات والتغير". مرجع سابق، ص:71.

[2] -Lhote, Henri : « le Hoggar lespace et temps » paris ; ramandcatin. 1984 .p : 142.

3-نتالي فرانكودي :"تحفة فنية اسمها الجزائر". تعريب شريف فرس ، ايطاليا المؤسسة الوطنية الايطالية، ص47.

وقد جمع هيرودوت عدة تفاصيل عن عادات ،آداب وسلوك الليبيين ،والتي يعتبرها l-hote وجوده إلى يومنا هذا في القرن العشر ين عند إموهاغ كطريقة الحلاقة والأكل و اللباس ،ذلك بقوله :"إنه من المهم أن نذكر بأن العادات والسلوك التي أشار إليها هيرودوت عند الليبيين القدامى مازالت موجودة عند التوارق اليوم".

ولا ننسى أيضا أن هيرودوت قد أشار إلى انه شاهد القرمنت les craramantes وهم يطاردون بعض الأثيوبيين(ساكني الكهوف) نحو الجنوب، وذلك على عربات حربية مجرورة بأربعة أحصنة ،وينطبق هذا الوصف إلى حد كبير مع المعطيات أثرية .

حيث اكتشف عدد كبير من الصور المختلفة الأشكال من هذه العربات الحربية عبر الصحراء الوسطى في سنة 1982 وصل إحصاءها إلى 610 نموذج حسب[1] l-hote، ومعظم هذه النماذج منتشرة في تاسيلي نازجر،و الهقار،موريتانيا ، الجنوب المغربي ، والأطلس الصحراوي، وهي تقريبا منطقة إموهاغ ، وتصف تلك النماذج من الناحية التاريخية ضمن "مرحلة الحصان"؛ والتي يعود تاريخها الى 1000 سنة قبل الميلاد ، وفي هذه المرحلة ظهر في هذه المنطقة بشر من عرق البحر الأبيض المتوسط ، و أطلق على المرحلة التطور التاريخي هذه " بحضارة القرامنت " التي استمرت في الحضارة التارقية فيما بعد في "مرحلة الجمل" التي بدأت في القرن الثالث قبل الميلاد .

إذن فروابط الوصل موجودة بين الليبيين والقوارمنت و إموهاغ ، ورغم كل ذلك يبقى نقص المعطيات العلمية عائقا لإقامة حجة علمية قوية.

ب – ابن خلدون:1332م: ارجع ابن خلدون أصل البربر بصفة عامة إلى جدهم مازيŋ بن كنعان بن حام[2] ويقسم ابن خلدون البربر عموما إلى فرعين عظيمين الحرفيين والغداميس (وهم أبناء مادغيس اللقب بالأبتر)ويتفرعون إلى أربعة أصول :خريسة لواتة ،نفوسة،اداسة، أما البرانس فيتفرعون إلى فروع عديدة، منهم :كتامة ،عجيسة ،أوربة،ازداجة ،مصمودة اوريغة، لمطه،جزولة هسكورة وصنهاجة. وينسب ابن خلدون إموهاغ إلى هذه الأخيرة، و صنهاج هو الجد الأعلى الذي عرفه هذا الشعب إموهاغ ، وصنهاج ابن أبرنس .

وانحدر من صنهاجة ثلاثة قبائل ،متوله في الشمال وقدالة في الجنوب ومسوفة في الوسط وهؤلاء هم الملثمون ومنهم ملوك دولة المرابطين .

---

[1] -Lhote : Op. ;Cité ;p :142.

[2]-توفيق المدني:"كتاب الجزائر الطبعة الثانية".الجزائر:دار الطليعة والنشر، 1984، ص: 103

ويتحدث ابن خلدون عن أهل اللثام فيقول:(أن القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده ،لا يكاد قطر يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسط،حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث البربر، وذكر مؤرخون آخرون إن بطونهم تنتمي إلى سبعين بطنا، وذكر ابن البكري والطبري أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر[1]. ثم يتحدث عن الطبقة الثانية من صنهاجة:(هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، ابعدوا عن التلال هناك منذ دهور قبل الفتح، لا يعرف أولها فاصحروا على الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلال وجفوها واعتاضوا منها بالأنعام ولحومها، انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا عن ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر والسودان،واتخذوا اللثام تميزا لشعاره بين الأمم[2]).

ويبدو من فحوى كلام ابن خلدون ان نزول هؤلاء الملثمين بهذه المنطقة ،إنما كان بدافع الفرار من العدو المهاجم من الشمال وخوفا من الهزيمة على ايدئ هؤلاء الزاحفين من الأجانب على الساحل الشمالي من إفريقيا ،لكن التاجر المتجول ابن حوقل الذي سبق ابن خلدون بخمسة قرون يثبت لنا عكس الكلام السابق، عندما يصفهم: (فيهم البسالة والجرأة والفروسية على الإبل والخفة والجري والشدة وفيهم الجهد والقوة ما ليس لغيرهم ....ولهم خلق تام وحول وجلد عام في نساءهم وفي رجالهم.....)[3].

إلا أن الذي يهمنا الآن هو أصل إموهاغ، إذن فحسب ابن خلدون صنهاجة هم أجداد اموهاغ ،ولكن قد اختفى هذا الاسم ألان ولم يعد يطلق عليهم لا من غيرهم، ولا يطلقونه على أنفسهم ،ورغم ذلك يمكن القول بصفة عامة بان إموهاغ من صنهاجة ومن البربر .

وكما نجد إن إموهاغ يطلقون على انفسهم بلغتهم (إموهاغ)أو(اموزاغ)أو(اموشاغ)،وأنثاها تماهق تمازق تماشق .ومفردها ذكراماهɣ ،امازغ،اماشيɣ،من هنا نلاحظ ان لفظة اماهɣ او تماشɣ اوامازغ هي مشتقة من كلمة امازيɣ او اماهيɣ او اماشيɣ، والتي تنطلق بالعربية امازيغية او الامازيغية .أماكلمة تارقي أو التوارق فهي الاسم الذي يطلق على اموهاغ من طرف الاقوام الأخرى ، حيث أن هذا الاسم هو من تارقه، هي مدينة في ليبيا كانت مركز تجاري يلتقي فيه إموهاغ و القبائل العربية، لذا أطلقوا عليهم اسم التوارق، نسبة لهذه المدينة ، حيث أنهم عندما يقولون تارقي، أي من أهل تارقه.

---

[1]-القشاط محمد:"التوارق عرب الصحراء الكبرى". سردينيا ايطاليا ، أديتار،ط:2. 1980 .ص:20.

[2]--محمد السويدي:"بدو الطوارق بين الثبات والتغير". المرجع السابق الذكر. ص:73

[3]- مجلة الأصالة (1971.18) نقلا عن ". حسن مرموري : التوارق المستقرون – دراسة انتربولوجية لمدنية جانت.دراسة لنيل شهادة ليسانس جامعة الجزائر. معهد علم الاجتماع –بوزريعة – 1991/1990.ص:83.

ب - التوزيع الجغرافي لاموهاغ:

يتواجد ايموهاغ حاليا في كل من ليبيا والجزائر ومالي والنيجير وبوركينا فآسو وموريتانيا، تعتبر هذه المناطق متباعدة فيما بينها بمئات الأميال، هذه المناطق ما هي إلا البقية الباقية من المناطق التي كان يسكنها، حيث أن الأرض التي كان يعيش فيها إموهاغ ،ينتجون الكلاء قديما من أراضي شاسعة تمتد على وجه التقريب ،حتى شمال ورقلة وحتى منعطف نر النيجر وحدود نيجيريا الشمالية ،ولكنه في غضون القرون الأخيرة، تقلصت هذه الرقعة تدريجيا لعدة عوامل أهمها الضغط الذي مارسه العرب عبر القرون من الشرق إلى الشمال، ثم توغل الاستعمار الفرنسي والايطالي في الصحراء في الازمنة الحديثة .

إن التوزيع الديموغرافي لاموهاغ على الخريطة الصحراوية، يمكن حصره في المناطق التالية: جنوب ليبيا وجنوب الجزائر ،وشمال كل من النيجر ومالي،حيث تعتبر غات وسبها من بين اكبر المناطق الحضرية التي يتمركز فيها اموهاغ في ليبيا. وتاسيلي-أن-ازجر و اهقار في الجزائر ،وبلاد اير في النيجر ،وتمبكتو و أدرار-أن- يفوغاس بمالي، ،هذه المناطق تمثل من أهم و أشهر المناطق التي يتمركز فيها اموهاغ حاليا(انظر خريطة التوزيع الجغرافي الملحق رقم ( ).

ولقد قدر عدد إموهاغ في 1988 ب 1300.000نسمة تقريبا ، حيث وصل في مالي 400.00 نسمة ، في النيجر .وكما يتراوح عددهم، مابين 30.000 والى 40.000 نسمة وفي الجزائر ، ولم نجد أي معلومات عن البلدان الباقية (ليبيا وبوركينافاسو). أما في سنة 1994و1995 وصل عددهم قي موريتانيا 70.000 نسمة، وما يقارب 50.000نسمة، في بوركينافاسو 100.000 نسمة في الجزائر[1] .

وفي الأخير لقد بلغ الإجمالي لهم وذلك حسب آخر الإحصائيات 3000.000 نسمة منها 1500.000 في النيجر و1000.000 نسمة في مالي ، 500.000 مابين الجزائر و بوركينافاسو وليبيا.

- ثانيا:الأنظمة الاجتماعية التقليدية إموهاغ:

أ)-النظام السياسي:

ما من شك أن لكل مجتمع من التجمعات الانسانية الا ولها تنظيم يسيره ويتحكم في سير حياته ،وذالك من خلال بسط مجموعة من قوانين تضبطه تتحكم في زمام الأمور لتحقيق الاستقرار، فمجتمع اموهاغ كباقي التجمعات المعمورة له نظا مه السياسي والاجتماعي الذي يتحكم فيه .

[1] -Hélène claudot , hawed et hawed : «Touaregs » .Etaanies.20.21.Documents .P : 11.

إن النظام التقليدي عند إيموهاغ يعتبر نظاما كنفدراليا يقوم على تجمع قبلي على شكل بنية هرمية رئيسها " أمنوكال " رئيس الكونفدرالية وقاعدتا المحكومين، وذلك مرورا بمساعدي أمنوكال ،وهما رئسا قبائل إمغارن، فكلمة أمنوكال مركبة من كلمتين وهما (مسيس)وتعني السيد أو المالك،وكلمة (أكال) والتي تعني الأرض أوالبلد.إذا هو مالك أو سيد البلد أو الأرض ،الذي يمثل الكونفدرالية ،وهنا نجد أن السلطة الكنفدرالية مرتبطة بالأرض، التي تسيطر عليها الكنفدرالية ، والتي تحكم في تسييرها وتدافع عنها .

إن تنصيب أمنوكال أو اختياره يتم بإ تفاق رؤساء القبائل التي تتواجد في التجمع الكنفدرالي .وذلك بإختيار القبيلة النبيلة، أوبصفة أوضح يختار أمنوكال من بين الوارثين الذكور عن طريق الخط الأمومي للمجموعة) ضمن العصبية السائدة المعترف لها بحق الحكم : أور اغن في آجر .كيل أغلا في اهقار .

ويتم الاختيار وفق معايير وميزات خاصة لابد من توفرها، تختبر فيها شخصية المرشح وسيرته على ثلاثة أبعاد: السياسية ،الأخلاقية ،الثقافية والجسمانية .

- السياسية:وهي الأهم لابد أن تكون له حنكة سياسة، وشعبية مساندة وتزكية العصبيات الأخرى، وأن يكون له حنكة سياسية، وشعبية مساندة جيدة كما يشترط إثبات براعة التفاوض،

- الأخلاقية : كحسن السيرة ،الشجاعة ،البسالة، الحكمة ،الصبر ،الكرم ،الإحترام ،الثقافة وأداب الحديث.

- الجسمانية: القوة، وسلامة الأعضاء ، وأن يكون ناضجا ، غالبا مايشترط السن الثلاثين .

لابد من ثقة متبادلة وروابط متينة بين أمنوكال و شعبه، لأنه لاوجود لجهاز ردع (الجند) في هذه المرحلة من سيرورة العصبية و مازالت قائمة على نسب القرابة (القريب والبعيد) ،وهو الذي يستند إليه أمنوكال لتطبيق صلاحيته .

و لأمنوكال صلاحيات عدة منها سياسية و اقتصادية و اجتماعية و قضائية، نقوم بتقديمها بإيجاز كالأتي :(حسب الطرح الذي قدمه مرموري حسن):

1)- الصلاحيات السياسية:

- يمثل الكونفدرالية في كل علاقاتا الخارجية والناطق الرسمي باسم الكونفدرالية.
- استدعاء مجلس الرؤساء ولأعيان.
- إعلان الحرب الجماعية أو الهدنة بموافقة ومساندة أعضاء ا للس، والدفاع عن أي تديد للتماسك المعنوي لجماعته وشرفها.

- يقود رجاله في المعارك ويوزع غنيمة الحرب.
- يتلقى ولاء العصبيات الجديدة والمنظمة. - تحديد مصير الأسرى.

2)- الصلاحيات الاقتصادية:

- غلق وفتح مناطق الرعي وتنظيم استغلال الخشب.
- السماح بمرور القوافل التجارية الأجنبية .
- يتلقى الرسوم العامة الآتية :

_ ضريبة سنوية رمزية لإثبات الولاء على رؤوس الماشية والسلع الناتجة عن تجارة القوافل التي تدفع من طرف أعضاء (الحلف) الذين تربطهم به العلاقات الاقتصادية والسياسية .

- جباية على المزارع الواقعة التي تفلح في الميدان الواقعة في الإقليم (الطبل).
- حقوق المرور على القوافل التي تعبر الإقليم وتسمى العادة.
- حصة من غنيمة الغزو التي تحصل عليها موالية المنتمين إلى كتلته، وليس على الذين ينتمون إلى الكتلة المستقلة ذاتيا.
- الجباية الواجبة على القبائل الخارجة عن إقليم الطبل، والتي تطلب الحماية من أمنوكال وأقاربه الحقيقيون ضد النهب والسلب وتسمى تمازلاغت.

يتلقى أمنوكال أيضا هدايا الماشية التي تشكل احتياطي عمومي ،له الحق في الانتفاع با كما يمكنه أيضا أن يساعد با الفقراء عند التماسهم، كإعارة النوق أو الماعز الحبلى.

و يتلقى شخصيا:

- الأرباح الممنوحة لنسبة القريب من حصة تمازلاغت
- هدايا عديدة نقدية وعينية، والتي ترفق في بعض الأحيان بالمداخل المذكورة والممنوحة من طرف الأجانب أو من المنتمين إلى كتلته أو من أي شخص آخر يلتمس مساعدته أو العفو لسبب أو لأخر.

3)- الصلاحيات القضائية والاجتماعية:

- تسوية النزاعات على جميع المستويات .
- إعادة الثروة الحيوانية المسلوبة في الغارات المعزولة.
- إصدار الأمان على من هو مهدد من طرف ما.
- الصدقة على الفقراء و المحتاجين.
- إعارة إناث الماشية الحبلى للفقراء.
- حماية الفقراء.

كما نلاحظ إن أمنوكال هو نقطة تلاقي(الطبل)،وهو رمز الأمن و المرجع الذي يسمح بالسير الحسن للحياة الجماعية سواء كانت سياسة اقتصادية ،اجتماعية اوحتى معنوية وأخلاقية، ويعتبر زعيما سياسيا وقائد عسكريا في نفس الوقت، يقوم بوظيفته هذه بمساهمة نظراءه من مجلس الشيوخ الأعيان.

- **مجلس الشيوخ والأعيان :**

لم يكن أمنوكال حاكما مطلقا بل يشاركه في السلطة هيئة استشارية تستمد أهميتها من قوة شخصيات (امغارن) أو الشيوخ رؤ ساء القبائل .

أمغار لغوي يطلق في الغلبة على كبير السن.على الأب ،الجد ،وعلى كل الأسلاف الذكور تقريبا ،وفي مجال التنظيم السياسي الاجتماعي فان له مفهومهم (القائد)،(الزعيم) أو (السيد)، الذي يحكم أو يملك سلطة مهما كانت رتبتها ونوعها (أمغار_أن_توسيت).

إذن هو رئيس قبيلة وكل أمنوكال هو أمغار، والعكس غير صحيح ،ولكل قبيلة رئيس مهما كان حجمها وأهميتها . أمغار يتوسط بين قبيلته أمنوكال،يوصل أوامر هذا الأخير ويسهر على تنفيذهاوياخذ حصة قبيلته من الغنيمة . أو الضرائب سواء كانت له أو عليه، تشكل بعض القبائل كتل مستقلة عسكريا وجغرافيا، تتضمن كتلتها قبائل موالية لها يتمتع رئيسها بنفوذ أمنوكال ،كما هو الحال عند تايتوق .

ومهما كان نفوذ أمغار فانه يشارك في انتخاب أمنوكال،ومناقشة القرارات الكبرى التي تخص الكونفدرالية في المجلس الذي يجمع أمنوكال و إمغارن ومجموعة من الأعيان والمرافقين . يجتمع المجلس في حالتين:

1- بدعوة من أمنوكال الذي يرأسه .
2- في حالة شغور منصب أمنوكال بسبب الوفاة أو حدوث مانع ما أو لعزله وانتخاب أمنوكال جديد حسب القاعدة.

في الحلة الأولى يتعرض المجلس إلى القضايا المهمة أو الطارئة في السياسة و الاقتصادية أو في الشؤون الاجتماعية الداخلية .وهي كالتالي:

1)_ القضايا السياسية : التشاور حول مستجدات الوضع واتخاذ القرارات المناسبة ازاءها ،كإعلان الحرب أو قرار السلم والأمان ،أو اتفاق على المعاهدات وتعويض أمنوكال لتمثيل الكونفدرالية في (ميعاد) خارجي.

2)- القضايا الاقتصادية: تتمثل في مناقشة أمور الجباية وتحصيلها وتقسيمها، نشاط تجارة القوافل وحقوق النقل والمرور والحماية، وتحديد مناطق الرعي و الترحال، وتنظيم أوقات غلقها أو فتحها كي تستغل بشكل أحسن.

3)- القضايا الاجتماعية : يتعين على المجلس أيضا أن يفصل في النزاعات و الشكاوي الواردة على جميع المستويات بين الأفراد أو القبائل داخل الكونفدرالية ،إلى جانب الاهتمام بالفقراء والأرامل و المحتجين وتعيين وكلاء عليهم لمساعدتهم .

إذن كما نلاحظ لاتوجد مفاهيم تتوسط بين أمنوكال أمغارفي هذا التنظيم السياسي الخاص ،أمنوكال هو الحاكم الأسمى للجميع بعد إرساء إيديولوجية التأسيس المرتكزة على علاقات القرابة التي تربطه بأصل (سلف) نموذجي وتخلده الأسطورة في اهقار، لم يسبق لغير كيل غلا أن مارس منصب أمنوكال منذ ظهوره، مثلما كان الشأن لاوراغن منذ اعتلاءهم السلطة منتصف القرن السابع عشر .

-ب) النظام الاجتماعي:

أن لكل تنظيم ماهية علمية وضعت للفصل بينه وبين بقية الأنظمة، فان النظام الاجتماعي ينمكن تفريقه حسب الدكتور عاطف غيث : (هو نموذج مستقر نسبيا للعلاقات الاجتماعية بين الإفراد والجماعات الفرعية داخل المجتمع، أو داخل جماعة معينة، يقوم على انساقة الأدوار والمعايير والمعاني المشتركة، التي توفر النظام والقدرة على التنبؤ الاجتماعي). أي انه عبارة عن نظام متجانس ومتكامل في الوظائف الاجتماعية، تحكمه مجموعة معايير وقيم ترتبط بين الاتساق الفرعية لبناء النسق الكلي.

أن النظر إلى النظام الاجتماعي إموهاغ يظهر انه عبارة عن نظام قبلي، حيث أن مجتمع إموهاغ ينقسم إلى عدد من القبائل، وكل قبيلة تنقسم إلى أفخاذ وعشائر، وكل عشيرة هي مجموعة عائلات، والتي هي بدورها مجموعة اسر نواتيه، والتي تشكل قاعدة هذا الهرم القبلي .والقبيلة في الواقع هي العنصر الأساسي الذي يميز إموهاغ سواء المستقرون منهم أو الرحالة ويطلقون على القبيلة اسم (توسيت)، والتي تتكون من مجموعة من الناس الذين يجمعهم الولاء المشترك لأحد أفراد القبيلة الذي يتولى رئاستها وغالبا ما يكون أكبرهم سنا أو جدهم الأكبر، والقبيلة بدورها تتفرع إلى عائلات أو عشائر تسمى (أغيون) ،ويتكون من مجموعة من الأسر التي تسمى (إيهن) ،إذن فبالرغم من كون الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع إموهاغ ،حيث تتمتع كل قبيلة بالاستغلال التام في شؤونها الداخلية وتتصرف كوحدة واحدة في علاقاتها مع غيرها من القبائل الأخرى، وتلعب القبيلة عدة أدوار في مختلف المجالات منها الاجتماعية والاقتصادية و السياسية.

إن الانتماء إلى قبيلة معينة تحدد المكانة التي يستحقها الفرد بين الآخرين، وكذلك الدور الذي سيلعبه والوظائف التي سيقوم بها في إطار الجماعة.هذا يعني أن المكانة الاجتماعية للفرد تحددها القبيلة التي ينتمي إليها، بمعنى إن الفرد في المجتمع يمثل قبيلة.

ويعمل باسمها كما يعيش صورتا الاجتماعية الأخلاقية ،وكذا الاقتصادية فهي الإطار المادي والمعنوي الذي ينطلق منه الشخص ،فمثلا عندما يعرفك شخص بنفسه فانه يذكر اسمه ثم اسم أبيه ثم اسم قبيلته، أي إن الانتماء الا أي قبيلة هو الذي يحدد شخصية الفرد، هذا الانتماء يبين لنا الانتماء إلى عصبية قبلية معينة كما أن الانتماء إلى قبيلة ما عبارة عن امن لجميع أفرادها خاصة الضعفاء ،كالشيوخ و العجزة و الأرامل واليتامى .إذ لا بد أن يكون هناك دائما من يقوم برعايتهم وحمايتهم لان شروط الحياة الصعبة أدت إلى ضرورة حياة جماعية،والى التعاون وهذا التنظيم الجماعي كان لازما لبقاء الجماعة والتعاون روح المجتمع وضرورة اجتماعية .

ج)-النظام الاقتصادي:

يعرف التنظيم الاقتصادي انه نوع من السلوك الذي تتبعه جماعة ما من الناس في استعمال مواردها الاقتصادية لتحقيق غاياته ،فمجتمع إموهاغ المستقرون منهم والبدو الرحل لديهم عدة أنشطة اقتصادية مارسوها في الماضي ومنها ما تمارس حاليا ،نذكر منها الرعي والزراعة والتجارة ...الخ.التي تسير بنظام اقتصادي محكم بدءا من النظام الضابط أمنوكال مرورا بشيوخ القبائل إلى رب العائلة، هذه السلسلة الهرمية تحكمها قوانين عرفية تتحكم في سيرها وتنميتها، وطريقة فرض الضريبة عنها.

داخل هذا النظام الاقتصادي نجد هناك ما يسمى بتقسيم العمل، حيث نجد هناك قبائل مختصة بالزراعة وأخرى بالرعي والبعض الآخر بالتجارة، وهناك من القبائل من تمارس النشاط الحرفي (الصناعات التقليدية). لكن هذا التخصص لا يمنع وجود تداخل في ممارسة هذه الأنشطة الاقتصادية، فقد نجد الفلاح يربي الماشية في حقله وقد نجده هو و الراعي يمارسون التجارة من اجل استبدال محاصيلهم الزراعية وكذا الحيوانية بمواد أخرى، مثل الألبسة والحبوب والتمور وذالك عن طريق مقايضتها في الأسواق الأخرى . لكن كل هذا لا ينم الا بوجود قانون عرفي للكونفدرالية تسيطر على حركة هذا النشاط الاقتصادي . وفي المبحث القادم نتطرق إلى أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها إموهاغ بتفصيل في مراحل تاريخهم وعبر العصور .

- ثالثا : أوجه النشاط الاقتصادي في المجتمع التقليدي لإموهاغ:

كما سلفنا الذكر أن النظام الاقتصادي عند إموهاغ مضبوط بقوانين عرفية تسيره، هذه القوانين العرفية هي التي توجه النشاط الاقتصادي ،كما تحدد طبيعته فمثلا الإغارة وسلب لا يكون إلا أمر من

امنوكال، بعد اجتماعه برئاسة القبائل ، حيث يتخذون القرار على من يغيرون وكيفية يغيرن، حيث أن الإغارة لا تكون إلا عند الضرورة الحالكة، لذا نحن الآن في سدد عرض مفصل عن كل نشاط كان إموهاغ يمارسونه.

أ)- الإغارة والسلب:

أن الصراع الأزلي الذي يعرفه الإنسان مع الطبيعة للتمكن من تحقيق الاستقرار والرفاهية والراحة ،حيث تعتبر طبيعة المناخ الصحراوي قاسية وناقصة الموارد المائية لقلة تساقط الأمطار فيها ، وعدم التنظيم في القليل المتساقط ،حيث انه قد تشاهد عدة سنوات جفافا حادا مما يدفع بسكانها (اموهاغ)إلى امتهان طرق عديدة من اجل تحقيق ذالك النقص المتراكم من نتاج الجفاف، ونظرا لبساطة عيشتها وقلة مواردها تلجا إلى عدة وسائل من اجل تحقيق الاكتفاء الذاتي من الإغارة و السلب .

هناك نوعان من الإغارة منها الطويلة، والتي تتم على مستوى مسافات بعيدة عن الكونفدرالية، أما النوع الثاني، فهي أغارات قصيرة وتتم على مستوى مسافات قريبة من الكونفدرالية، حيث إن السلب يتم بخفة وسرعة فائقة ، حيث لا تستغرق الا بعض الدقائق،وذالك بجوم مفاجئ على مخيم، أو مكان القبيلة الضحية، ليتم سلبها واختطافها أطفالا صغارا ليتم بيعهم أو اتخاذهم عبيدا. و بعد التمكن من السلب يتم الهروب وسلوك الطرق الوعرة، وهي مسلك جبلية قصد الاختفاء وإخفاء ما تم السطو عليه، والآفلات من الطاردين من القبائل.

إن قيام القبيلة بعملية الإغارة يستدعي الاعتماد على خبرة رجالها، الذين يجب أن تتوفر فيهم عدة ميزات منها الخفة والسرعة والدهاء والمهارة القتالية، ومعرفة المسالك وقوة التحمل......الخ ،حيث إن هذه الصفات تساعد التارقي على إتمام عملية السلب بخفة وإتقان وقلة الضحايا.

لكن هذا النوع من النشاط الاقتصادي لا يكون إلا في حالة الجفاف وعدم أجود الموارد المعاشية ، وهذا النشاط لا ينفرد به إموهاغ في الصحارى بل هو منتشر في الشعوب الصحراوية ، فاموهاغ يغار عليهم كما يغيرون ، لكن هذا النشاط شهد تراجعا في مطلع القرن العشرين ، مع دخول الاستعمار الأوروبي الى إفريقيا ، وسيطرته على المجتمعات الإفريقية .كما أن أولئك الأشخاص المخطوفين واستعبدوا، أصبحوا من مجتمع إموهاغ ، رغم أنهم يجهلون أوصولهم القبلية ، لكنهم يعيشون بكرامتهم بعد تحررهم ولهم علاقة وطيد بالسيادهم رغم تحررهم. هكذا أصبح في مجتمع إموهاغ فئة جديدة تمارس حياتها كباقي أفراد مجتمع ، كما انه لها وزنا في المجتمع .

-

ب) الرعي و الترحال:

يعتبر بدو إموهاغ من التمعات التي تعتمد في نشاطها الاقتصادي على ممارسة الرعي، والذي يقتضي في المناطق الصحراوية فعل الترحال . وذالك من اجل توفيرا الغذاء لماشيتها، حيث يتم التنقل بين المراعي. والمراعي نوعان في بلاد إموهاغ ،وذالك حسب ما ذهب إليه "إسماعيل العربي"[1] (......ذات العشب الضعيف، والمائل إلى الصفرة، والشجيرات المنتشرة بصورة غير منتظمة هنا وهناك ولاسيما في قيعان الأودية، والنوع الثاني يتمثل في العشب الأخضر والكثيف، الذي يثبت وينمو وقتا قصير في مناطق معينة عقب سقوط الإمطار...).

فالمراعي في مواطن إموهاغ خاصة منها اهقار وتاسيلي ،قليلة ومبعثرة ولهذا من دواعي الحاجة ولإرضاء حاجة المواشي ،يمارس الرحالة من إموهاغ التنقل الكثير من اجل إيجاد العشب الطري، حيث إن المراعي التي تقع حول المخيم لا تلبث أن ينفذ ما فيها من الكلأ،ويزيد من وطأة الحاجة الدائمة إلى التنقل مع ندرة مواقع المياه والآبار.

إن كثرة التنقل و الترحال فرضت على بدو إموهاغ، التقسيم إلى مجموعات صغيرة سريعة التنقل ،حيث أن قبيلة واحدة تنقسم إلى مخيمات صغيرة تتكون من جزء صغير من العشائر، وفي بعض الأحيان من أسرة واحدة تنتقل من مرعى إلى أخر كل فترة تتراوح بين أسبوع أو شهر، وهذا التنقل كثيرا ما يكون لمسافة طويلة ولو انه لا يخرج على نطاق حدود أراضي القبيلة.

إن دور الرعاية والحماية والحراسة والبحث عن مراعي جديدة، هي اختصاص النبلاء في القبيلة ورؤساء العشائر التابعة لها، أما رجال العشائر التابعة فان دورهم ينحصر في الأعمال اليومية ،وفي رعي المواشي وفي نفس الوقت يمثلون احتياطيا مسلحا حيثما تدعو الحاجة إلى ذالك متى وقعت المعركة كبيرة، أما العبيد فيقومون بالخدمة في داخل المخيم من هذا يتبين لنا إن العصبية المسيطرة في القبيلة هي التي لها الحق في تسيير حركة القبيلة واختيار أماكن الاستقرار ،وباقي العصبيات ما هي إلى السند و الاحتياط لدعم شوكة العصبية الحاكمة .

انه يمكن ملاحظة كيف يتم تقسيم العمل عند بدو إموهاغ ، نلاحظ ذالك التنظيم المحكم في تولي نبلاء القبيلة ورؤساء العشائر حماية القبيلة من الخطر المحيط با،وكذالك في البحث عن مناطق الرعي ،أما لإتباع من العشائر ويتولى الأعمال اليومية من رعي وغير ذالك في الحالة العادية، بينما يعتبر الجيش الاحتياطي يعتمد عليه عند الحاجة أما العبيد فعملهم داخل المخيم . كل هذا التقسيم الطبقي

---

[1]-إسماعيل العربي: " تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر". المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.ص: 178.

للمهام هو تقسيم فرضته اعتبارات تتصل بالحياة اليومية لا توجد صلة شبه بينه وبين النظام الإقطاعي الأوربي _في العصور الوسطى – والذين حاولوا المقارنة بين النظامين إنما كانوا يعتبرون ظواهر التقسيم الطبقي ،وليس من حيث أن رئيس أمنوكال نفسه إنما يتم احتياره بطريقة انتخابية حرة يشترك فيه ممثلو العشائر التابعة ،ورؤساء القبائل على نفس المساواة مع رؤساء العشائر النبيلة، وهؤلاء يستطيعون الرئيس على الأقل نظرية بنفس الطرق السليمة التي ينصبونه با .

ج)- تجارة القوافل:

إذا كانت الثروة الحيوانية والبساتين تشكل القاعدة الأولى للاقتصاد عند إموهاغ، فان التجارة لها مكانتها أيضا في هدا النظام ، والمادة الأولى في هده التجارة هي الملح والتمر ومشتقات الحليب ، مثل (الجƏ الـفف ....) يمثلان الحجر الاساسى بل العملة الصعبة أيضا للتبادل التجاري في الصحراء الكبرى كلها .

يأخذ الملح كنشاط اقتصادي عند إموهاغ على سبيل المثال إموهاغ اهقار، فان ذالك يتم بمراحل من استخراجها إلى بيعها أو تبديلها .(ففي شهر ابريل أو مايو يرسل بعض التوارق خدمهم من السود للعمل في منجم(امدغور)، لاستخراج الملح لمدة أسبوعين أو ثلاثة، وفي شهر يوليو ينقلون شحنات من الملح على ظهورا لجمل ويمرون بمراعي تمسنا ،حيث يتيحون فرصة من الراحة لجمالهم، وبعد ذالك يبدلون بعضها بجمال أكثر حيوية واشد قوة ويمضون با في اتجاه المراكز التجارية لمدة نحو شهرين، وهي محملة بالملح الذي يبادله التوارق بالتمر والحمير والجمال و الذرة وغير ذالك من منتجات الشمال، والمنتجات المصنوعة المستوردة،مثل ملابس القطن والأحذية والأواني المηلية والآلات المصنوعة من الحديد الصلب و الأسلحة والذخيرة. وفي شهر يناير يعود التوارق إلى الشمال ويستريحون بعض الوقت مرة أخرى في تمسنا قبل أن يلوا صلوا سفرهم إلى بلادهم حيث يصلون في شهر مارس أو أوائل ابريل)[1].

وهناك رحلات أخري يقوم با إموهاغ ، وهي إلى نواحي "تديكلت "و "توات" يقوم با إموهاغ -أن- اهقار في شهر يناير أو أوائل شهر فبراير،وينتهي في شهر ابريل وفي هذه الأسواق يبيع إموهاغ الجمال والغنم ويتم استبدالها بالتمر، إلي جانب ذالك توجد جوانب أخرى لتجارة إموهاغ وهي الموارد التي يجنيها أماهη من الحقول، مثل الطماطم اليابسة التي تباع وتستبدل هي كذالك في السوق بالاضافة إلى مواد أخرى يجنيها إموهاغ من حماية القوافل، ومن تسيير القوافل عقب حلول

[1]- نفس المرجع، ص :182 .

السيارات والشاحنات محل الجمال في نقل البضائع عبر الصحرى وهذه التطورات كان لها اثر قوي ولوحظ منذ أواخر القرن ما قبل الماضي وبداية القرن الماضي ،في تدهور الاقتصاد الصحراوي ، ذالك الاقتصاد الذي لم يكن يتسم بالقوة على كل حال في أي عصر في تاريخ، هذا الشعب الذي ظل قرون تلو قرون متمسكا بنمطه الثقافي الخاص بطريقة معيشية التي لا يرضى با بديلا .

هذا النوع من النشاط يقتص الفرنسي أسراره ،وتوقف نموه الطبيعي بعد ما بسط سيطرته على الصحراء ولقد عرف هذا النشاط عودة من جديد في الصحراء، وذالك بتنظيم عدة تظاهرات على مستوي ولايتي تمنراست وايليزي، مثل معرض" اسيهار" الذي تنظمه ومدينة تمنراست مدة كل سنة، الذي كانت اول بداية له سنة 1971 ، حيث وضعتهم الدولة الجزائرية من اجل الحفاظ على هذا النمط التجار التقليدي ، والاستفادة منه في إنعاش الاقتصادي للمنطقة وتحريكها ، واستغلال موقعها الجغرافي ، وكذا وضع قوانين جمركية لتحكم فيه ، وكذا استجابة لهدفين أساسيين هما:

1) توفير المواد الاستهلاكية للمواطن وبأسعار سهلة المنال .
2) تقوم روابط الصداقة والتعاون الاقتصادي بين البلدان الإفريقية الـاورة [1] .

حيث أن هذه التظاهرات تتم امتهان الوسيلة التقليدية للتجارة – تبادل السلع – حيث تتم مقايضة البضائع المحلية بغيرها،تكون مدة "الاسيهار" حوالي أسبوعين أو أكثر، وعادة ما تكون مابين شهري ديسمبر إلى شهر جانفي أي في وسط الموسم السياحي .وأخيرا أصبحت تقام في شهر مارس من كل سنة ، والجديد فيها هو اختفاء التعامل عن طريق المقايضة ، حيث أصبح التجار يتعاملون بالعملة الجزائرية ، كما أصبح يشارك فيه العديد من التجار والمؤسسات من مختلف مناطق الوطن .

ولقد عرفت كل من المدن جانت وتمنغست وتينبكتو واقدز وتارجا نشاطا تجاريا منها لعمران الاجتماعي،وتداخلا ثقافيا مع مختلف الشعوب، الذي أفسح الفرصة لاموهاغ للاحتكاك بمختلف الثقافات، حيث انه كان الفضل في نشر الإسلام في إفريقيا،باعتماده على القوافل التجارية، وكذالك له الفضل في اكتشاف الأوربيين لبطون الصحراء ورسم خرائطها . من هنا نستنج إن تجار القوافل إلى جانب قيامهم بفعل التجارة ، لهم مهام أخرى من بينها اكتشاف نمط المعيشة للشعوب وتطورهم والعمل في مجال الدعوة ونشر الإسلام في المناطق التي كانوا يقصدونا.

---

[1] - ،عبد السلام بوشارب،نفس المرجع ص:221.

د) - النشاط الزراعي:

يقول ابن خلدون عن الزراعة ((صناعة ثمرها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على أثارة الأرض وازدهارها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم إحصاء سنبله واستخراج حبه من علفه وإحكام الإعمال لذالك وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع كما أنها محصلة الأقوات المكمل لحياة الإنسان [1])). ومن هنا يمكن القول أن الزراعة هي أقدم الصنائع التي عرفتها البشرية . حيث انه من المتفق عليه بين علماء الآثار والحفريات وعلماء الزراعة ،أن نوعا من الزراعة كان معروفا بل حوالي 6000سنة بالشرق الأوسط .

لقد عرفت مناطق الاستقرار إموهاغ أنواعا من الزراعة منذ القدم ، والدليل على ذالك((.....المنقوشان والصور في التاسيلي قبل 2800 سنة قبل الميلاد ،كانت مجموعات المزارعين ومربي المواشي قد انتشرت وتغلغلت في الصحراء الكبرى من الشرق إلى الغرب ،كما تشهد على ذالك المصادر والأصول الشرقية لأنواع إلى الغرب ،كما تشهد على ذالك المصادر والأصول الشرقية لأنواع والأجناس الأبقار والثيران حسب صور التاسيلي ....)) بالأخذ هده الاعتبارات فانه يمكن القول أن إموهاغ قد عرفوا نوعا من الزراعة بدائية . والتي عرفت تطورا نوعيا .وذالك بدخول الوسائل التقليدية، والتي من مناطق توات بصحبة الحماسة (ازقاغن)[2]، حيث أنهم استغلوا الأراضي الزراعية لصالح أصحابها مقابل خمس إنتاجها ،حيث نقلوا تقنية الفقارة للسقي في البساتين هذا في اهقار، أما في ازجر (جانت)فقد عرف الزراعة منذ القدم، حيث أنهم كانوا يستعملون تقنيات بدائية، مثل المحراث الخشبي . إما الأعمال فتخلص في الزراعة والحصد، ويتم ذالك بتقنيات بسيطة جدا بحيث تقسم المساحات المزروعة إلى مربعات، والتي تنشر فيها البذور ((...وطول ضلعا لمربع يتراوح1.إلى.2م مفصولة ببعض النوصفات الرملية، التي كونها المزارع لقنوات الري بحيث شبكة الري مهيئة بشكل يسمح بان يصل الماء، إلى كل مربع كما أنها متراصة جيدا وجميع الإعمال تتم باليد، حفنة التراب تؤخذ وتوضع لتسمح بسيلان المياه في المربع[3] .

---

[1]- المقدمة ،ص:450.

[2]- إزقاغن : "وتعني الحراطين بتماهق ، وهم المزارعون الذين اعتمد عليهم في اهقار لزرع الأراضي".

[3]- حسن مرموري : "التوارق المستقرون" . مرجع سابق ،ص: 123.

_ رابعا : التصنيف الاجتماعي لاموهاغ:

أ)- إموهاغ الحضر (المتمدنون) :

لقد صنف العلماء و الباحثين الاجتماعيين التمعات البشرية إلى بدو وحضر ، حيث قال ابن خلدون في ذالك ((اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فان اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء، بما هو ضروري منه وتنشيط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلح من الغرس والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها، واستخراج فضلاتها[1] ....)) هذا دلالة على إن هذا التضييق يعتمد أو يتأثر بطبيعة النشاط الاقتصادي الذي تمارسه الجماعة و أضاف ابن خلدون أيضا ((.....وحصل لهم ما فوق لحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذالك إلى السكون والدعة و تعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتانق فيها وتوسعه البيوت واحتضاض المدن والأمطار للتحضر ثم تزيد أحوال والرفه والدعة ....)[2].

إن اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوانات تحسنت وتعقده ظروف المعاني الإنسان وتتالت اكتشافات بطيئة ومتتالية تمليها الملاحظة والحاجة اليومية تتوارثها الأجيال. وقد تطلب العمل الزراعي مستوى ثقافيا رفيعا ضروريا لمعرفة الأحوال المناخية والتحكم في طرق العمل كما تقتضى كذالك اللجوء إلى مصادر طاقوية جديدة فعلاوة على الطاقة الهواء والماء . كما اقتضى العمل اكتشاف وسائل وأدوات تطورت والأدوات الحجرية إلى الأدوات الجديدة . فظهر المحراث والعجلة والعربة والمراكب الشراعية وذالك حوالي.3000.سنة قام في مصر والهند ومابين النهرين والمتوسط ومنقوشات التاسيلي . لكن تبقى أهم انعكاسات اكتشاف الزراعة فيها يخص العمران هو ضرورة الاجتماع لما يقتضيه ذالك العمل من تعاون بأيدي، كما اقتضى كذالك ضرورة الاستقرار لارتباطه بالمكان فتم بذالك ظهور القرية.

لقد عرف مجتمع إموهاغ الاستقرار في المناطق والواحات نذكر منها جانت . وتينبكتو وتدمكات التي قال عنها أبو عبيدة البكري الذي يكتب في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي حين يقول في وصف ((تادمكة)) ((تولاد ماكت)) في أدرار-أن-يفوغاس مايلي: ((.....تادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة – تولاء ماكت – (هيئة مكة) .وهي مدينة كبيرة بين جبال الشعب، وهي أحسن بناء من مدينة غات ،ومدينة (كوكره) وأهل تادمكة بربر مسلمون، وهم يتنقبون كما يتنقب البربر الصحراء وعيشهم اللحم واللƏ، ومن تنبته الأرض من غير احتمال ويجلب إليهم الزرع

---

[1]- المقدمة:ص:132.
[2]- المقدمة: ص:132.

وسائر الجنوب من بلاد السودان،ويلبسون الثياب المصبغة بالأحمر من النيلي وغير ذالك .وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا اصفر وسروال ازرق.ودنانيره تسمى (الصلع) لأنم ذهب محض غير مختوم ونساؤهم فائقات الجمال لاتعدل بن أهل بلد .....))[1].

هذا التقديم لابو عبيدة البكري يوحي بان هناك مجتمعات من إموهاغ التي تتخذ من المدن مستقرأ لها ،ومن هناك يمكننا القول أن مجتمع إموهاغ هم بدو و حضر، وان ربط البدوة بالصحراء عند بعض الباحثين ليس بمقياس، وهناك منهم من يرجعها إلى النظام القبلي ،فان ربط البداوة بالنظام الاجتماعي هذا الرأي لايمكن الانطلاق منه لان هناك مجتمعات غير قبلية تتخذ البداوة حياة لها .

ب)- إموهاغ البدو:

لقد عرف الدكنورمحي الدين صابر المفهوم العام للبداوة بأنه: ((نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان لطلب الرزق حول مركز مؤقتة ، يتوقف مدة الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها، من ناحية على مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن إن توفر فيها من ناحية ثالثة)) فبدو اموهاغ هم من البدو الرحل الذين يمارسون الرعي من رعاية المعز (الماشية)، إلى رعاية الإبل وكلا منها حسب خصوصياتا والتأثير الايكولوجي عليها ، حيث تجدد التنقلات السنوية و الموسمية للبدو وهو حاجات قطعانه للغذاء . حيث يرحلون داخل الصحراء ، وذالك حسب حالة المطر .

إن بدو إموهاغ القائمون على رعاية الماشية فان تنقلهم يكون حول أودية وشعب الحمية .أما رعاة الإبل منهم، فقد يكون ترحالهم حتى إلى مناطق بعيدة من حماهم ،مثل انتقال بدو اهقار إلى الجنوب نحوى تمسنا بادرار-أن-يفوغاس ، فتوزيع هؤلاء البدو على شكل قبائل وعشائر في مختلف المناطق ،حيث نجد في كل منطقة من مناطق الصحراء قبيلة، أو مجموعة من القبائل تقوم برعي في حماها، ولكل حمى حدود ونظام خاص به يقوم على تنظيم المناطق الرعوية وتحكم في حركة الأهالي فيها، وهذا النظام الداخلي لا يستقل عن النظام الكنفدرالي العام الذي يقوم بالتسيير والتوفيق بين مناطق الكونفدرالية وبينها وبين باقي المناطق الخارجة عن تغطيتها .

فبدو إموهاغ البدو هم مستقرون اجتماعيا ،حيث لا يشهد نظامهم الاجتماعي تحولات رغم ترحالهم وتغييرهم لمناطق الرعي بحثا عن الكلأ لماشيتهم، وكما تخضع المناطق الرعوية إلى الحبس ذالك لتنظيم الرعي والحفاظ على مخزون الكلأ للماشية تعاملا مع ندراته في أيام قلت تساقط الأمطار.

[1]- إسماعيل العربي :" الصحراء الكبرى وشواطئها".مرجع سابق ،ص: 186.

- **ملخص الفصل:**

لقد تناولنا في فصلنا هذا حول الأنظمة الاجتماعية لإموهاغ ، حيث بين طبيعة نظامهم السياسي ثم نظامهم الاجتماعي وبعده نظامهم الاقتصادي الذي وضحنا فيه أهم الأنشطة التي كان ا لتمع يرتكز عليها في حياته والتي لها علاقة وطيدة في توجيه التغير الاجتماعي ، من هذا القديم يمكننا طرح عدة تساؤلات حول طبيعة استقرارهم وماهية الدوافع المؤدية الى ذلك ؟وكيف كان تأثير الدولة الجزائرية على استيطا نهم؟.

الفصل الرابع

بوادر استقرار البدو التوارق في الجزائر الحديثة

تمهيـ ـد :ان لكل تحول اجتماعي أسباب ودوافع تؤدي الى ظهوره ، فتحول الحاصل في مجتمع اموهاغ له خلفيات عديدة أدت الى حدوثه، سنحاول تناولها في هذا الفصل حتى تكون لدينا نظرة عامة حول التغير الاجتماعي القائم في ا لتمع .

أولا : بوادر التغير الاجتماعي في عهد الاستعمار الفرنسي:

أ)- تغيير مقاليد السلطة السياسية :

لقد عرف نظام السلطة التقليدية السياسية لاموهاغ في منطقة اهقار عدة تحولات ،بدأ من سلطة إمنان على منطقتي ازجر و اهقار إلى استقلالها عن بعضها بعد ذلك ، ثم مرورا بسلطة إموهاغ على أنفسهم ، ثم تحويل زمام السلطة إلى الهيئات الإدارية والعسكرية للاستعمار الفرنسي.

1)– السلطة التقليدية في اهقار قبل الاستعمار الفرنسي:

لقد حظي موضوع السلطة في اهقار بالاعتناء والدراسة الدقيقة من طرف الانتربولوجيين . فبدءا من صالح الذي لم يعرف اسم أبيه ولا أمه ، حيث حكم خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حيث وصل إلى السلطة بفضل اتفاق بين شرفة توات والشيخ كنته زعيم الكنتاويين، أي بفضل تأييد سلطة العصبية الدينية، التي تمتاز بمكانه مرموقة داخل مجتمع إموهاغ ، ثم تلاه محمد الخير ابنه الذي لايعرف الكثير عنه ، وتوارث السلطة عنه أبنه سيدي وهو الذي تزوج بكلة سليلة تين هنان ، وكان رابعهم يونس أق سيدي خلف أباه في حوالي (1795 - 1820) ، ثم أتى بعده أق مامة أق سيدي في حوالي (1820- 1850)، والذي اقترن بإمرأة من تايتوق ، والذي خلف بعد ذالك بن أخته، وهو حي الحاج احمد أق الحاج البكري (1850- 1877). بعد أن أصبح هذا الأخير عاجزا الا انه لم يتم الاعتراف به بصفة رسمية الا بعد وفاة أق مامة

- فكان سابعهم اهيتاغل أق محمد يبسكا (1877- 1900) : وهو ابن خالة الحاج احمد أمنة البنت الثالثة لكلة بينما كان الحاج احمد ابن البنت الأولى الزهرة ، بعد وفاة اهيتاغل طرح مشكل الخلافة من جديد وتزامن ذالك مع دخول الفرنسيين إلى منطقة تديكلت واحتلال إين صالح سنة 1900، وبات ضغطهم السياسي و الاقتصادي يؤثر على كيل اهقار، بعد أن منعت عليهم السلطات الفرنسية الدخول إلى سوق إين صالح، مركز تموينهم الرئيسي ، وكان المرشحين المتنافسين

الأساسيين هم ، محمد أق اورزيق ابن أخت البكري، اهيتاغل اول المرشحين حسب القاعدة ، ولكنه كان مسنا وبدن نفوذ.

اتسي أق املال وخويلة الأخت الصغرى لاهيتاغل ، المرشح الثاني كان اقل سنا من محمد اورزيق لكنه أكثر دينا وذو مبادي ثابتة وشجاعة حربية لانظير لها ، كان على رأس التيار الرافض للتوغل الفرنسي ، إلى جانب مرشحين ثانويين، وبعد تفاقم الأزمة تدخل حينها كما يحدث غالبا عندما يكون عدم تفاهم في التمعات المغاربة، اثنين من رجال الدين يمثلون السلطة الدينية في ذالك العصر، غابدين وبكته أق إبراهيم ، ولتسوية النزاع وضع غابدين مسبحته بين يديه وصاح ستصبحان الاثنان زعيمين في نفس المنصب ، وقطع قماش عمامته على نصفين متساويين ووضع لكل منها قطعة على رأسه، لكن هذا حل جزئي مؤقت وأكثر من ذالك فقد ظهرت مشاكل أخرى تتعلق بصلاحيات المنصب . أصبح الزعيمان يأخذان ضريبة (توسي)في نفس الوقت، إلى جانب تدخل رجال الدين (غابدين وبكته) وتحريمهم استهلاك التمور الآتية من إين صالح التي يعتبرونا نجسة من طرف الكفار الفرنسيين المحتلين لإين صالح ، كما ترددت بعض القبائل حول رأي أي أمنوكال تتبع. لكن نظرا للظروف التي سادت المنطقة آنذاك تمكن اتسي من حجب نظيره بسرعة ، و التف حوله كيل اهقار ليصعد من سياسة المقاومة للتوغل الفرنسي . ليختفي منافسه محمد أق اورزيق تدريجيا .

- اتسي أق املال[1]: (1900- 1904) وهو إذن الابن الأكبر للأخت الصغرى لأمنوكال السابق . وبعد هزيمة (تيت)1902، وتكاثف الاستطلاعات العسكرية الفرنسية التي تبعتها انيار القوة المعنوية لكيل اهقار واستطاعت السلطات الفرنسية، أن تتدخل بصفة غير مباشرة لاستغلال الوضع لصالحها ،بعد أن أعلنت عدم استعدادها للتعامل مع تسي أق املال، وأي كان من كيل اهقار ما عدا موسى أق أماستان وعمه خيار .

وحالة ماذا طرح مشكل الخلافة فان المؤهلين الاساسيون حسب القاعدة هم:

- أنابا أق املال الأخ الأصغر ل تسي .
- فخا أق اورزيق الأخ الأصغر ل محمد .
- خيار أق اهقار.

[1]- مرموري حشن :"التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين " ، نفس المرجع السابق .ص: 102.

- أماستان أق اهقار.

ومرشحون شباب آخرون .والسؤال الذي يطرح نفسه- من هو الذي يتمكن من أن يكون أمنوكال ؟.

2) السلطة التقليدية إبان الاستعمار الفرنسي :

لقد خلف اختيار أمنوكال كل المراسيم التي سبقته حيث تم اختيار أمنوكال برغم من كون أمنوكال تسي على قيد الحياة وفي اهقار و بكامل قواه العقلية و الجسمية. حيث تم اختيار موسى أق امستان دون الآخرين حيث اختير بإضافة إلى كونه يتمتع بصفات جسمانية و معنوية . فان السبب الحاسم في اختيار موسى هو مساندته من طرف السلطات الفرنسية، بعد أن تبنى سياسة الخضوع تبعا لنصائح عمه خيار. وتنصيبه من طرف قائد ملحق إين صالح Metoisسنة 1904ك أمنوكال .

- موسى أق أماستان (1904- 1921): حفيد أق محمد بن الخير عن طريق بنت الأصغر لهذا الأخير، وبالنسبة لصالح يقع موسى في الترتيب السابع (الجيل السابع) . أما بالنسبة إلى كله فيقع في الجيل الرابع فهو ابن تاباوت بنت تمخلوسات بنت اماهيس بنت كلة .

ونظرا للدعم الذي وجده من طرف الفرنسيين ، فقد استفادت قبيلة كيل غلا من امتيازات جديدة الاستيلاء على أراضي كيل تايتوق الرافضين للتوغل الفرنسي في ابلسة وسيلت، و ازدياد احتياطهم من الجمال المحصل عليها من غنيمة الحرب على انصار ، كاويسن إعادة العلاقات التجارية مع توات وتيديكلت وزندر.

وفي نفس الوقت اعتبر اهقار وحدة جغرافية وادارية تنتمي إلى دائرة الإقليمية الصحراوية تحت المراقبة العسكرية الفرنسية لإقليم الواحات وورقلة . توفي موسى سنة 1921 بطريقة غامضة، لكن كما يبدو لم يطرح إشكال في انتخاب الثلاثة زعماء بعده، وقد يعود ذلك إلى فقدان المنصب لأهميته وحوافزه تحت لواء سلطة أخرى .

10) Rlوك أق إهما (1921- 1941) : من مواليد 1874 يتفرع من تين هنان ،عن طريق تاروست سادسة وأخر بنت لكله وسيدي، وتربطه علاقة مزدوجة بموسى.

أولا : يتفرع من الأخت الخامسة ل أق مامة .

ثانيا : أمه أخت أماستان أب موسى (ابن عمه) .

11) مسلاغ أق اماياس (1941- 1950): ينتسب إلى كلة عن طريق ابنتها الرابعة (هرزة) وهومن نفس جيل اخموك.

12) بأي أق اخموك (1950- 1975): وهوا بن أمنوكال العاشر وكان طامحا على خلافته، ولكن كما يقال أن الحاكم العسكري قد عمل على ترجيح انتخاب مسلاغ، ومن المؤكد لان هذا الأخير سهل (إدارة) من بأي ولا يمنع ذالك اكتسابه للصفات السياسية المعنوية والمادية التي تؤهله بأي معتز جدا بدوره وسلطته ، وعرف كيف يحيط نفسه بمستشارين مهرة وأذكياء والذين يجالسونه دائما خلال فترة حكمه ، ،وانتخب بعد الاستقلال نائبا بالمجلس الشعبي الوطني، وعين نائب رئيس الجمعية الوطنية الجزائرية سنة 1963 . وتوفي سنة 1975 وهو أخر أمنوكال في اهقار حسب أخاه الحاج موسى أق اخموك . لكن المعمول به في اهقار هو ان الحاج موسى أق اخموك خلف أخاه في ما بعد وذلك باعتراف جميع كيل اهقار ودليل على ذلك ان يعد وفاته سنة2005.طرح المشكلة في من يخلفه في هذا المنصب ،وكان الخلاف حول مرشحين ادبير احمد و اخموك محمد.

ب)- السيطرة على تسيير النشاط الاقتصادي :

إن بوادر السيطرة على النشاط الاقتصادي لمنطقة اهقار في مطلع القرن العشرين ،تبدى من السيطرة على المناطق المحاربة لها من توات وتيديكلت وتين يكتو ...الخ، التي تمثل الأسواق التي يلتجاء إليها لاستبدال منتداتم الحيوانية والملح بمواد أخرى مثل الحبوب و الملابس......الخ.

لقد بداءت السيطرة على النشاط الاقتصادي منذ سنة 1900 من احتلال فرنسا لواحة إين صالح ومنطقة توات حيث فرضه حضر على الأسواق الشمالية التي يتوافد عليها إموهاغ-أن-اهقار لمقايضة منتجاتم الحيوانية ولملح ...الخ بالتمور و الملابس ...الخ ،ومن جهة أخرى تمت السيطرة على عاصمة السودان تين يكتو ، لذا أصبح اهقار محاصر اقتصاديا.

إلى جانب هذا الانسداد الذي عرفت القنوات الاقتصادية لاهقار، بسبب السلطة العسكرية الاستعمارية . نجد موقفا أهل الدين في منطقة اهقار يصدرون فتاوى لتحريم التعامل مع الاحتلال الفرنسي كونم كفار ، و التمور الآتية من إين صالح نجسة .

فبعد السيطرة على اهقار وتولية موسى أق أماستان على اهقار، فرضه قوانين جديدة على المنطقة ، ومنها على النظام الاقتصادي ،حيث أسفرت المفاوضات الناتجة عن المعاهدة الأولى في

إين صالح سنة 1904 بين موسى أق أماستان و النقيب ميتو رئيس ملحقة إين صالح ، باسم الحكومة الفرنسية على الشروط التي تحتوي على عشرة شروط التالية:

1 – سيمارس موسى أق أماستان حكم كل أراضي اهقار و المناطق التابعة له، وسيضمن حرية وامن المسافرين الآتين من فرنسا أو من المناطق التي خضعت لها، يمكن لعبد يحمل ذهبا على رأسه أن يعبر اهقار بكل أمان .

2 – يمنح موسى برنوس التقليد وطابع مثل باقي قادة المناطق الخاضعة، لكنه يحتفظ بلقب أمنوكال بمشاركة الجماعة تبعا لما هو معمول به في بلده.

3 – سيكون رئيس ملحق إين صالح وسيطا لإيصال الأوامر من الحكومة الفرنسية، والطلبات المكتوبة من طرف موسى أق أماستان سواء باسمه أو باسم أهله.

4 – يقدم موسى أق أماستان لرئيس ملحق إين صالح قائمة كاملة للقبائل والفصائل والمموعات الخاضعة لحكمه والمخيمات التي تسكنها في العادة . لن تقوم الحكومة الفرنسية بإعمال عدائية في كل الأراضي المحددة وكل القبائل المسماة يمكن لسكن بالنتيجة أن يتقربوا إلى المخيمات العسكرية أين سيرحب بم ،ويمكنهم أن يبيعوا منتجاتم للجنود .

5 – كل مخالفة للشروط تحرج عن المادة السابقة يشار إليها من طرف موسى أق أماستان إلى رئيس الملحق إذا صدرت من عسكري ومن طرف رئيس ملحق إين صالح إلى موسى أق أماستان إن صدرت من رجال موسى أق أماستان ، يعاقب الذي يدان.

6 – إذا تجاهل رجل من إموهاغ سلطة موسى أق أماستان ،فان على هذا الأخير أن يبلغ الملحق الذي سيتمكن من معاقبته .

7 – يمارس موسى أق أماستان وأهله بصفة عامة الشرطة في بلده ،وفي حالة ما إذا كان في مواجهة عدو يكثره عددا فعليه إن يبلغ رئيس الملحق الذي يساعده في حدود ما بحوزته من القوة . 8 – لتأكيد التعاون المتين أمام الجميع بين رئيس الملحق بإين صالح وموسى أق أماستان لحماية التجارة والتمسك بالسلم .فان الرجال الذين يخدمون موسى أق أماستان وينفذون أوامره الأمنية ويعملون كوسطى مع رئيس الملحق ،يتلقون من طرف الحكومة الفرنسية منحة شهرية تقدر ب: 15 فرنكا . يحدد عددهم حسب المبلغ الذي يقبل من طرف الحكومة الفرنسية.ويمكن لرئيس الملحق أن يكافي الذين يثبتوا امتيازاتم بالإقدام ويمنحهم بندقية دولة مع ذخيرتا .

9 – يستقبل إموهاغ "بود" في كل الأراضي المجاورة اهقار والخاضعة حاليا لفرنسا، ويمكنهم التخلي عن كل عمل عدواني يعلم رئيس الملحق لموسى أق أماستان عن كل تغير يمكن أن يطرأ في الحالة السياسية مثلما سيعلم رفقائه بتين بكتو قاوة تاهو وزندر، بان الاهقار الآن في سلم مع فرنسا وان سكانها سيستقبلون بالنتيجة في كل مكان .

10- لتسهيل العلاقة بين اهقار وتيديكلت يلتزم رئيس الملحق بإنشاء ربة تاخموت أين يمكن لحراطين اهقار أن يمارسوا الفلاحة ، وتنفذ أعمال تهيئة ارضي الفلاحة .

في هذه الفترة التي نصب موسى أق أماستان أمنوكال على اهقار، لا يزال اتسي أق املال أمنوكال الشرعي الوحيد والمنتخب، هذا الإشكال الذي احدثته القوات الاستعمارية أدى إلى تفلك العصبية السلطوية بين مؤيد لرضوخ الاهقار إلى السلطة الاستعمارية وبين معارضا لها .

وما حدث كذالك ظهور العمل المأجور والمتمثل في استحداث مناصب عسكرية لتنفيذ أوامر أمنوكال الأمنية، حيث أن أصحابها يتلقون منحة شهرية تقدر ب: 15 فرنك . أما المعاهدة الثانية تمنراست 1905 فهي اكتر وطأة على كيل اهقار، حيث اعتبر لابرين اتفاقية إين صالح بالغير منصفة لأنها لا تجعل من كيل اهقار كمنهزمين،وليس كمنتصرين ومن بين هذه الانتقادات .

- انه لابد من التعامل مع كيل اهقار بعد (تيت) كمنهزمين ،وعليهم الخضوع طوعا أو كرها كيف إذن يعتبر موسى كممثل لمجموعة منهزمة عسكريا و يتمتع باستقلال سياسي .

- عدم فرض الضرائب للحكومة الفرنسية كرمز للخضوع ، من هنا و بعد اللقاء الذي جمع بين دينوا و موسى أق أماستان و زعيم تايتوق أق كرادجي في 28 جوان ، 1905 ،ب :إين ازول INOUZOUL و كذلك عدد من أعيان الاهقار أكد خلالها دينوا جملة من النقاط كان معظمها إعادة لإجراءات لقاء إين صالح الهدف منها محو أثار متو ولاسيما النقطة الأولى والثانية .

- تأكيد لقب أمنوكال أق أماستان وتقليده البرنوس الخاص بالقيادة

- اقتراح على موسى طابع جديد في الواقع كان" متو " قد منح موسى طابع يحمل الكتابة التالية: « Amenokal des Imouhar » دون أية توضيحات أخرى ، إما الطابع المقترح من طرف دينو فكان مزدوج بالفرنسية يحمل عبارة AMENOKAL DU HOGGAAR(أمنوكال) ، أما الثاني فكان ب: تيفناغ يحمل نفس المعنى : mos ag amstn amanokal an ahagar(انظر الملحق رقم 11).

وبذه تكون فرنسا قد ابسطه سلطتها على حركة الاقتصاد في منطقة اهقار حيث انه تدفع الفدية لسلطات الفرنسية ،كما انه لايمكن للقوافل أن تسيير من الشمال إلى الجنوب الا يرخصه المرور تعطى من طرف السلطات الإدارية الاستعمارية وبذا تكون قد وضعت يدها على النظام الاقتصادي للايموهاغ وتتحكم في تسييره وإدخال التعديلات عليه لما يخدم مصالح المستعمر .

ج)- ظهور التعليم الحديث في **المجتمع البدوي** في **اهقار:**

لقد عرف مجتمع اموهاغ قديما توارث تعليم الكتابة تيفناغ التي يتلقاها الأطفال من أمهاتهم في مراحل حياتهم الأولى، ورافقه بعد اعتناق التوارق للإسلام الدخول إلى الكتاتيب التي يقوم عليها رجال الدين (الطلب) الذي ترافق إموهاغ في استقراهم ترحالهم ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع في الفصول القادمة بتفصيل .

- ففي عهد الاستعمار الفرنسي فتتمثل تجربة كلود نجرتون سنة1947 أولى جهد التعليم الحديث حيث قامت على أحداث مدارس متنقلة مع إموهاغ في مخيماتهم وهي تجربة أثبتت أنها لم تقدم نتائج ايجابية لأبناء اموهاغ ، فمن جهة لم يقبل عليها اموهاغ كثيرا، إذا لم يكن عدد التلاميذ يزيد عن 12 تلميذ للأستاذ الواحد ،ومن جهة أخرى أثبتت أنها تجربة ذات تكاليف باهظة نظرا لبعد المسافة ، وكثرة تنقل البدو ،يضاف إلى هذا عامل اجتماعي مهم وهو عدم تفرغ أبناء اموهاغ لان لهم ادوار اجتماعية يقومون بها في مجتمعاتهم التقليدية منذ الصغر إلى جانب هذا جلت هذه التجربة بعض النجاح في المراكز الزراعية حيث الاستقرار إذا اقبل عليها أبناء الحراطين بشكل واسع[1]

- لقد كانت فكرة (كلود) على انه إذا كان البدو اموهاغ لايمكنهم بحث أولادهم إلى المدرسة في المراكز الزراعية فان على المدرسة إن تتنقل اليهم وهذا أمر صعب ومعقد ومكلف ومن اجل ذالك قام (بلونجرنون) بحملة تحسيسية حيث كان يجمع رجال اموهاغ في كل مخيم ،ثم يواجه اليهم ثلاثة أسئلة ،فكان السوال الأول ((إذا كان الجمل الواحد يساوي عشرين ألف فرنك ، فكم يساوي جملان)) ولم يكن رجال التوارق يجدون صعوبة في الإجابة عن هذا السوال تم يأتي السؤال الثاني ((وكم يساوي أربعة جمال)) وكانت الإجابة تتأخر عدة دقائق يقصيها رجال التوارق في التفكير ، ثم يلقي عليهم السؤال الثالث ((وكم تساوي مائة من الجمال))

[1] - نفس المرجع السابق .ص:186.

وكان (بلونجرنون) يسر بكتابة الإجابة على ورقة صغيرة ،ثم يقلبها على الرمل وبعد أن يقضي التوارق حوالي الساعة في التفكير العميق يصلون بعدها إلى الإجابة الصحيحة وهنا يرفع (بلونجرنون) الورقة ليبين لهم انه توصل إلى النتيجة في ثوان معدودة ،على أساس أن هذه الطريقة السحرية هي ثمرة التعليم في المدرسة . هنا نجد أن بلونجونون يعتمد على الخلفية السحرية لإقناع إموهاغ على ضرورة التعليم في المدرسة .

- يرى (جورج غير ستر [1]) أن (بلونجونون) لم يكن يهدف من تجربته هذه تطوير بدو إموهاغ لنقلهم إلى الحضارة القرن العشرين ، وإنما كان يرمي أن يخفف عنهم (صدمة) هذه الحضارة ولكي يتمكنوا على حد تغييره من وضع الأحكام التي يريدونا .

لقد فرض (بلونجونون) على المعلمين الفرنسيين معايشة إموهاغ في مضاربم والانتقال معهم بل أكثر من ذالك التكيف الكامل مع ثقافتهم التقليدية ، ومع هذا لم يدع (بلونجونون) إموهاغ إلى الاستقرار وتمجيد العمل اليدوي الزراعي ، بعكس ((الأب فوكولد)) الذي سبقه بحوالي نصف قرن ، إذا يرى بأنه لايمكن لإموهاغ أن (يتحضروا) ولم يمارسوا حياة الاستقرار .

وخلاصة القول أن رغم الجهود التي قام با (بلونجونون) وأعوانه - بدون النظر إلى نواياهم – لم تكن كافية لإحداث ثورة علمية حديثة في مجتمع اموهاغ وتدفع به إلى الأخذ بزمام الحضارة التكنولوجية الغازية .

- ثانيا : الهيكلة الإدارية بعد الاستقلال

أ)- الإدارة المحلية ودورها في استقرار البدو :

بعد أن حصلت الجزائر على الاستقلال في يوليو 1962 تحققت الوحدة الوطنية، وتم وضع حد للنظام الإداري الخاص الذي كانت تدير منطقة الهقار أثناء فترة الاحتلال، وأصبح اهقار يشكل جزءا من الطن الجزائري . مع بقاء التقسيم الإداري الذي كان معمول به قبل الاستقلال (بلديتان ودائرة) ولكن بتاريخ 28 اكتوبر1963 وبمقتضى المرسوم رقم (63- 421) الذي نص على إعادة تنظيم الاداري الوطنية على مستوى البلديات ، أدمجت بلديتا البدو الرحل تمنراست في بلدية واحدة هي (بلدية تمنراست)[2] .

[1]- محمد السويدي:"بدو الطوارق بين الثبات والتغير"، مرجع سبق ذكره.ص:149.

[2]- غير ستر جورج:"الصحراء الكبرى "، ترجمة خيري حماد، بيروت ،المكتب التجارية للطباعة التوزيع النشر.1961 .ص :296/295.

وجدت منطقة اهقار نفسها في وضع متخلف على جميع المستويات وذالك من حيث التنظيم الإداري والمصالح العمومية والإطارات والأجهزة المالية وتجهيزات أساسية ، ولهذا كان اول شيء قامت به البلدية الجديدة هو إحداث مصلحة (الحالة المدنية) التي عن طريقها تمكن الموطنون بمنطقة اهقار من استخراج بطاقات تعريف . هذه العملية لم تعمم على جميع المواطنين خاصة منهم البدو الرحل، وذالك بعد أن كانوا قبل الاستقلال لايحملون أية هوية تثبت انتمائهم للوطن الجزائري . كما قامت البلدية بإحداث ملحقات لها سنة 1967 في عدد من المراكز الحضرية في اهقار ،منها ما كان يبعد عن تمنراست بأكثر من700 كم، مثل مركز تيمياوين غرب تمنراست ، أمام كل هذه المعطيات المعقدة وهذه التحديات الصعبة ماهي الأدوار التي تقوم بها الإدارة المحلية في استقرار البدو الرحل.

إن الدور المنوط بالإدارة المحلية اتجاه البدو الرحل يكمن في عملية الاستقرار الخطط ، وهي عملية حتى ألان اتخذت شكلا عشوائيا غير مخطط في اهقار فيما عدا بعض الإجراءات الخاصة بالتعاونيات الزراعية، والتي استفاد منها في الغالب الحراطين القائمون أصلا على الزراعة، هذا أمام كون الإدارة مختنقة بالأعمال من جهة ، ونقص إطاراتها من جهة أخرى جعلها تعاني من قصور في أداء، وظيفتها الأساسية في المراكز الحضرية.

إن عملية استقرار إموهاغ تقوم على عاملين أساسيين هما : توفير السكن الملائم لنمط البداوة وإيجاد العمل المناسب ، ولكن السؤال المطروح- هل حقا تمكنت الإدارة المحلية من توفير هذين العاملين؟. في الواقع نجد أن كلا العاملين لم يتوفر لتحقيق الاستقرار، وذالك رغم وجود محولات لأجل تحقيق هذا الاستقرار ، حيث أن هذه المحاولات لم تكن من منطلق دراسة الواقع المعاش للبدو ومراعاة نظامهم الاجتماعي الذي يمتاز بخصوصيات، حيث أن لكل مجتمع خصوصيات يتميز بها عن باقي المجتمعات ،من هنا فان الإدارة المحلية رغم ما تقدمه من جهود وسياسات من اجل تحقيق الاستقرار النهائي للبدو الرحل فإنها لم تتمكن من ذالك ، لان عدم معرفتها لحقيقة هذا المجتمع يجعلها بعيدة كل البعد عن انشغالاته، من هنا فان الحقيقة الميدانية الظاهرة تدل على أن رغم ما هناك من استقرار للبدو الرحل في بعض المناطق الزراعية، شهد نوعا من النمو الجزئي عند البعض منهم، والمؤقت عند الأخر، وقل منهم من استقر على الدوام . حيث ما أن تشهد المنطقة سقوطا للإمطار حتى يعود البدو إلى حياتهم الترحالية، وفي جانب أخر نجد من

العائلات البدوية، من تقسيم نفسها إلى مجموعتين ، مجموعة منهم تستقر في المراكز الزراعية، والأخرى تبقى في حالتها الترحالية .

وبرغم من الجهود المبذولة من طرف الدولة خاصة فيما يتعلق بالتعليم ، حيث تم إنشاء المدارس الابتدائية في أغلبية المراكز الزراعية ، وكذا توفير الداخلية في بعض منها، حتى يتسنى لأطفال البدو الالتحاق بمقاعد الدراسة، لكن ما يلاحظ أن أغلبية الأطفال الملتحقين بالداخليات يتخلون عن مقاعد الدراسة لصعوبة العيش في الداخلية و التكيف مع أوضاعها ، حيث نجدهم يعودون أدراجهم إلى المخيم ومنهم من يلتحق بالأعمال الشاقة ، ومنهم من يمتهن السياق لكونهم عارفين بالصحراء ، حيث تعتمد عليهم شركات التنقيب والدرك الوطني ،الجمارك ،حرس الحدود ...الخ . في مواجهة مخاطر الصحراء، أضف إلى ذلك العمل في الالتحاق بالمركز التكوين المهني، هذا كله ناتج عن عشوائية تطبيق المخططات التنموية الخاصة باستقرار البدو.

ب)- الصعوبات والعراقيل التي تواجه الإدارة المحلية:

لقد خلف الاستعمار الفرنسي في الجزائر أوضاع مزرية على جميع الأصعدة، على مستوى كل القطر الجزائري باختلاف المجتمعات، هذا ما طرح عدة إشكاليات على صعيد الإدارة والحكومة الجزائرية. تلك الإشكاليات تتسم بالتعقيد والتنوع حسب المناطق وحسب المجتمعات ، فمجتمع إموهاغ في منطقة اهقار هي من بين المناطق التي تواجه فيها الإدارة صعوبات وعراقيل مختلفة، منها إيكولوجية واجتماعية ......الخ.

فكما قلنا فان المشاكل التي ترتبط بالتوطين هي متعددة، فهناك ما يرتبط بكل مرحلة من مراحلها، فبعض منها يظهر في بداية التفكير في التوطين، وبعضها الآخر يصاحب مرحلة التنفيذ، كما تظهر بعضها كمشكلات لاحقة للتوطين. هذه المشاكل يمكننا حصرها في نوعين من المشكلات ، وهي المشكلات المادية والفنية يمكن التغلب عليها إذا اتبعت الدولة التي تقوم بالتوطين الأسس التي يجب إتباعها هي إقامة البحوث اللازمة ، والاستعانة بالخبرات ، والمساعدات المادية من الجهات المعنية، وهذا ما ناقشناه في الإجراء السابق، أما النوع الثاني الذي يهمنا نحن الذي سوف نركز عليه ، هي المشاكل التي تتعلق بالجماعات التي سيتم توطينها –أي المتعلقة بالعنصر البشري الذي نود توطينه- واهم المشاكل والصعوبات التي تتعلق بالعنصر البشري ما يأتي :

- **سوء تفسير أهداف عملية التوطين :** أحيانا يسئ البدو تفسير أهداف عملية التوطين ذاتا ، فهم يفسرنا علي أنا عملية يقصد با فرض التجنيد الإجباري واسلبهم حريتهم ، وهم يرون في التوطين تغيرا أساسيا في أسلوب حياتم ،تؤدي إلي حضرهم في مساحة ضيقة من الأرض بعد أن كانوا يجوبون الصحراء بدون ما إنسان يتحكم فيهم .

- مقاومة القادة والشيوخ : يقاوم قادة الىتمع البدوي التوطين مقاومة شديدة ، إذ يرونه عملية تؤدي إلى تفويض دعائم القيادة السياسية التقليدية ، كما تؤدي إلى تغير صورة الملكية وحدودها ، وكما يرونه تديدًا للوضع القبلي وتفكيك البنية القبلية وفقدان السيطرة علي أفرادها .

- **مخاوف البدو:** يخشى أفراد القبائل أن يهدد التوطين التقاليد الأساسية للقبيلة، فالبدوي يعتقد أن الاستيطان وممارسته لمهنة جديدة سيبعده كثيرا عن التقاليد و العادات البدوية المحببة إلى نفسه.

- **مشكلة ملكية الأراضي:** ومن عوائق التوطين أيضا مشكلة ملكية الأراضي، ذلك أن نظام الملكية في المسارح البدوية هي دار القبيلة كله، وهذه الملكية تعرضت لظروف وملابسات متعددة في ظل اختلاف نظم الإدارة الأجنبية كذلك تنوع صور الملكية.

- طبيعة الترحال لدى البدو: من أهم معوقات التوطين تعود البدو على التنقل والترحال، فالبدوي يتعود على الترحال بسبب ندرة المياه، بسبب ظروف المعيشة. كذلك فان تفشي الأمية وانعدام الاتصال الثقافي بالىتمع الأم جعل خبرة البدوي محدودة و أصبح يرى أن حياته ترتبط بحريته في التجوال وممارسته للأعمال البدوية التقليدية ، والأمر يحتاج في هذه الحالة إلى أكثر من مجرد الإقناع البسيط ، فهو يحتاج إلى عقد الندوات والمناقشات وفتح الحوار مع مختلف القيادات البدوية ، إلى أن يشعر البدوي نفسه بان عائدا أفضل سوف يجنيه إذا استقراره في مكان معين[1] .

ثالثا- التحولات الطارئة على النظام الاقتصادي بعد الاستقلال :

أ) – تفكيك أنظمة الإنتاج التقليدي :

يتميز اقتصاد الإعاشة بعلاقته القوية بالجانب الديمغرافي ، إذ تفسر هذه العلاقة بان الىتمع التقليدي مقيد العدد ، وأن كثافته السكانية ضعيفة جدا إذ على ضوء معطيات ثروته الطبيعية التي تكفل له العيش والتكنولوجية البدائية التي يمتلكها . تتطلب منه أن يمتلك مساحة واسعة من الأراضي إذا قيست بالنسبة لعدد سكانه ومن جهة أخرى ، فإن هذا النوع من الىتمعات يتميز بان

[1] -الدكتور نبيل صبحي حنا : " المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي " .دار المعارف ، ط: الأولى 1984، ص: 75.

نموه الديمغرافي ضعيف . في حين يكون التوازن بين سكانه والموارد الإقتصادية – في كثير من الأحيان – مهتزا.

أما عند إموهاغ فإن النظام الإجتماعي القبلي هو العامل الأساسي في تنظيم الحياة الإقتصادية في إطار النسق الإيكولوجي (من إنتاج واستهلاك وتوزيع ....الخ)، ذلك أن النظام ملكية الأراضي في هذه المنطقة مرتبطا ارتباطا قويا ، بالنظام القبلي لبدو إموهاغ ، فعن مناطق الرعي مقسمة بين عدد من القبائل بحيث تمتلك كل قبيلة أو وحدة قرابية منطقة ،واسعة محدودة تحديدا تقريبيا بواسطة علامات أرضية معروفة .ومن حق جميع أفراد القبيلة التنقل داخل هذه المنطقة للرعي أو الزراعة بالقرب من مصادر المياه ولا يحق لأي فرد أن يرعى ماشيته في أراضي قبلية أخري، أو يستفيد بمياه أبارها ، أو أن يعبر بها دون اخذ إذن من شيخها بعد أن يدفع له مقابلا عينيا على ذلك .

إلى جانب هذا لا تخلوا المنطقة من أجود ملكيات خاصة ، والتي تتعلق بما يمتلكه المزارعين من قطع أرضية في المراكز الفلاحة، مثل في ابلسة و تمنراست و تاظروك و أدلس، التي قيها مراكز عمرانية مختلطة بين إموهاغ و الحراطين.

هذا على مستوى القبيلة أما على مستوي الكونفدرالية، فنجد ذلك النظام الشمولي الذي يفرض على جميع القبائل من دفع الجزية" توسي" ، وكذا ضريبة العبور بنسبة القوافل التجارية . كل هذه وتلك . تمثل النظام التقليدي لإموهاغ التي لا يمكن الخروج عنه .

لقد عرف هذا النظام عدة تحولات، غبر مراحل ومحطات تاريخية، فبعد سيطرة القوى الاستعمارية. وتلتها بعد ذلك دخول إموهاغ لمنطقتي وتاسيلي و اهقار في الدولة الجزائرية الحديثة ،وما حدثه ذلك من تحولات على مستوى الإقتصادية، حيث ألغية الملكيات الجماعية القبلية للأراضي ،وكذا الحدود بين المناطق الرعوية . وذلك رغم بقائها عرفيا وبفعلية عند بعض البدو، لكن دخول نظام العقار وكسب الملكية وكون سياسة الدولة الجزائرية تعمل على أن يكون هناك ما يسمي سياسة توحيد الأراضي الجزائرية، وكذلك إلغاء النظام التقليدي الاجتماع المبني على سلطة أمنوكال الذي تدفع له "توسي " وستبدل بقانون الدولة الجزائرية (الدستوري) وجميع القوانين المنبثق منه من قوانين إدارية تجارية.....الخ.التي فرصة على اماهη وألزمته الرضوح لها ، والعمل على تطبيقها وذالك رغم أن هناك صعوبة الجزم بان إموهاغ خاصة منهم البدو الرحل

يعيرون هذه القوانين اهتماما نظرا لجهلهم لها وتمسكهم بأمنوكال قائدا ومستشارا رغم ما فقده من صلاحيات .

كما أنه هناك سياسات تنموية وضعتها الدولة الجزائرية من اجل ترقية المتمع، وإدماج إموهاغ في الحياة الحضرية من اجل توحيد المتمعات الوطنية والخروج بمواطن جزائري .

ب) – النظام الزراعي وظاهرة التعاونيات في اهقار :

إن الدولة الجزائرية بعد الاستقلال شهدت عدة تحولات اجتماعية اقتصادية على عدة أصعدة ، فمن بين هذه الأصعدة نذكر منها القطاع الزراعي، الذي شهد في منطقة الهقار مع بداية سنة 1966 اول تطبيق للنظام التعاوني التدريجي في الأرضي الزراعية ، و الذي قام أساسا على تغيير علاقات العمل التي كان يقوم عليها النظام الزراعي التقليدي ، كما كانت انطلاقة النظام التعاوني كبداية العملية الاستقرارية أسس منظمة و عادلة استفاد منه الحرطانيون، الذين كانت بحوزتم مساحات صغيرة من الأراضي و العبيد و المحرمون و بعض الشباب من إموهاغ .

هذا التاريخ أصبح النظام التعاوني في منطقة تمنراست و اهقار يشكل أحد عوامل الاستقرار الذي ثبته السلطة السياسية رسميا ، وظفته بواسطة المؤسسات الفلاحية التابعة لوزارة الفلاحة و الإصلاح الزراعي ،و بالتعاون مع السلطات المحلية تمنراست هذا في الستينات و السبعينات .

استهدف النظام التعاوني منذ البداية تنفيذ مخطط اقتصادي في الميدان الزراعي ، تقدر مساحته من 100 هـ إلى 120هـ ، حيث تم تجميع 25 مزرعة من مزارع ضواحي تمنراست و باقي منطقة اهقار في 15 تعاونية منها تعاونيات إنتاجية و أخرى استصلاحية ، تضم حوالي 383 متعاونا أغلبهم من الحرطانيين و الخدم الذين سارعوا إلى الانضمام للتعاونيات تحت تأثير " تحرير السلطات المحلية لهم " ، فكما يرى بوردو " ....لقد رحبوا بفكرة تحريرهم على أساس تكاملهم في الأمة الجزائرية ...."[1] أما البدو من إموهاغ ، فقد تراجعوا عن العمل في الأرض و فضلوا تربية قطعان الماعز و بعض رؤوس الضأن في نطاق انضمامهم لبعض التعاونيات ، وبالرغم من تدعيم السلطات المحلية للتعاونيات، فقد تناقص عددها تحت تأثير عدة عوامل، بما فيها أزمة الجفاف الكبرى (68- 1974) ، و فيما يلي أهم هذه العوامل كما حددها " ج. كينان " [2]:

---

[1] - BOURGEOT , (A) « ROPPORIS ESCLAVAGUSTES ». P : 96. نقلا محمد السويدي:" بدو التوارق بين إثبات وتغير، مرجع سابق، ص: 162.

[2]- نفس المرجع السابق، ص: 162 .

- ضعف الحملة الإعلامية المصاحبة لإعلان أنشاء التعاونيات ،إذ لم تصطحبها عملية للتوعية السياسية للمتعاونين الجدد .

- العوامل الطبيعية و الفنية و تتمثل في نقص المياه و الآلات و الفنيين لتسيير المؤسسات التعاونية ، بالإضافة الى نقص التكوين المتعاونين لاستعمال المضخات الحديثة و صيانتها .

- أزمة الجفاف التي حلت بالمنطقة ابتداء من سنة 1968 ، و التي أدت فيما بعد إلى نقص المياه و الغطاء النباتي للمراعي .

و جاء في تقرير للمجلس الشعبي البلدي لتمنراست: 9 يناير 1974 أن " معظم الأراضي الزراعية هجرها أصحابا بسبب نقص المياه في الأودية "، حيث اتجهوا إلى تمنراست و ضواحيها بحثا عن عمل بأجر إذا كان هذا وضع الفلاحين في المراكز الزراعية القريبة من تمنراست ، فان سكان المراكز الزراعية البعيدة ظلوا على حالهم يعانون من حدة الجفاف و نفق الماشية .

و الجدول التالي يوضح أن عدد المتعاونين سنة 1966 كان 385 ،و في خلال عشر سنوات تنخفض الى حوالي النصف مما يبين حالة عدم الاستقرار في هذه التعاونيات .

وضعية التعاونيات الزراعية من حيث العدد و المساحة و عدد المتعاونين:

السنة	عدد التعاونيات	مجموع المساحة بالهكتار	عدد المتعاونين
66/ 1967	15	بين100هكتارو 120هكتار	338
68/ 1969	12	53هكتار	234
1970	16	258هكتار	360
1974	11	68هكتار	129
1976	16	38هكتار	190

جدول ثاني :

اسم التعاونية	نوعها	تاريخ إنشائها	مساحتها	المساحة المزروعة	عدد المتعاونين سنة التكوين	عددالمتعاونين سنة 69	عددالمتعاونين سنة 1978
أمسل	استصلاحية	1966/05/15	30	06	30	28	21
عين قزام	استصلاحية	1968	30	05	30	28	15
أوتول	إنتاجية	1966/05/10	08	01	29	14	08
اسلسكين	إنتاجية	1966/04/08	04	01	08	04	04

أدلس	إنتاجية	1966/04/15	18	3،5	35	28	07
ابلسة	استصلاحية	1966/04/14	40	02	83	48	38
تلت أن الشيوخ	إنتاجية	1966/04/10	15	04	12	09	07
أدريان	إنتاجية	1966/05/15	06	01	12	09	06
أمشون	إنتاجية	1966/05/10	10	3،5	23	10	14
تاهيفت	إنتاجية	1967	08	04	23	10	10
تاهرهايت	إنتاجية	1966/05/14	15	01	25	08	08
إن أمقل	استصلاحية	1966/05/11	15	02	43	54	17
هيرفوك	إنتاجية	1968	04	02	43	54	02
تاظروك	إنتاجية	1967	18	3،5	38	15	25
ايجلن	إنتاجية	1966/05/13	08	1،5	48	08	08
الموع				38،0	000	234	190

يوضح الجدول السابق أن سنة 1970 تميزت بإيقاع عدد التعاونيات ،كما زادت مساحتها و عدد أعضائها ، و هي السنة التي دعمت فيها السلطة المحلية التعاونيات و مدتا بالآلات و البذور و مضخات المياه ، و في نطاق دعم القطاع الفلاحي التعاوني و المسير ذاتا ابتداء من سنة 1969 .ثم خفت أزمة الجفاف مع بداية سنة 1975 ، حيث بداءت بعض المراكز الزراعية تستعيد نشاطها .

كمية الإنتاج في القطاع التعاوني خلال السنة الفلاحية 1966/ 1967 .

كمية الإنتاج بالقنطار

نوع الإنتاج	القطاع التعاوني	القطاع الخاص
القمح	1،064	1500
شعير	141	100
ذرة	229	68
طماطم	815	33
بطاطس	131	25
أنواع أخرى	1300	512
الموع	2.945.5	2.278

أما خلال السنة الفلاحية 1968/ 1969 فلم تتعد المساحة المزروعة في مجموعة التعاونيات 53 هكتار أي أن 12 مزرعة بين 15 مزرعة بقيت تعمل في حين وصل عدد المتعاونين فيها 234 متعاونا مما يفسر بأن العائد من الإنتاج الزراعي القليل كان يزرع على عدد كبير من المتعاونين .

إنتاج التعاونيات لسنة 1968/1969:

نوع الإنتاج	كمية الإنتاج بالقنطار
قمح	165
شعير	40
ذرة	94
طماطم مجففة	100
علف + برسيم	1000
خضار شتوية	800
بطاطس	10

و في الموسم 1969 / 1970 وهو الموسم الذي دعمت فيه السلطات المحلية القطاع الفلاحي ، وصلت المساحة المزروعة في مجموع التعاونيات إلى 100هكتار، و مجموع 229 هكتار قابلة للزراعة منها 50هكتار للمزروعات الشتوية و 50هكتار للمزروعات الصيفية ، و لهذا تضاعف إنتاج عن السنة السابقة كما يوضح الجدول التالي :

- إنتاج تعاونيات سنة 1970:

نوع الإنتاج	كمية الإنتاج بالقنطار
قمح + شعير	1000
ذرة	500
طماطم مجففة	50
خضروات شتوية	500
علف + البرسيم	2500
الموع	4550

أما في الآونة الأخيرة فلم تبقى هذه التعاونيات فأغلبها هجرت، و تم استصلاحها من جديد من طرف الخواص، و البعض الآخر قسم مابين الفلاحين للاستغلال الفردي لها.

ففي تاظروك التي هي قيد الدراسة الميدانية، فقد قامت التعاونيات الفلاحية بوضع اتفاقية مشروطة و التي سنتناولها بالتفصيل في الفصول الميدانية

ج) –أزمة النظام الرعوي:

إن التحدث عن نظام الرعي يجرنا إلى الحديث عن نظام الرعي، الذي كان يتبعه البدو الرحل في الصحراء اهقار ، واهم المؤثرات التي توثر فيه ، من البيئة الايكولوجية والاجتماعية الثقافية والسياسية . وفي مايلي أهم هذه الأسباب والمؤثرات على ذلك:[1]

- التلف الذي أصاب الغطاء النباتي نتيجة للجفاف الذي حل الصحراء الكبرى ، في الفترة مابين 1968الى 1974 . وكانت نتائجه عميقة في المجتمع البدوي ، لأنه شمل مجموعة بلاد الساحل الإفريقي ، وهو الأمر الذي لم يتمكن معه اموهاغ من تغيير وسطهم الطبيعي إلى وسط آخر أكثر خصبة ، كما كان يحدث في رحلات الجفاف المحدود .يضاف إلى ذلك أن النظام الاجتماعي التقليدي الذي كان يوجد نوعا من التوازن الايكولوجي في فترة الجفاف ، بان يسمح لأفراده بمزاولة الغزو والتعرض للقوافل . أصبح غير موجود وماله قيوما مع أوجود قوانين الدولة .

وقد سجل المجلس البلدي لتمنراست في تقرير له بتاريخ 1974/01/9 :" إن القحط أدى إلى القضاء على العدد الكبير من القطيع من الماشية التي تشكل الثورة الأساسية للبدو في المنطقة ولهذا فان التخفيف من وطأة هذه الأزمة يستلزم الإسراع في عملية الإسكان الريفي المخططة لهؤلاء البدو في نطاق عملية الإستقرار "[2] .

والملاحظ أن الجفاف أدى إلى إصابة المركز الزراعية والرعوية بنسبة تتراوح ما بين 70 %و 100%، فتمنراست وضواحيها أصيبت بنسبة 75% ،في حين أصيبت جهات من ايجان وتغاهوهات بنسبة 100% ، وقد اعتبرت منطقة تمنراست –اهقار – منطقة منكوبة تستدعي الإغاثة العاجلة لسكانا [3].

---

[1]- محمد السويدي، نفس المرجع السابق، ص:167.

[2] -Rapport de (L.A.P.C) de tamenrasset, 9janvier 1974.

[3] -Rapport de (L.A.P.C) de tamenrasset, 13 janvier 1972.

التغير الإجتماعي و الاقتصادي الذي شهده البدو إبان الاستعمار الفرنسي ، و ما بعد الاستقلال الذي كان له عدة تأثيرات على نظامه الاجتماعي و الاقتصادي و كذا السياسي ، فبعد ما كان يمارس نشاطه الاقتصادي بكل حرية و كان هو المالك و مقرر أصبح مرضوخ لقرارات و قوانين الدولة الحديثة التي لها حدود و الوصية على جميع الأرضي في حماها ، جعلت من البدوي يفقد ملكيته للأرض ، حيث تعود إلى غيره من الفلاحين و ذلك حسب قانون الأرض لمن يخدمها، أي إلغاء قانون الخماس الذي جعل من الحرطاني هو المالك للأرض و المتصرف في نتوجها، بالإضافة إلى ظهور العامل المأجور الذي جعل من البدوي مجبرا على الخوض فيه كل هذا و ذاك جعل من البدوي يتنازل عن كبريأه و يفكر في استغلال الأرض و العمل في الشراكات و المؤسسات العمومية لتقاضي الأجر لضمان العيش لأسرته ، و هذه المؤشرات هي التي تدفع بعد إلى فكرة الإستقرار بعدما شهدت المنطقة الجفاف .

و هكذا كان لتضافر هذه العوامل أن تدفع سكان اهقار من المستقرين و البدو إلى نزوح الجماعات نحو المراكز الفلاحية خاصة إلى مدينة تمنراست طلبا للإعانة من السلطات المحلية ، مما تسبب في ظهور أحياء سكنية غير مخططه في تمنراست و ضواحيها ، و قد قدر عدد المنكوبين الذين استمرت البلدية في تقديم الإعانات الغذائية لهم حتى سنة 1977 بحوالي 3.000 نسمة من إموهاغ في تمنراست و ضواحيها .

- <u>ملخص الفصل</u> :

لقد تناولنا في هذا الفصل عن ملامح استيطان إموهاغ في المنطقة الحضرية ، وذلك بعدة أسباب منها ماهو متعلق بإموهاغ ومنها ماهو راجع الى تدخل العديد من المؤثرات الخارجية ، حيث كان من أسبابا الاستعمار الفرنسي ، والبعض الأخر ماهو متعلق بالسياسة التي وضعتها الدولة الجزائر بعد استقلالها .فبعد استقلال الجزائر كانت عدت تحولات على البناء الاجتماعي لإموهاغ هذه التغيرات السريعة أفرزت عدة نتائج لذا كان من الواجب نتأولها في إطار علمي فكان لنا ذلك بأخذنا لتاظروك كميدان لدراستنا الميدانية ، لذا سنحاول تناولها في الفصول الميدانية الموالية .

[illegible]

الميداني

الجـ ـ ـ ـ ـانب الميـ ـ ـ ـ ـداني

الفصل الخامس

نظرة جغرافية وفيزيقية ديمغرافية

-تمهيد : تعتبر العوامل الطبيعية من بين أهم العوامل قيام الحضارة ذلك لما لها من تأثير على نمط وطبيعة حياة الأفراد الاجتماعية ، لذا كان من الزوم الوقوف على الجانب الجغرافي و الديموغرافي وكذا التوزيع السكاني و أصولهم ، ذلك من اجل تقديم نظرة عامة عن واقع العام لمدينة تاظروك في إطارها الديموغرافي والطبيعي.

أولا) النظرة الجغرافية:

إن تحديد الملامح البيئية ودراستها ذو أهمية كبيرة في دراسة التمعات ، ذالك كونا تحوي خلفية العلاقة الوثيقة القائمة بين الإنسان والمحيط الطبيعي، الذي يحيط به فقد تكلم ابن خلدون عن هذه العلاقة قائلا " أن المعمور من الأرض من هذا المنكشف إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسيط فيكون معتدلا ...فلهذا كانت العلوم والصناعة والملابس والأقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكانا من البشر اعدل أجساما وألوانا وأخلاقا واديانا حتى النبوات ، فإنما توجد في الأكثر فيها لم تقف على خبر بعثه في الأقاليم الجنوبية والشمالية وذالك أن الأنبياء والرسل إنما يختص بم إكمال النوع من خلقهم وأخلاقهم"[1] .حيث أننا نجد أن ابن خلدون ربط بين الفروق الإقليمية والبشرية ، وحتى في البيئة الفيزيولوجية ،وقد أشار كذالك إلى سبل بناء المدنين تحدث عن المنافع والمواقف التي يجب مراعاتا عند اختطاط المدن ،منها الماء والمرعى والمزارع...

---

[1]- المقدمة : ص : 141.

أ)- الموقع والمساحة:

إن الكثير منا يتلفظ بكلمة اهقار ،ولكن قليل منا من يعرف مدلولها ،فاهقار تعني بلغة ايموهاغ الصخرة الكبيرة وسط بحر من الرمال ، إذ هو صخرة كبيرة وعنيفة وسط أراضي كانت بالأمس البعيد بركانية كثيفة النشاط يعود آخر نشاط الحمم بها إلى أكثر من 700سنة ق.م.[1]

تقع منطقة اهقار في قلب الصحراء الكبرى ، حيث يعتبر نقطة ربط بين إفريقيا الوسطى والغربية ، فهو طريق تجاري قديم ذو أهمية كبيرة ، حيث يقع على مساحة قدرها 500000كلم2، بحيث يحده تاسيلي نأجر شرقا وتينيري جنوبا، و تيماسينين و تيديكلت شمالا ،كما انه محصور بين خطي طول 01°.و 10° شرقا ، وكذا دائرتي عرض20° . و28°. شمالا.فتميزه بهذا الموقع جعله يلعب دورا وسيط ومراقب للتبادلات التجارية ، بين الصحراء الوسطى والساحل . أنظر الملحق رقم (02).

بلدية تاظروك هي منطقة من مناطق اهقار التي شهدت استقرار لبدو إموهاغ ، حيث تقع هذه البلدية في الجنوب الشرقي من صحراء الجزائر ، أي في مركز اهقار على بعد 180 كلم، من مركز ولاية تمنراست أي في الجهة الشمالية الشرقية لمقر الولاية (انظر الملحق رقم ( ).

تتربع تاظروك البلدية على مساحة قدرها 76.562.50كلم ، يحدها شمالا ولاية إيليزي ومن الجنوب الغربي بلدية تمنراست ، وأين قزام ، وجنوبا جمهورية النيجر ، ومن الشمال الغربي بلدية أدلس وجهة الشمال الشرقي ولاية إيليزي .انظر الملحق رقم( ).

ب) - التضاريس:

إن شساعة رقعة بلدية تاظروك جعل منها بلدية مختلفة في هيئتها الفيزيائية ، ويمكننا تقسيمها إلى ثلاث وحدات .انظر الخريطة رقم(04) .

-المنطقة الشمالية :والتي يبلغ ارتفاعها على سطح البحر 2500م ، وهي منطقة جبلية أي هي منطقة (أهقار). هذه السلاسل الجبلية تحوي أعلى قيمة جبلية (أتكور) ، والتي يبلغ ارتفاعها 2918م ، هذه السلاسل يتخللها شريط هيدروجرافي متحرك في الحدود الشمالية لبلدية تاظروك ، كما يعزلها عن بلدية أدلس شريط مائي طبيعي فرق (ferraga).إضافة إلى ذالك نجد عدة أودية ، وهي

[1] -Plan DIRECTEUR : d' Aménagement et d' urbanisme ;Commun :Tazrouk .PHASE 01. « U.R.B.A.B ».BLIDA .P:03.

واد تاظولت (oued.Tazoulat) ، وواد سرسوف (oued sersauf) ، وواد تين تأربين (oued- tin Tarabin) ، وواد تكلوس (oued takalous).[1]

-**منطقة الجنوب الغربي** :التي تتكون من فضاء رملي،وتاسيلي_أن_اهقار) ،هذه الوحدة الطبوغرافية تحوي مرتفعات يتراوح ارتفاعها ما بين 500م إلى 1000م ، كما تحوي شريط هيدروغرافي تحوي أهم مخازن مائية هي واد تين تأربين(oued tin carabine)،وواد تقنتورت(oued tadgetaret).

-منطقة الجنوب الشرقي: تحوي جزء من عرق أدمر بارتفاع يتراوح ما بين800م إلى 1500م ، والذي تتخلله عدة أودية، وهي واد اروكام(oued arokam) وواد اغيغر(oued arirer) وواد تفساست(oued tafassesset) في الحدود الشرقية للبلدية .

ج)- التركيبة الجيولوجية :

تاظروك احد بلديات ولاية تمنراست ، تقع في وسط اهقار ، هذه الوحدة التوبوغرافية هي الإطار الفيزيقي الذي يتمركز فيه مقر البلدية ، هي عبارة عن كتلة جبلية مرتفعة في الركن الجنوبي الشرقي وهي جبال اهقار بأعلى قمة و هي تاهات بارتفاع 3003م ،في مرتفعات أتكور الواقعة بشمال مدينة تمنراست تليها قمت ايلامان بارتفاع 2804م ثم قمة أدريان بارتفاع 2762م ، وقمة اسكرم بارتفاع 2804م، وقمة توازت بعلو 2.400م وكلها ضمن سلسلة جبال أتكور.

اغلب جبل اهقار ناتجة عن اضطرابات بركانية مازالت فوهاتا بارزة إلى الآن ، وهي لا تأخذ أشكال سلاسل الممتدة ، وإنما الأشكال المخروطية ، تركيبتها الجيولوجية هي عبارة عن طبقة كلسيه وصخور بركانية رسوبية أو بازلتية موضعة على شكل صخور كبيرة الحجم ذات لون اخضر فاتح .

لقد تعرضت جبال اهقار لعملية نحت لمدة زمنية كبيرة كانت كافية لتحويل هذه الجبال إلى هضاب و سهول تحتية ، تغطيها رواسب حديثة من صخور أو رمال ، حملتها الرياح إلى المنطقة ، ذلك إن العملية (الجوية الميكانيكية) الناتجة عن الفوارق الشديدة في الحرارة بين الليل والنهار ، أدت إلى تفتيت الصخور وتحويلها إلى جزيئات دقيقة[2] يسهل على الرياح نقلها أو تحريكها من منطقة لأخرى .

---

[1] - Ibid .P : 04.
[2])-Blancuernon. (C).le Hoggar .PP.13.19

ففي منطقة اهقار نجد العديد من الأودية الصحراوية المنحدرة من جبال اهقار تبدو في شكل شبكة منحدرة نحوى جميع الاتجاهات ،ومن أهمها واد تازولت الذي يصل امتداده الى تين تاربين نحوى أراضي نيجر ، وهو الواد الذي أقيمت عليه حضارة تاظروك .

د)- المناخ : إن تناول حالة المناخ ترجعنا إلى التحدث عن درجة الحرارة في مدينة تاظروك وأنحاءها ، وكذا تساقط الأمطار بها ، ومن اجل ذلك نتقدم بالجدول التالي من اجل رصد وملاحظة حالة درجة الحرارة بتاظروك على مدار السنة.[1]

Année	Jo	fe	Ma	Av	Me	Jin	Jui	Ou	Se	Oc	No	Di
Temps(°)	12	14.1	19.8	21.9	27.1	29.	28.4	28.7	26.9	22.9	17.9	13.2
Precip(m.m)	7.00	00	1.7	00	0.4	00	2.5	30.9	2.6	48.3	00	00
Vents(m/s)	3.2	2.4	4.8	4.2	4.1	4.3	3.7	3.7	3.6	4.5	3.0	2.9

إن النظرة التحليلية لهذا الجدول تظهر لنا، أن درجة الحرارة قي هذه المدينة الصحراوية تتراوح مابين 12.7° و 29.5° . هذه الدرجة في بعض الأحيان تصل إلى 3° أو أدbن ذلك في فصل الشتاء (حسب مركز الأرصاد الجوي لتمنراست).

فيما تصل في فصل الصيف إلى 30° أحيانا، هذه المستويات من درجة الحرارة المعتدلة صيفا والباردة شتاءا لا تعكس المناخ الصحراوي. ولكن تفسير ذلك يعود إلى ارتفاع المنطقة بما يقارب 1897 متر على سطح البحر.

أما عن تساقط الأمطار فإنا ضئيلة ، حيث يشهد أشهر جويلية ،أوت ، سبتمبر و أكتوبر تساقطا متقاطعا للإمطار ،حيث تتراوح كميات تساقطها مابين 2.5ملم و48.3ملم. أما قي شهر جانفي تشهد بعض التساقط ، الذي لاتصل كمياته إلى 7ملم .

ه)- الغطاء النباتي:

إن التكلم عن الغطاء النباتي في بحثنا هذا ذو أهمية بالغة لارتباط الحياة البدوية بالكلأ ، فتوزيع الكلأ على عدة مناطق ، وما يشهده من فترات الجفاف له دور كبير في توجيه حركة البدو في مناطق اهقار .

فالغطاء النباتي قي اهقار يمكن تقسيمه إلى قسمين الأول نتطرق فيه إلى الأشجار المتواجد في اهقار ، والثاني نتناول فيه الغطاء النباتي .

- الأشجار: التي غالبا ترتكز في الوديان والمناطق ا المجاورة لها ،ومن بعض أنواعها المعروفة نذكر " التماري أو الأثل " tamaris وكذلك الطلح ، والتي يطلق عليها باللغة المحلية "أبسر " ، والذي

[1] -Ibid. P : 14.

يستعمل كحطب للدفء والطبخ ويستخرج منه الفحم ، والتي ويعاد استعمالها ،.كما تصنع منه العديد من الأدوات المنزلية ، ويعد كذلك غذاء للماشية وبعض الزواحف . وكما نجد البوط المائي "typhas " الذي يسميه ايموهاغ ب:<<تأهلي>> ، حيث يستعمل في بناء الزريبة، و تسطيح المنازل، وكذا شجرة تاروت ، التي تنمو على هضبة اهقار منذ آلاف السنين ...الخ، أما عن الأشجار المثمرة نجد هناك شجرة الزيتون الصحراوي، وشجر الخوخ والتفاح والمشمش والرمان والتين...الخ ، أي أن كل الأشجار تنمو في المناطق التلية صالحة في هذه المناطق لان المناخ ملائم لها ، وما لا نجده في تاظروك هو شجر النخيل .

- **النباتات:** إن انتشار النباتات ، ونموها ضعيف ،ولا نجده إلا في الأودية ، هذه النباتات أصلية ومتنوعة، تأقلمت مع الظروف الواقعة بالصحراء الوسطى،و قد تعاقبت عدة فترات زمنية، رطبة وجافة، تركت بصماتا في تشكيل اهقار ، أما المرحلة الجافة الحالية، فهي استمرار لفترة الجفاف المتواصلة منذ 10000 سنة [1] .

و في هذا القسم نتناول المراعي ،فانه بسبب ندرة الأمطار،و قساوة المناخ الصحراوي وانتشار التصحر و بسبب هذا الجفاف، تشهد منطقة اهقار، كباقي المناطق الصحراوية في أفريقا ندرة في الغطاء النباتي الدائم، باستثناء بعض أقسام المناطق، منها الوديان الجارية، التي تنتشر فيها النباتات الموسمية ، منها والطبية، مثل الشيح والأكسياس، والأقاقيا (الشعاعيات)، والتي نعثر عليها منعزلة ، والعفصة المدارية وهي نباتات سامة، نجدها هنا وهناك، وتقل بعضها في فصل الجفاف، كما يتوقف وجودها في اهقار، على سقوط الأمطار.

ثانيا: النظرة الفيزيقية

أ)-طوبونومية تاظروك:

إن الإنسان لا يطلق الأسماء على المسميات عبثا، بل لابد وان يكون للمسمى (الشيء) صفة من الاسم أو النعت ، أو أن يكون الاسم مطابقا للمسمى في بعض الأحيان ، أو يكون مقرونا بحادث في المكان، هذا عند تسمية الأماكن نسبة للمكان الذي هو فيه، أو يأخذ اسم الشكل الذي هو عليه .من هنا يمكننا أن نسأل ماذا تعني كلمة تاظروك ؟ و إلى ماذا تعود تسمية أحيائها القديمة ؟.

[1] منشورة الديوان الوطني لحضيرة التاسيلي، ديسمبر1993 .ص:5

- تاظروك: إن كلمة تاظروك، مأخوذة من كلمة تاظولت، و هو الإسم الذي يعرف به الوادي الذي تقع المدينة (تاظروك)على حافته، و إسم تاظولت ترجعه العديد من الروايات الشعبية، إلى إسم امرأة دفنت على حافة الوادي ـ حيث ماتت و دفنت هناك ـ و أخذ الوادي أسمها ، فمنهم من أنسبها إلى كونا يونانية و البعض الآخر ذهب إلى اعتبارها من البدو الرحل ... الخ.

لكن الأبحاث العلمية لم تصل حتى الآن إلى اكتشاف قبرها و معرفة أصلها، فالواقع هنا متوقف على الأسطورة الشفوية المتداولة لدى المجتمع.

وهناك من يعيد أصل اسمها الى الحجر الذي تصنع منه الكحل " تاظولت" حيث ان نوعية هذا الحجر منتشرة في الجبال المتاخمة للواد ومنه سمي الوادي على اسمها ثم اشتق اسم تاظروك من تاظولت.

كل هذه التسميات المطروحة لتكون اسم لتاظروك افتراضا ما لم تكون هناك حقيقة علمية تنفيها .

- الأحياء القديمة. أما عن الأحياء القديمة، فنجد حي تبوتقيت و حي أبتول و حي تيهي و حي قطع الوادي، فمن تسمية هذه الأحياء نلاحظ أنه، إما أن يكون لشكل الأرضية الواقع عليه أو إلى المكان الذي هو فيه.

فحي تبوتقيت مأخوذ من كلمة "إيبتقت" بتماهق ، و التي تعني منخفض ، و نظرا لإنخفاض ذلك المكان الذي تمركز فيه هذا الحي عن مستوى الأرض سمي على ذلك .

أما حي أبتول فهو على شكل حفرة ، فأبتول تعني بتماهق تلك الحفرة التي توضع فيها خبزه الملة (الكسرة) والتي توضع في رمل ساخن و تدفن ، و تشعل فوقها نار حتى تنضج .

و حي تاهي مأخوذ من كلمة "تاهي" التي تعني المرتفع ، وهو مبني فوق مرتفع فأخذ إسمه.

و حي تبركات الذي سمي على إسم شجرة تبركات .

أما حي قطع الواد فسمي كذلك لوقوعه على الضفة الثانية من الوادي ، أما الأحياء السابقة فتقع على الضفة الشمالية للوادي و هي مركز المدينة .

ب)ـ نشأة تاظروك و تطورها :

إن الحديث عن نشأة المدن أو القرى يجرنا إلى التكلم عن المصادر و الأسباب المؤدية إلى ذلك ، فالإستوطان في أي مكان توفر عدة مسببات منها : الأمن ـ المياه ...الخ ، هذه المكيفات وغيرها تؤدي بالبدو إلى الإستقرار في المكان الملائم لهذا "الإستوطان" .

لقد شهد واد تازولت بوادر إستقرار إموهاغ على ضفافه في بداية القرن التاسع عشر حيث كان البدو من "إهقارن" و "إسقمرن" يقيمون فترات بعد فترات هروبا من الجفاف .

فكانت أول فكرة للإستقرار على ضفاف وادي تازولت لأمنوكال الحاج أحمد بن البكري الذي إستعان بفلاحين من إن صالح ليقوموا بحفر ساقية في واد تازولت ، كانت هذه العملية بعد عام من إنشاء أول ساقية في واد أدلس حيث إستعان الحاج أحمد بالمرابطين الذين طلب منهم إعارته بحرفيين ماهرين في إنشاء السواقي و كانت التجربة ناجحة في أدلس ، فأعاد الكرة في العام الموالي في واد تازولت ، فكانت الإنطلاقة الأولى للإستقرار في تاظروك .

و لتناول هذا الإستوطان و تطوره قمنا بتقسيم مدة إستطان إلى عدة مراحل :

أ) ـ تاظروك قبل دخول الإستعمار الفرنسي لهقار 1904 :

هذه المرحلة عرفت أول مراحل إستطان إموهاغ بمعية ممارسة الزراعة مع أول ساقية حفرت.

كان نوع الديار المبنية هو "الداموس" ، و هو عبارة عن حفرة مربعة الشكل بقدر خمسين إلى ستين سنتيمتر مبنية بالطوب والحجارة أما السقف فهو يمثل سقف الزريبة ، و كان تصميمه من أجل مقاومة الظروف المناخية .

كما نجد رفقت هذه البنايات الخيمة التي كان يسكنها البدو في ترحالهم ، ويلاحظ أن إستقرارهم في هذه المنازل و إقامتها بالقرب من البساتين .

ب) ـ تاظروك أثناء الإستعمار (1904 ـ 1962) :

قبل1904 كانت قد ظهرت ملامح القصر في تاظروك ، فبعد الإستحواذ التام للجيش الفرنسي على المنطقة 1909م ،لم يغير في شكل القرية بل كان توسع القصر بصورة طبيعية تبعا للزيادة الطبيعية للسكان ، و من الملاحظ أن الفرنسيين قاموا بإختيار مكان إستراتيجي في مستوى عالي يمكنهم من مراقبة تحركات الأهالي عن بعد، و من الملاحظ أنم لم يهتموا بتطوير القرية ، و لم يتدخلوا في سياسة إموهاغ بصفة عامة ، بل كانوا يراقبون و يستغلون الثروات بفرض الضرائب على الأهالي ، و في هذه المرحلة تم إنشاء ثكنة عسكرية ومصحة ،بيت الضابط ، بيت جمع الضرائب ،

أما في القصر فقام المستعمرون ببناء صورو(منزل بطابقين) للأمنوكال، وكما شهدت هذه المرحلة توسعا في الأراضي الزراعية على ضفاف الوادي و في الجهة الشرقية للقصر .

ـ تاظروك من 1962-1985:بعد الاستقلال أصبحت تاظروك فرعا بلديا تابعا لمدينة تمنراست لم يستفد من أي منشأة وتطور المدينة كان على مستوى القصر، والملاحظ أن في هذه المرحلة بدا القصر يأخذ هيكلة شبه منتظمة وهذا راجع إلى عودة الشبان الذين كانوا يعملون تحت السيطرة الفرنسية في القرى الأخرى ،حيث ناثرو بمخططاتا كما أنم حملوا مخططات جديدة وفي هذه المرحلة بدا التفكير في الطرق وأخذها بعين الاعتبار في القصر كما توسعت الأراضي الزراعية, كونا النشاط الرئيسي الشغل للأهالي وفي هذه المرحلة تحولت الثكنة العسكرية مقر للفرع البلدي والى مدرسة.

ـ تاظروك من 1986**إلى** 1992**:**

- في 1984ارتقت تاظروك إلى بلدية؛ في سنة 1986تحولت إلى دائرة هذه المكانة الإدارية جلبت معها منشات قاعدية مكملة للمنشات الاستعمارية وأخذت على طابعها المعماري، خاصة في استعمال مواد البناء المحلية وامتدت هذه المنشآت حتى احتلت الأراضي الزراعية المقابلة للقصر، أما في هيكلتها فإنا هيكلت بساحة مركزية و بالطرق المؤدية إليه .

ـ تاظروك من 1993الى **يومنا هذا:**

شهدت هذه المرحلة توسعا كبيرا للسكنات وكذا المرافق الإدارية نذكر منها بناء الثانوية بالإضافة إلى مرافق أمنية وإحياء جديدة ذات طابع معماري حديث مبني بالحجارة والأسمنت والحديد.

ج)ـ الأحياء القديمة:

-ان تناول موضوع البناء الاجتماعي لأحياء تاظروك ، يجرنا إلى النظام الاجتماعي المكون لتمع إموهاغ (النظام القبلي) الذي تتحكم في ديناميت "العصبية " التي هي أساس التغير الاجتماعي لكن في هذا المطلب الأحياء القديمة؛ نتطرق إلى وصف البناء المعماري و طنومية هذه الأحياء .

ان النظرة العامة لمدينة تاظروك تبدي لنا إن هناك حيين عتقين ، الحي الأول والقديم يوجد على الضفة اليسرى للواد (انظر الملحق رقم 10) .والذي يتواجد في أعلاء البساتين المخفات للوادي،وهو عبارة عن تجمعات سكنية مبنية بطوب والأدوات التقليدية ، والملاحظ ان هذه التجمعات تشكل مجموعات ، تتخللها أزقة ضيقة يتراوح عرضها مابين 80 سم إلى 01 متر . ونجد

في وسط كل تجمع رحبة واسعة لتجمعات الأهالي عند أفراحهم وقرحهم ، أما ما يفصل هذان الجمعان فيما بينهما نجد هناك طرق يتراوح عرضها مابين 3امتار إلى 5امتار تسمح بمرور السيارة .

أما الحي الثاني الذي يقع في الضفة الثانية للوادي ويمتاز بتجمعين سكنيين بنفس الصفات الحي الأول تقريبا لكن الملاحظ فيه انه شبيه بالأحياء الموجودة بمدينة جانت .

بعد الوصف العام لبنية الأحياء نأتي الآن للوصف الدقيق المفصل للبنايات المكونة لهما.

بعدما تطرقنا إلى الوصف العام للأحياء نأتي إلى وصف البنيان المكونة لهذه الأحياء، حيث تصنف أربعة أشكال للمنازل.

- الشكل الأول : الداموس / فمقابل انتشار "ايكبران " في المناطق الباردة انتشرت البنيات ماتحت الأرضية (الداموس) الذي هو مستوحى من الخيمة من حيث المساحة ، ويشبه الزريبة من الشكل وهو عبارة عن حفرة مربع الشكل بقدر خمسين إلى ثمانين سنتيم مبنية بالطوب والحجارة ويصل علوها مابين ثلاثين سنتيم الى خمسين سنتيم ، أما السقف فهو بمثل سقف الزريبة ، وكان تصميمه من اجل مقاومة الظروف المناخية .لكن هذا النوع من البنيات ما بقية منه إلا الأطلال والآثار كونا هجرت منذ القدم ،ولم تشهد أي ترميمات والكثير منها تم إقلاعها وبناء منازل قي مكانا .

- الشكل الثاني : منازل ذات زوايا (تغهامين –أن-تغمار / وهي عبارة عن غرف واسعة مقسمة إلى قسمين :

القسم الأول: يضم ركن المطبخ وغرفة الجلوس العائلية.

القسم الثاني: يحوي فضاء للقش وزاوية للنوم أما المخطط فهو مستطيل الشكل، يتغير عرضه تبعا لطول جذوع الأشجار المستعملة لتسطيحه.الاتصال الوحيد لها مع المحيط الخارجي هو المخرج .وكما يحتوي على فتحة لتهوية في حائط المطبخ.

الشكل الثالث : منازل الغورت (تغهامت-ان-اغورت) / هذا النمط كان امتدادا للمنال الزاوية حيث ان التنظيم المنال يعتمد على تقسيم المنال إلى قسمين ، قسم مغطى ويحتوي على رحبة مسطحة تتفرع من خلالها الغرف ، والاتصال الوحيد مع المحيط الخارجي هو المخرج ، أما الجزء الأخر فهو عبارة عن رحبة مفتوحة القسم والقسم الثاني مسطح ، وهذا الفضاء من أجل أيام الصيف والأول من اجل الشتاء.

الشكل الرابع : منازل برحبة (تغهامت-أن-توخة): هذا المنط يعبر نتيجة لتطور المعيشي وهو امتداد لنمط السابق ، بشكله المعروف ، ويمتاز بالفصل بين مختلف الوظائف،وفي

هذه النمط يلاءم معيشة إموهاغ في الهواء الطلق كما هو معتاد ، حيث ان في غرف النوم نجد حائط يقسم الغرفة إلى قسمين ، و ان ارتفاعه يصل إلى 60سم ، وفي المنازل الأخرى نجدها تحتوي على رحب متواصلة .

لكن في ختام هذا العرض ، ما يمكن ملاحظته هو ان كل هذه الأشكال هي عبارة عن تطور البنيات في مدينة تاظروك ،ذلك حسب التعقيد الحاصل في الحياة الاجتماعية الاهالى من حياة البداوة البسيطة معيشتها ، إلى حياة المدينة المعقدة بتعقيد الوظائف الاجتماعية فيها .أضف الى ذلك تأثرهم بالبناء في مدينة إين-صالح والبناء الاستعمار الفرنسي خاصة المدفئ التقليدية التي نجدها في أغلبية المنازل والقصور، والتي تكون عادة في الغرف المخصصة لجلسات العائلية .

ثالثا: النظرية الديغرافي

أ- الهجر و توزيع السكان :

ان التركيبة السكانية لأهل تاظروك هي عبارة عن خليط من تجمع بشري الذي قدم من العديد من المناطق لذلك نحاول ان نقدم أهم القبائل ، العائلات التي استوطنت تاظروك و ساهمت في العديد من التغييرات :

I **- إهقارن:**

كيل اهقار هم تحت إمرة اهقارن الذين ينقسمون إلى قبيلتين كبيرتين هما كيل غلا و كيل تايتوق أما السلطة فهي في سلالة كيل غلا .

أ)- كيل غلا : نميز من بينهم ثلاث فصائل و هي (انمبا، ابوغلان، كيل غلا) و هي أقوى قبيلة في الكونفدرالية من حيث عددها و عدد القبائل الموالية لها ، و موقعها الذي يحتل وسط و قمة هضبة اهقار فهم في مركز الكونفدرالية الرئيسي.

زعيم كيل غلا هو الذي يرأس التحالف المذكور ، ولها الحق في الجباية على القوافل الأجنبية التي تعبر أراضيهم "العادة"بينما يتقاضون ضريبة رمزية ضمن كتلتهم المستقلة ذاتيا ،نوع العلاقة هنا سياسي-اقتصادي وهم المتواجدون في تاظروك و غيرها من المناطق من علو اهقار .

ب- تايتوق: قوة هذه القبيلة تساوي تقريبا قوة كيل غلا و لها وزن كبير في رجحان القوة بأقهار ، و معروفة لميلها إلى الاستقلال ،و كادت ان تشكل كونفدرالية خاصة بها لو استمرت . و بناءا على التقسيم السابق تحتل المنطقة الغربية من أهقار و هي منطقة تقربا من الطريق الحيوي إين صالح ،تين بكتو و أضاغ . و إذا كانت العلاقة التي تربط كيل تايتوق بكيل غلا تنحصر في

العلاقة السياسية إضافة الى الرابطة الدموية فهم أبناء عمومتهم ، فان لها ارتباط سياسي اقتصادي مع القبائل التي تعيش في كتلتها التي تمارس فيها سلطتها السياسية الذاتية فهي أيضا تتلقى "توسي"من عدة قبائل.

2- دق كرزيكة:

هم المنحدرين من كرزيكة الذي يكون اسمه مقرونا بتاظروك قديما وحديثا، لذا وجدنا من الضروري الكلام عن قدومه إلى تاظروك . وحسب ما كتبه لويس بيلات "louis Pilate" أن كرزيكة حدثه قائلا[1]:(...أولدت في بلد وديانه دائمة الجريان, أبي كان صيادا في حوزته شبكة كبيرة ، التي كان يصطاد بها في الأنهار المتاخم لمكان سكننا ، يأتينا بالأسماك وافر كل يوم ، كما لدينا العديد من الأحصنة, بلادنا اسمها حمدل "hamadalla" ينتج في مزارعنا الذرى البيضاء (البشنة حسب المعروف العام في المنطقة) في كل عام بعد حصاد الزرع . ننتظر قدوم رجالا يركبون الجمال, أبي قال لي أن هؤلاء الرجال قادمون من بلاد كبير تقع في الجهة الشمالية اسمها تين بكتو" tin bouktou". لم أرها أبدا يتكلمون لغة لا افهمها يأتون لاستبدال الذرة البيضاء ومواد أخرى بالملح. في هذه الفترة كان لي أصدقاء هم من نفس سني، معهم العب ونرعى الأحصنة في الغابات المتاحة لنا....... كنا نعيش على هذا الحال، حتى ذلك اليوم الذي أتذكره جيدا (حيث كان في عمري 4 سنوات أو 5) في نهاية اليوم كنا جالسين نراقب الأحصنة.حتى شاهدنا قدوم أناس على إبلهم لم نرهبهم ، فلما اقتربوا منا دعونا إليهم فقاموا بخطفنا ووضعنا في أكياس خاصة بوضع الملح التي تم تثبيتها على الجمال وهي مصنوعة من الجلد ، ثم غادروا بسرعة نحوى الشمال .

ونحن في تلك الأكياس كنا نبكي ! . و كنت أنادي أبي ! لكن الجمال تجري باستمرار ولما اظلم الليل توقفوا فقاموا بإخراجنا من تلك الأكياس.كان هناك عدد كبير من الجمال في تلك المنطقة, حينها قام بعضهم بإشعال النار من اجل أن يصنعوا طعاما. كنا كثرى الجوع ولكن لم نعد نبكي.

الرجل الذي قام بخطفي ، خطفني بمعية طفلة صغيرة ، حيث قام بفكي قيدنا وقدم لنا حليب النوق .وبعد برهة أعادنا إلى الأكياس وانطلقوا في رحلتهم ليلا . كنا نعلم جيدا أن أهلنا سيقتفون أثرنا لكن كيف يصلون إلينا ليس بحوزتم جمال ؟ .

1- Louis Pilate : « histoire de Tazrouk, un petit village d'ahaggar ». Centre de documentation saharienne ghardaia (Algérie), 1995 P : 6.

وهذه المنطقة التي نسير فيها شاسعة، حيث كانوا يسيرونا نارا ولا يرتاحون إلا ليلا، أو عندما تقتضي الضرورة. بعد أيام وصلنا إلى بلاد كثيرة الجبال و باردة حينها تفرقت الجماعة . لكن الرجل الذي خطفنا أنا وطفلة سار في المنطقة عدة أيام ومعه رفيقين وبعصا من الجمال، وكان اتجاهنا نحوى قمة السلسة الجبلية.

في ناية أسير وفي صباح ذاك اليوم لبسوا احلاء ما لديهم من اللباس ، ومساءا قدمنا إلى واد كبير فيه الكثير منن الخيام .

حيث رأتنا إمراة وأطلقت زغاريد معلنة قدومنا ، بعدها خرج الرجال و النساء والأطفال لاستقبالنا . كان تبادل السلام والأخبار . رجل اسود البشرة قام بقيادة الإبل لإنزال الأمتعة التي على ظهورها ، وامرأة سوداء أيضا قامت بأخذنا إلى خيمة صغيرة لم افهم شيئا مما تقوله لنا . كنت شديد البرودة والجوع، أعطتني قطعة من الغطا وأطعمتني بعدها نمت.

لما استيقظت كانت الشمس بازغة ، الرجل الذي آت بي غادر اخذ معه الطفلة – التي لم أرها بعدها قط –حينها علمت أن الرجل الذي آت بي كان من إيفوغاس . حيث قال للحاج احمد البكري (....أين من الطفلين تأخذ الذكر أم الأنثى ؟....) فردا عليه الحاج احمد (....سآخذ الطفل لأني رأيت في المنام انه سيأتي اليوم رجلا ، قدومه يؤدي إلى غنى البلاد ....) . الحاج احمد أق البكري كان رجلا غنيا ، جده الحاج الفقهي كان صاحب الزاوية بتماسنين " TEMASSININE" في شمال أمقيد AMGUID سنة 1800 .ابنه الحاج البكري أبو الحاج احمد أصبح المقدم في منطقة ايميدير IMMIDIR . وابنه الحاج احمد تزوج تقارت TAHAGGART تجنت ولت ادبول tegent Olt adaboul . !! رزقه معها بطفلين الأول طفلة توفيت وثاني كان طفل الذي له نفس العمر مثلي اسمه عثمان أصبح بسرعة صديقي، معا كنا نذهب لرعي الجمال وجمع الحطب وقيادة الحمير لجلب الماء.....).

هكذا نما وترعرع كرزيكة في وسط إموهاغ في اهقار وأصبح منهم ،وكانت له ذرية من زواجه برحمة ولت محمت rahma oult mahammet التي آت با من متوك metouk ، والتي له منها أبناءه الكبار سليمان وغلي والخضير واحمد وبوكياس ، وكما تزوج من حرطانية من ايت الحاج عائشة التي له منها محمد بأسي وإبراهيم كما تزوج من حدادة (تينت enet) زينبه من اير ، والتي له منها طفلة واحدة اسمها جمعة وقد توفيت ،كما تزوج أيضا من عبده لكيل أقوه أن

تلي بعد أن قام بتحريرها ، ولم يكن له منها أي ولد ، وأصبحت قبيلته من أكبر القبائل بتاظروك القاطنة بوسط المدينة بتاظروك.

3**- إسقمارن** : هم القبيلة الأكثر أهمية في اهقار وتنقسم إلى العديد من الفروع القبلية ، حيث يعتبر كيل تاظروك الأكثر عددا.

لقد كان إسقمارن يمارسون الرعي في المنطقة المتواجدة شمال إين صالح « insalah »، وهي المناطق المتاخمة لإين بلبال « inbelbal » في الحدود الجنوبية لتادميت « tademayt ».

لقد انزاح إسقمرن إلى اهقار في عهد امنوكال أكاسك ، حيث تم توزيعهم في العديد من المناطق والتي أخذت أسماء قبائلهم ، وهي كيل ادنك « kel adenek » و كيل إن غر « kel inghar » و كيل تفدست « keltéfedest » و كيل اوهات « kel ouhat » و كيل اميدر « kel immidir » و كيل تاظرولت « kel Tazoult » و يهوند « le yehouwenhada » .

وما يهمنا هنا هو قبيلة كيل تاظولت ، التي ساهمة في تأسيس مدينة تاظروك ، كان لسيدي محمد أق جكال من بين الرجال الذين يعود لهم الفضل في بداية الزراعة في تاظروك ، كان صديقا للحاج احمد أق الحاج البكري. حيث قام الحاج احمد بالمزارعة في الجهة أليومنا لواد تاظولت ، وكان لسيدي محمد الجهة اليسرى منه (جهة اللغواوة,ghawawet).(النظر الملحق رقم ( )).

حيث مارسوا الرعي و ترحال وتجارة بالقوافل إضافة إلى الاتفاق مع المزارعين بالخماسة ، خاصة كيل جانت كما استقر بم المقام في النهاية في تبربيرت بمعية اطلبه ، ولكن رغم ذلك بقي إسقمرن على عادة الرعي كما افتتحوا ميدان الفلاحة ليصبحوا بذلك من بين أهم المزارعين في تاظروك.

4**- ايت لواين:-** les aytloayen

لم يعرف ايت لواين الاستقرار في تاظروك إلى سنة 1974 ما عدى ذلك فهم يأتون من اجل اقتناء حاجاتم من دقيق وسكر وشاي وتمر...الخ، كما يقومون مقابل دلك ببيع منتجاتم الرعوية, و يأتون في موسم الأثمار من اجل اخذ ما يجمعونه من ثمار لدى احبابم ، أضف إلى ذلك قدومهم من اجل حضور الحفلات و الأعراس و المناسبات.

كيل تين تاربين « les kel tin tarabine » اتخذوا لهم مركزا في تين تاربين وقاموا بالمزارعة فيه مع اعتمادهم على الرعي, أما كيل سيركوت « kel serkout » , وكيل تلغتب « kel

« telleghteba » يزارعون أحيانا في المناطق المحادية لسركوت « serkout », كما يأتون إلى تاظروك من أجل المشاركة في جمع المحصول في موسمه و يكون ذلك بمقابل الحصول على حق عملهم ، لكن كان أجي أق وايرزغن قد عمل بعض الوقت عند اقولي كساقي الذي كنية باجي وان ندن « aji wanneden »

بعد الاستقلال لم يتغير في حياة البدو ايت لوين « ayt loayen » كثير، لكن السنوات 1972،1973، 1974 عرفت بعض التحولات ، حيث كان بداية استقرارهم في تاظروك.

لقد اتخذ كل من كيل سيركوت وتلη تبا منطقة تبركاتين كموطنهم. هذا الحي يبعد عن مركز وسط مدينة تاظروك ثلاثة كيلومترات ، حيث استفادوا من البناء الريفي والبناء الذاتي، وكما عملوا في إطار أشغال البناء في المقاولات العمومية وكسائقي سيارات وإداريين .

أما كيل تين تارابين فاختاروا تين تاربين موطنا لهم وعملوا في القطاع الفلاحي ، ولكن ماصعب ازدهار هذه المنطقة هو شبه انعزالها عن مقر البلدية والولاية . لكن في نهاية التسعينات شهد هؤلاء نزوحا نحو تاظروك واستقروا في ايهن تقوق.وذلك بعد دخول العديد منهم في صفوف الحرس البلدي.

5- الطولبة (معلمي القرآن):

منذ أن كان إسقمارن في إن بلبال ثم انتقالهم إلى تيت (tète) وتديكلت كانوا يأتون بمعلمين للقرآن من تيت أو تديكلت أو أولف aoulef أو إين صالح ، من أجل تلقين أولادهم القرآن.هؤلاء الطولبة يمارسون البداوة والرعي أويعملون في البساتين معهم وذلك تماشيا مع حياتهم.

أ)- داداوعلي : في تاظروك عائلة داداوعلي هي من بين القبائل المستقرة ألآن في تبيربيرت ، التي تبعد عن تاظروك سبعة كيلومترات ، حيث تمت مصاهرتهم مع كل من عائلة بوهان bouhzne من سلالة كرزيكة وتنكو TANKO فولاحي .

داداوعلي قدم من المغرب وهو من كيل غزي KEL AZI ، وهو معلم القران استقر في تيت بمنطقة تديكلت .هناك علم القران وهناك توفي . أولاده عبد النبي وبالقاسم ومحمد وحمى الذين أصبحوا من مدرسي القران في تاظروك ، وابنته هنات HANATA تزوجت الحرطاني احمد .

عبد النبي درس قي البدائية في أمقيد AMGUID عند كيل تدفست ثم انتقل الى أدلس ثم الى هيرفوك HERAFAK ، في نهاية الحاج أبابه والحاج بيداوي عند كيل تاظولت ، الحاج بابه الذي تزوج في تاظروك بحرطانية اسمها فاطمة بنت سيدي علي من كيل وغزى KEL OUGHEZA وله

منها خمسة أبناء احدهم محمد الذي تزوج من حرطانية من توات حوت بنت بابه (التي كانت متزوج من بوكياس كرزيكة الذي كان له منها ثلاثة أبناء وهم تيدت و حمى وشناڤ) والتي له منها ستة أبناء وهم قاسم وعبد النبي (عبدن) وإبراهيم وابيب كلهم مدرسي القران وكلهم تزوجوا في تاظروك ، كما له منها ابنة اسمها مباركة التي تزوجت من الطالب احميدى وله منها ابن وهو عبد القادر وابنا محمد هم الذين كانوا اول مدرسي القران عملوا في الفلاحة .

- ب) الطالب خامه :

هناك مدرس أخر كان له الفضل الكبير على المنطقة، هو الطالب خامه الذي درس القران ، وكذلك كان إمام المسجد في تاظروك مدة 50 سنة .

هو من قبيلة نبيلة في ازجر ، هي قبيلة المتين alamteyn واصله من غات .غادر هذه المدينة وهو في مقتبل العمر متجها نحو جانت أين التقى بسليمان كرزيكة الذي اقترح عليه مرافقته الى تاظروك في حدود سنة 1935 ، فيها تزوج من حرطانية من أدلس وأنجب منها العديد من الأبناء وهم بوبكر، محمد (حامود) وعبد اللطيف وايدى .كلهم أصبحوا مدرسي القران كما عملوا في إطار الفلاحي ، حيث خلف ايدى أباه في الإمامة بعد وفاته أما عبد اللطيف ومحمد معلمي قران ، أما بوبكر فاكتفاء بالعمل في الفلاحة . وله منها كذلك ابنتين إحداهن تزوجت من سليمان كرزيكة ، والأخرى من اوجانت أق يونس.

- ج) بكتة بن إبراهيم :

إن الحديث عن مدرسي القران أو الجانب الديني وتلقينه ، لا يحجبنا عن التكلم عن العالم الجليل بكه بن إبراهيم كأحد أعمدة القضاء في اهقار وعلاقته بكيل تاظروك .

بكته بن إبراهيم هو من قبيلة إيفوغاس ،ولد سنة 1830 بمنطقة اهقار أبوه مفتى اهقار، عليه تعلم القران وسافر رفقته الى منطقة توات، أين التقى بأحد مشايخ الحلة فطلب مرافقته, فكان ذلك بعد موافقة أبيه, ومكث عنده تسع سنوات كاملة يدرس الفقه وعلوم الدين بمدرسة الحلة عزب تين بكتو, عند عودته تأكد أبوه من فقهه وبعد مدارسته, فكتب رسائل الى جميع قبائل اهقار يخبرهم أن ابنه أصبح هو منذ ذلك اليوم مفتى اهقار, توفي أبوه شهرا بعد عودته ثم تولى الفتوى بعده ، وكان عالما وفقيها تعلم على يده الكثير في بلاد اهقار وكان مسموع الكلمة في جميع بلاد إموهاغ, كما كان مناهضا للاستعمار الفرنسي ، ومن أشهر فتاويه في ذلك الوقت انه أنهى عن التبادل التجاري بين منطقة توات و اهقار، لان منطقة توات تسيطر عليها قوات

الاستعمار ، حيث اعتبر ما يأتي منهم نجس لكونهم كفار معتدون عليهم, وفي سنة 1915 وافته المنية ودفن في منطقة تاظروك .

6-**كيل جانت** « kel djanet » :

عن الأخ عبد الله (louis Pilate) أن كرزيكة روى له كيف أن اسقمار سيد محمد جد فجيوى « fajiwa » آت بأول كيل جانت الى تاظروك من اجل العمل في الحقول[1] (.... سيدي أبو الحاج حيمد قدم الى تاظروك في حدود 1890 ، حيث عمل أخامس عند إسقمرن ....). أولاده تزوجوا في تاظروك ،حيث أن حيمد تزوج ولت غزي oult ghezi ثم من تفاغيست tafaghist وبابه من تقارت tahaggart أما موسى فتزوج من ولت جانت oult djanet كانت لهم ذرية من هن ،حيث أنهم انشئوا لم حياء في أضيف اليمن الوادي بمحايدات بساتينهم ومقابل حي دق كرزيكة .

أما حؤدن أق المهدي hawadan Ag el mahadi و أخويه اثنين أيوب ومحمد قدموا سنة 1905 . حؤدن تزوج في تاظروك بغلي ولت محمد ghalli oult Mohamed من كيل جانت ، و الذي له منها ثمانية أبناء هم : غيشت وحوا و هلا و ميدي ومحمد و داشي و عبد القادر و الزهراء . وبعد وفات غلي تزوج في جانت من خديجة التي له منها أربعة أبناء وهم :غبدو وعبد النبي وغيشة وبوجمعه. ولكن ميدي و هلا هم الذين استقرى في تاظروك .

حؤدن كان عاملا في الحقول لدى اسقمر بوى أق بومكة bouya Ag bouamaket كما عمل عند كيل اقوه-ان-تلي AGOUH EN TEHELE في منطقة تغهوهوت ، ثم في ان-دالاق INDALAG هناك عمل حتى ابنه ميدي ، كذلك عمل هناك سنة 1936 الذي تزوج من امرأة بنت حيمد تفاغيست من امها ، الذي لديه منها العديد من الابناء .

وهناك أوجانت آخر قدم الى تاظروك ، هو الطالب خميدو الذي تزوج من ولت غزي زهيرو ZAHEROU وأمها من الحاج احمد كرزيكة .

-7) دق صابرة:

هم من حراطين توات الذين قدموا الى اهقار في أواخر القرن 19 م ، الذين كانت ذريتهم من الحراطين من توت، وكذا من سلالة كرزيكة في تاظروك.

---

[1]-louis Pilate : histoire de tazrouk , IBID cite . P : 37.

أول صابرة قدم الى اهقار هو محمد بن عبد النبي صابرة ، في عهد اهيتاغل AHITAGHAEL وهو مشتهر بانجاز الفقارات ، حيث عمل كمزارع في تغهوهوت . لكن تزوج في تاظروك من خديجة ولت بابه التي له منها ابنين بابه ومحمد ، وتزوج ثانيا من عائشة ولت سيدي (أي مغير أق سليمان) ولهما ابن وهو بنبي الذي استقرى في تمنراست .بابه تزوج من بأية ،حيث سكن في تين تأربين . حتى قدوم امكرسن من ازجر الذين خطفوا بأية أما بابه فاختباء في الفقارة ، ثم عاد الى تاظروك ، الذي عمل كمختص في خدمت السواقي (الفقارة) و تزوج من توكاست أخت تبكات هوبوب HOBHOB ، الذي له منها خمسة أبناء ثلاثة ذكور وبنتين ، بعد وفاة توكاست تزوج شنه CHANNA (جمعة) ولت بوكياس الذي له منها ابن واحد وهو خامه .

محمد عاش حياته عند جدته فاطمة ولت الحاج اغلي ، وهي والدة حوته وأمه خديجة ، حيث تزوج بجمعة ولت أمغير وله منها قاسم وبوجمعه ، ثم بعد وفاتا تزوج أختها الصغرى تبكات .

8-) إكـ ـ ـردان:

تنكو هو شاب من قبيلة افلان IFULLAN من أوصول تشادية ، أبه اسمه عيسى .في يوما من الأيام انتقل نحوى شمال ازجر ، أين قام برعي لإبل لوقتا معين لصالح امرأة " تكردات " فاظيماته زوج اوغار OUGHAR الذي أنجب منها الحاج ابكدى الذي أصبح أمغار-أن-كيل جانت.

تنكو استمر في سفره حتى بلغ ايت لواين "كيل تين تارابين " ، مارس الرعي والترحل معهم بتحديد مع مزمر MEZZAMAR، حيث كان مع زوجته فاظيماته (ابدق ABEDEGGA) الذي أنجب منها ثلاثة أبناء وهم : مينو والخير و اسكيو ، وله بنت من امرأة أخرى اسمها تميشقة TAMENCHAQA وهي مينة .

لما أولد مينو، تالات TALAT من كيل ترقى KEL TARGA هي التي تكفلت بإرضاعه ، لكون أمه عاجزة عن ذلك ،وفعلة مثل ذلك عند ميلاد اسكيو .

كما عمل تنكو في أتنقل مع القوافل التجارية مابين نيجر واهقار في وقت اهيتاغل ، كان رجلا قويا ، لكن قوته لاتتماشى مع قدراته العقلية .

أولاده مازالوا شباب حتى تكفل ايتلوين بم ، حيث اهتم همى باسكيو وافركت بمينو ، أبوهم ترك لهم العديد من الإبل ومارسوا التجارة مع ايت لوين ، اسكيو تزوج بلالة ولت احمد

أخت ابوخليل ABOU HALIL اهقار . أولاده تزوجوا من سلالة كرزيكة ، ماعدا بنتين احدهما تزوجت من اسقمر وأخرى من حرطاني اسمه خيسن .

مينو كان يرعى مع أفركتا AFARKATA . تزوج من حرطانية خديجة وله منها طفل ، والتي توفيت وتزوج بتاظروك بتيدت ولت بوكياس TIDET oult BOUKAYAS الذي له منها ثمانية أبناء وهم : محمد تزوج من صابرة ، أمد تزوج من كرزيكة ، إبراهيم من داداوعلي واسكيو من ولت جانت و أمود من تسقمارت و ويرزغن من كرزيكة ومن قبل بابنت عمه ،أما خيسن من أبنت عمه، و تكديت تزوجها أقولي بن أمغير كرزيكة .

بعد العمل في تجارة القوافل تفرغ مينو للفلاحة ، حيث عمل هو أبناءه في منطقة تين ازكره ، ثم في تاظروك حيث استقر به و بابناءه المقام في تاظروك ، عملوا في تونين حتى الآن .

-9) مولاي عبد ا! أرقاني:

في السنة التي قدم سليمان كرزيكة بالطالب خامه ألمتي ، محمد أبو الحاج أبدوي آت بشاب أشريف من رقان "مولاي عبد ا! " . حيث استقر لدى اسقمارن حتى يوم تزوج بتيهه ولت سيدي محمد تقارت بعد ما طلقها بأي أق اخموك أمنوكال –أن- اهقار آنا ذاك .

كانت له مكانة دينية في مجتمع ، رغم انه لم يكن مدرسا للقران ولا قاضيا ، بل كان فقيها في الدين وله بركات –حسب ما ذهب إليه هل المنطقة – له الفضل في الفصل في العديد من اﷲاعات الاجتماعية في تاظروك ، حيث كان يرعى رفق زوجته تيهه TEHA وفي وقت الإثمار صيفا يعودان الى تاظروك ليقيما في صورو[1] . كما كان يمارس تجارة القوافل بين نيجير واهقار عم كيل أقوه –أن- تلي ADJOUH IN TEHELE أين يأتي بعدت سلع لبيعها ، لكن لم يقدر أن يرزق مع تيهه بولد ولم يقدر لزوجهما أن يستمر فطلقها ، ثم تزوج من تشرفت من تمنراست ، وهي لاله مولاتي بنت مولاي عبد ا! كان ذلك سنة 1958 .

أهل تاظروك بنوا له بيتا في وسط المدينة ، ليعيش من أسرته وفي آخر عمره آت أهله من رقان لكي يأخذوه معهم لكن القدر أراد أن يكون مثواه الأخير في تاظروك ، ليحاط قبره بروضة . لتقام له كل سنة بمناسبة وفاته زيارة باعتباره-حسب أهل المنطقة –وليا صالح، يجب مباركته مثل باقي أوليا ا! الصالحين.وذلك مثل باقي المنطق الصحراوية في الجنوب الجزائري .

1-صورو : هو القصر الذي شيده الاستعمار الفرنسي لأمنوكال مثله مثل الذي في مدينة تمنراست لموسى أق أماستان .

ب- عدد سكان تاظروك قديما وحديثا :

إن الإحصائيات في هذا المجال نادرة جدا، حديثة العهد وقد تكون في بعض الأحيان متناقضة ، ويرجع ذلك الى عدم استقرار الرحل من جهة ، واختلاف العينة التي تحصى من فرقة الى أخرى.

من الصعب العثور على إحصاءات دقيقة تبين نمو السكان – كما سلفنا الذكر - ذلك لأن الجماعات البدوية المتنقلة تشكل ، بـالإضافة الى تهريب الكثير من البدو من الإدلاء بمعلومات إحصائية عنهم وعن أسرهم و أولادهم ولهذا يمكن القول أن تعدادات تقريبية .

لذا فان تناول إحصاءات تاظروك قبل الاستقلال لايمكن فصلها عن تعدادات اهقار كمنطق . لان التعدادات التي أقيمت فيها شملت اهقار بمجمله لكننا عثرنا على عدد أفراد الأسرة المستقرة في تاظروك في بعض المراحل [1] : في سنة 1904 كان عدد المقيمين 40 فرد.

في سنة 1930 كان عدد المقيمين 50 فرد.

في سنة 1950 كان عدد المقيمين 177 فرد

في سنة 1957 كان عدد المقيمين 180 فرد.

أما بعد الإستقلال كان التعداد الأول لسنة 1966 والذي كان عدد سكان أهقار المستقرون 9427 نسمة بنسبة 59.2 % والبدو الرحل عددهم 6495 نسمة بنسبة 40.8 % هذا يعني أن سكان اهقار 15922 نسمة ، أما في سنة 1973 في الإحصاء المحلي 12608 نسمة بنسبة للمستقرين ، نسبتهم 63.5% ، إما البدو فعددهم 7240 ونسبتهم 36.5% . وعدد سكان أهقار في هذه السنة 19848 نسمة .

من هذه المعطيات العامة حول سكان الهقار المستقرون منهم و البدو يمكننا إجراء مقاربة . حيث أننا نلاحظ أن نسبة السكان المستوطنون في المناطق الحضارية هي نسب متقاربة مع عدد البدو هذا في التعداد الذي اجري سنة 1966م. بينما نلاحظ هناك تزايد في نسبة المستوطنون وانخفاض البدو في المناطق اهقار . لكننا سوف نتناول التغيرات الديموغرافية الحاصلة في تاظروك من بداية سنة 1996 الى يومنا هذا حتى نتمكن من معرفة توجهات المجتمع في الناحية الديموغرافية.

[1] - Frère ABDALLAH (Louis plate) : « histoire de tazrouk un petit village de l'haggar » , Op. ; Cité .p :44.

إن نقص المعلومات حول الماضي الإحصائي للمنطقة(تاظروك) بخصوص النمو الديموغرافية ، نجد أنفسنا مجبرين لدراسة الحالة الديموغرافية للتعداد السكاني 1977، وتعداد سكاني في لسنة 1987م ثم التعداد السكاني سنة 1992م، ثم نتطرق الى الحركة الديموغرافية سنوات بعدها.

ج- النمو الديموغرافي لسكان تاظروك :

تتميز جميع بلدان العالم الثالث بحركة النمو السريعة للسكان ، الشئ الذي لم تستثني منه الجزائر . وذلك إذا نظرنا الى نسبة النمو السكاني الوطني التي تقدر 3.11% هذا بنسبة لسنة 1985 (الديوان الوطني للإحصاء :1990، 611) .

فنحن الآن بصدد تتبع نمو سكتان تاظروك ، حيث ان جدول النسب الموالي ، الخاص بالمواليد والوفيات يوضح لنا ذلك .

السنة	عدد المواليد	نسبة المواليد	عدد الوفيات	نسبة الوفيات	النمو الطبيعي
1996	146	11.208	09	0.692	10.516
1997	188	14.446	07	0.538	13.908
1998	124	9.953	12	0.923	9.03
1999	128	9.846	11	0.846	9
2000	105	8.076	03	0.230	7.846
2001	110	8.461	08	0.615	7.846
2002	107	8.230	12	0.923	7.307
2003	118	9.076	04	0.307	8.769
2004	143	11	07	0.538	10.462
2005	131	10.07	05	0.384	9.686

-جدول : يوضح نسبة المواليد والوفيات في تاظروك من 1996 الى غاية 2005[1] .(مديرية التخطيط والإحصاء لولاية تمنراست).

1) **نسبة المواليد**: من خلال الجدول يتضح ، لنا ان نسبة المواليد تتراوح مابين 8.076 % و14.446 %هذا يدل على ان نسبة الزيادة في تاظروك غير مستقرة تماما ، بل تشهد ارتفاعا وانخفاضا طبيعي .لذا نلاحظ ان هذه بالنسب سنة 1997 ، 14.46% .كما نلاحظ ان هذه النسبة بلغت أدbا نسبة سنة 2000 حيث وصلت النسبة فيها 8.076% .لكن ما يمكن استخلاصه هو ان نسيبة المواليد في تاظروك هي مستقرة مابين هذين النسبتين .

2) نسبة الوفيات : نلاحظ أن نسبة في تاظروك في الفترة مابين 1996و 2005 ضعيفة جدا ، مقارنة مع نسبة المواليد حيث تتراوح نسبتها مابين 0.230 % (لسنة 2000) و0.923% (لسنة

[1]- المعطيات من المركز الصحي لبلدية تاظروك .

1998و2002). هذا يدل على الأوضاع الصحية الحسنة بنسبة للأمومة والطفولة ، التي ساهمة كلا من أرعاية الصحية والتغذية الجيدة قي ارتفاع المستوى الصحي لدى سكان تاظروك ، ذلك بعد انتشار الأمراض في سنوات بعد الاستقلال حتى مطلع الثمانينات في القرن الماضي .

3) بنسبة النمو الطبيعي : ان تفسير نسبة النمو الطبيعي في مدة السنوات الأخيرة لايمكن فصله عن التغيرات الحاصلة في نسب المواليد والوفيات ، حيث أننا نلاحظ أنا تتراوح ما بين %13.908 و%8.307 . أما بنسبة لمقارنتها مع نسبة النمو السكان الوطني التي تقدر ب %3.11 فإننا نلاحظ ان نسبة النمو الطبيعي في بلدية تاظروك هي بأربعة أضعاف النمو السكاني الوطني .

- 4) نظرة مقارنة لحركة نمو السكان حسب الفئات العمرية :

الجنس الفئات العمرية	عدد الذكور	نسبة الذكور %	عدد الإناث	نسبة الإناث %	الموع	النسبة %
0---5	259	20.40	272	21.15	531	20.78
6---10	206	16.23	229	17.80	435	17.03
11---15	135	10.63	154	11.97	289	11.31
16--20	108	08.51	114	08.86	222	08.69
21---25	121	09.53	112	08.70	233	09.12
26---30	87	07.01	96	07.46	183	07.16
31---35	48	03.78	66	05.13	114	04.64
36---40	62	04.88	65	05.05	118	04.62
41---45	55	04.33	43	03.34	98	03.84
46---50	36	02.83	31	02.41	67	02.62
51---55	38	02.99	24	01.86	62	02.43
56---60	24	01.89	20	01.55	44	01.72
66واكثر	55	04.33	36	02.79	91	03.56
الموع	1269	100	1286	100	2555	100

إن بحساب نسبة الذكور والإناث بنسبة للمجتمع الأم (سكان تاظروك) يتبين ان نسبة الذكور هي %49.66 ، أما نسبة الإناث فهي %50.33، هذا يعني أن نسبة الإناث قي التمع أعلاء بقليل من نسبة الذكور.

أما التوزيع العام لذكور والإناث على المراحل العمرية هو متجانس ، حيث أن النسبة مرتفعة مابين (0 سنة –15) تتراوح نسبة الإناث والذكور في التمع مابين %10 و%21 من مجموع

السكان ، ثم تنخفض مابين (16—30) من مجموع الإناث والذكور ، لتنخفض بعدها في مابين (36—66واكثر) الى ما بين 1% و4% من مجموع الإناث والذكور في المتمع .

هذا ما يدل على أن سكان تاظروك في غالبه شباب و المتمدرسين أي الأغلبية فيه هي الفئة الدارسة ، ثم تليها الفئات العمرية العاملة أو القادرة على العمل .

هذه النتائج المتعلقة بإحصائيات البلدية لسنة 1992 .فيما نحاول إن ندرس التركيبة السكانية لتاظروك حسب الفئات العمرية والجنس لسنة 1998 حتى يتثى لنا ملاحظة التغيرات الحاصلة في التركيب السكانية لتاظروك.

الجنس الفئة العمرية	عدد الذكور	نسبة الذكور %	عدد الإناث	نسبة الإناث %	الموع	النسبة %
0---4	274	17.99	298	19.74	572	18.86
5---9	265	17.40	261	17.28	526	17.34
10---14	204	13.39	199	13.18	403	13.33
15--19	132	8.67	154	10.20	286	9.43
20---24	99	6.50	107	7.09	206	6.81
25--29	105	6.89	110	7.28	215	7.09
30--34	97	6.37	75	4.97	172	5.67
35---39	75	4.92	72	4.77	147	4.86
40---44	52	3.41	32	2.12	84	2.77
45---49	41	2.69	54	3.58	85	2.81
50---54	49	3.22	37	2.45	86	2.84
55---59	45	2.95	33	2.19	78	2.25
60---64	19	1.25	17	1.13	36	1.19
65---69	26	1.71	21	1.39	47	1.55
70---74	8	0.53	13	0.86	21	0.69
75---79	5	0.33	7	0.46	13	0.43
أكثر من 80	15	0.98	13	0.86	28	0.92
غير مصرحا	11	0.72	7	0.46	18	0.59
الموع	1523	100	1510	100	3023	100

بحساب الذكور و الإناث بالنسبة للمجتمع الأم ، والسكان تاظروك كما فعلنا سالفا يتبين لنا أن نسبة الإناث هي 49.95بالمئة و نسبة الذكور بالنسبة لسكان تاظروك هي 50.38 %. هذا يعني أن نسبة الذكور أعلى من نسبة الإناث بقليل.

الفصـــل السادس

السلطة الاستعمارية والنظام الاجتماعية التقليدي.

تمهيــــد : لقد تطرقنا في الفصول السابقة بنوع من العمومية لموضوع السلطة التقليدية لاموهاغ ، وكذا الدخول الاستعماري الفرنسي لموطنهم هدا سواء كان تحليلا تاريخيا للإحداث ، أما في هذا الفصل فنحاول دراسة هده الوقائع التاريخية تحليلا خلدونيا ، حيث نحاول ان نبين كيف تمت السيطرة على العصبية والقيادة ؟و كيف تم توجيه الرياسة من طرف السلطات الاستعمارية؟و ماهي أهم التحولات التي حدثت اثر ذلك؟.

أولا - خضوع السلطة التقليدية للاستعمار الفرنسي :

أ- السلطة قبيل الاستعمار الفرنسي:

إن المنظور العام للنظام الهيكلي لـتمع إموهاغ هو مبني على البناء القبلي ، الذي قاعدته الأسرة ويرأسه أمغار رئيس القبيلة، الذي هو مصدر الرياسة المبنية على أساس الترابط والتلاحم بين أفراد القبيلة الواحدة،حيث تربط بينهم الروابط القرابية المبنية على النسب القريب بالإضافة الى الروابط ا لاجتماعية التي تتمثل في ضوابط اجتماعية تتحكم في حياتم ، هذا كله يدخل تحت إطار المدلول الخلدوني للعصبية الخاصة ، أما تلاحم بين مجموعة القبائل مشكلة الـتمع الأم الكونفدرالية، والتي يرأسها أمنوكال (الملك) بالسلطة والقهر، فهي تلاحم تلك العصبيات الخاصة التي تحكم وتربط بينها المصالح العامة وكما تقوم على النسب البعيد .

هذه السلطة المطلقة التي كانت لدى أمنوكال الناتجة عن الولاء المطلق من طرف القبائل ولا وجود ليد قاهرة فوق أمنوكال، جعلت من الوضع السياسي لمنطقة اهقار مستقرا، حتى مطلع القرن العشرين .وفي هذه الفقرات نحاول إظهار حالة تاظروك في ظل سلطة تقليدية في الفترة الزمنية ما بين (1850-1904) ، أي من تولى أمنوكال الحاج احمد أق الحاج البكري الحكم، الى غاية تولي أمنوكال اتسي أق املال.

1-الحاج احمد أق الحاج البكري (1850-1877) :

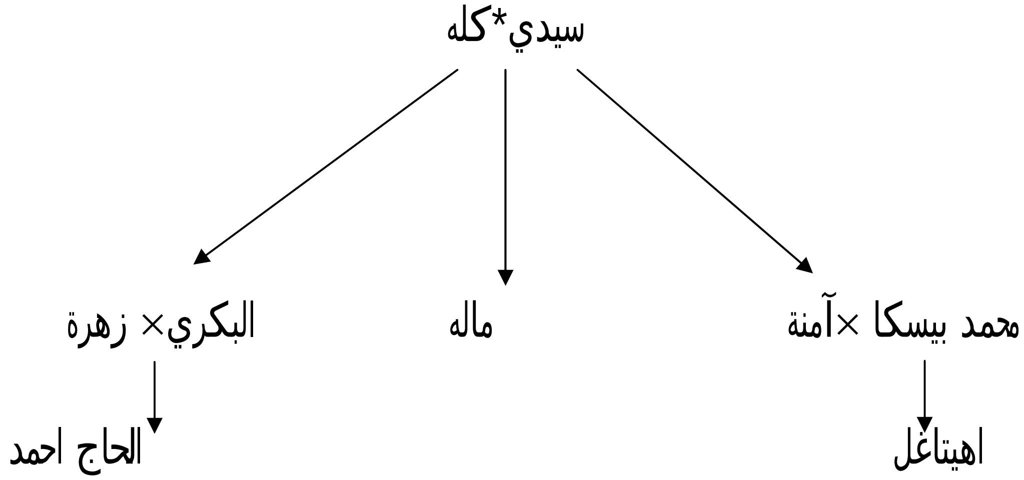
إن توكيل الخلافة للحاج احمد أق الحاج البكري رغم حياة خاله أق مامة،الذي تقدم به السن وهرم وأصبح عاجزا لكن لم يعترفا به رسميا الا بعد وفاه أق مامة.

لكن رغم كل هذا فان عند تنصيبه رسميا بعد وفات أمنوكال فانه يمكن أن يتم إعادة النظر في تنصيبه ,في حاله ما إذا تقدم احد المرشحين المنافسين، لكن ما حصل أن تعزيز مكانة الحاج احمد قبل وفاة أمنوكال قد مكنت من تدعيم جميع القبائل وإسكات جميع المنافسين لان قوه العصبية الحاكمة رجحت الكفة له.

في هذه المرحلة شهدت منطقه تاظروك انتعاش الزارعة فيها، وبناء اول منازل لهم والمتمثلة في الدهاليز المحاذية للبساتين .

2- اهيتاغل أق محمد بيسكا (1877-1900):

وهو ابن خال الحاج احمد أمنة البنت الثالثة لكلة بينما كان الحاج احمد ابن البنت الأولى :



في حكمه لم يشهد ولم يذكر أن عرفت منطقة اهقار أية اضطرابات سياسية، أما بالنسبة لتاظروك فعرفت ازدهارا اجتماعيا واقتصادي الذي تمثل في اتساع رقعة الزراعة عند قبائل اليدوية التي كانت ترعى في المناطق المتاخمة لواد تاظروك، والتي أعتمد في مزارعها علي اليد الخبيرة من توات وتديكلت واغلبهم الحراطين وآخرون من كيل جانت.

هذا ما أظهر شريحة جديد من المتمع، وهي شريحة المزارعين ((الخماسة)) ، حيث أنم يعملون بنظام الخماسة لدى أصحاب الأرضي من البدو.

خلاصة القول أن نظام اموهاغ في اهقار قبيل الاستعمار هو نظام قبلي امومي أي هدا مسار نسوى امومي فيما يخص السلطة ، وتحكمه العصبية الحاكمة لقبيلة إهقارن من كيل تايتوق،والتي لا ينازعهم فيها أحد .

ب)- السلطة التقليدية إبان الاحتلال الفرنسي:

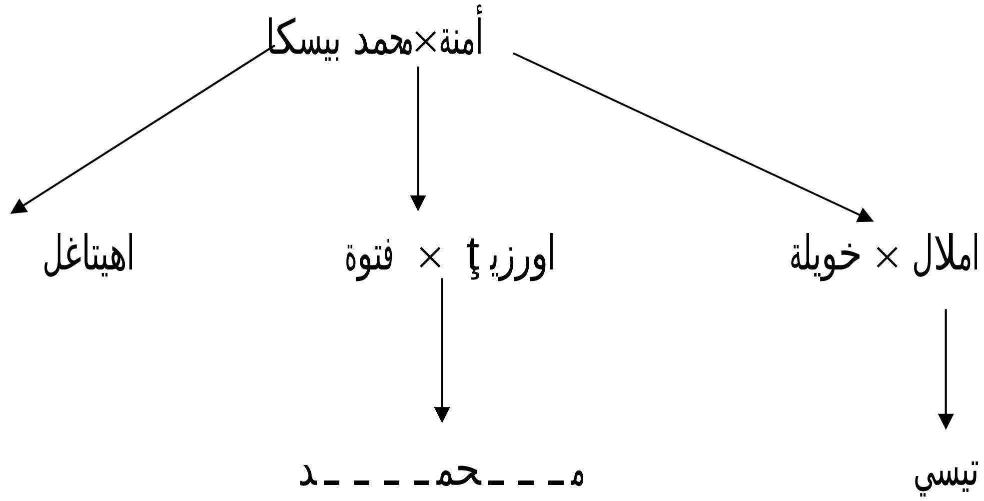
لقد عرفت السلطة في اهقار بعد اهيتاغل خلافا في من يتولى الخلافة بعد وفاته ، نزاعا بين الأفراد الذين من حقهم السلطة وهم محمد أق اورزيق ابن الأخت الكبرى لهيتاغل ، وهو أول المرشحين حسب القاعدة ، ولكنه كان مسننا وبدون نفوذ ، وكان معه اتسي أق املال وخويلة الأخت الصغرى لاهيتاغل ،هو المرشح الثاني وكان أقل سنا من محمد اورزيق لكنه أكثر ديناميكية وذو مبادئ ثابتة وشجاعة حربية لانظير لها ، وهو من دعاة رفض توغل الاستعمار الفرنسي ، وبالإضافة إليهما هناك مترشحين ثانويين .

بعد استفحال الوضع وتفاقمه تدخل حيينها كما يحدث غالبا عند ما يكون عدم تفاهم في التمعات المغاربية ، اثنتين من رجال الدين يمثلون السلطة الدينية، في دلك العصر غابدين وبكته أق إبراهيم لتسوية النhاع، حيث وضع غابدين مسبحته بين يديه وصاح ستصبحان الاثنان زعيمين في نفس المنصب. و قطع قماش عمامته على نصفين متساويين و ضع لكل منهما قطعة على رأسه. ولكن هذا حل جزئي ومؤقت أكثر من ذلك فقد ظهرت مشاكل أخرى تتعلق بصلاحيات المنصب، أصبح الزعيمان يأخذان الضريبة -توسى- في نفس الوقت ، الى جانب تدخل رجال الدين (غابدين –بكته) وتحريمهم استهلاك التمور الآتية من إن-صالح التي يعتبرونا نجسة من طرف الكفار المحتلين لان صالح ، كما ترددت بعض القبائل حول أي أمنوكال .

لكن مع مرور الوقت استطاع اتسي أق املال حجب نظيره بسرعة ،والتف حوله كيل اهقار لمقاومة التوغل الفرنسي .

1) اتسي أق املال(1900-1904):

إذا هو الابن الأكبر للأخت الصغرى لأمنوكال السابق .



بعد هزيمة تيت 1902 وتكالب الاستطلاع العسكرية وما تبعه من انيارللقوة المعنوية لكيل اهقار ، واستطاعت السلطات الفرنسية أن تتدخل بصفة غير مباشرة لاستغلال الوضعية لصالحها بعد أن أعلنت عدم استعدادها للتعامل مع اتسي أق املال، وأي كان من كيل اهقار ما عدا موسى أق أماستان وعمه الخير .

من هنا طرأ على النظام التقليدي لكيل اهقار تحولا جذري، حيث تم تحويل السلطة من اتسي أق املال الى موسى أق امستان ،وذلك رغم أن أتسى أق املال حي وغير عاجز، إلا أن موسى قد دعمته القوة الاستعمارية لاستمالة السلطان له.

2)- موسى أق امستان (1904 – 1921) : حفيد سيدي أق محمد أق الخير عن طريق البنت الأصغر لهدا الأخير ، وبالنسبة لصالح يقع موسى في الترتيب السابع (الجيل السابع) أما بالنسبة الى كلة فيقع في الجيل الرابع . فهو أبن تاباوت بنت تمطلوست بنت اماهيس بنت كله.

ونظرا للدعم الذي وجده من طرف الفرنسيين، فقد استفادت قبيلته كيل غلا من امتيازات جديدة ، الاستيلاء على ارضي كيل تايتوق الرافضين لتوغل الفرنسي في أبلسة و سيلت . وازداد احتياطهم من الجمال المحصل عليها من غنيمة الحرب على انصار كاويس ، إعادة العلاقات التجارية مع توات وتيديكلت وزندر.

وفي نفس الوقت اعتبر اهقار وحدة جغرافية وادارية تنتمي الى دائرة الأقاليم الصحراوية تحت المراقبة العسكرية الفرنسية لإقليم الواحات وورقلة .

توفي موسى سنة 1921 بطريقة غامضة، لكن كما يبدو لم يطرح إشكال في انتخاب الثلاثة زعماء بعده ، وقد يعود ذلك الى فقدان المنصب لأهميته وحوافزه وانضوائه تحت لواء سلطة أخرى[1].

لكن الاستطلاع العام لهذا الصراع حول السلطة، نلاحظ انه مفتوح لكنه منحصر في إطار نفس الفصيلة ونفس العصية التي لها الغلبة (كيل غلا) ، واستطاعت القاعدة أن تحفظ هذا المنصب في الزمان لصالح نفس العصبية ، وذالك رغم تغلغل الاستعمار في المنطقة وسيطرته على النظام العام للمجتمع اموهاغ ، هذا ما يعني أن الاستعمار الفرنسي استطاع أن يفهم مجتمع اموهاغ بعد دراسة معمقة سمحت له بالسيطرة على النظام الاجتماعي من خلال إخضاع العصبية الغالبة والمسيطرة لإرادته .

النتيجة العامة التي يمكن استخلاصها، هي أن العصبية الحاكمة استطاعت الحفاظ على السلطة رغم التواجد الاستعمار الفرنسي، لكنها فقدت قواتا وهيبتها داخل ا لتمع، هذا ما يظهر بداية تلا شي الوازع الجماعي في نفوس أفراد ا لتمع.

ثانيا) النظام الاقتصادي التقليدي والسيطرة الاستعمارية:

إن تناول موضوع النظام الاقتصادي التقليدي في مضمونه العام يبين لنا انه مبني على التنظيم العرفي المسير له تحت سلطة أمنوكال الذي له قوة الغلبة التي تفرضها قبيلته والقبائل الموالية له وذلك من اجل الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي ، كما نرى ذلك في إطار الكونفدرالية لكن السؤال المطروح هو ماهي وضعية النشاط الاقتصادي في ظل الاحتلال الفرنسي وما هي التغيرات الطارئة عليه

أ)- النشاط الرعوي والرقابة الاستعمارية:

إن الركيزة الأساسية للنشاط الاقتصادي بالنسبة لكيل اهقار هي الرعي، حيث تشكل قطعان الجمال والغنم والماعز مجموع رأس المال، الذي يملكه (إموهاغ) ومجمل استثماراته . وبالتالي فهي تشكل أساس الاقتصاد القومي في اهقار ونميز بين نوعين من النشاط الرعوي .

1 - رعي الجمال : الذي يقوم عليه الرجال الذين يعكفون على رعي الإبل وتربيتها ورعايتها، وكذا وشمها فهم يتنقلون با في المراعي المتاخمة للمخيم، في حالة توفر الكلأ وإرسالها الى مراعي

---

[1]-مرموري حسن: "التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين".مرجع سبق ذكره، ص:103.

بعيدة عن المخيم في حالة حدوث الجفاف في المنطقة، هذا النوع من الرعي لايقتضي المتابعة اللصيقة بل على الراعي أن يستطلع على القطيع مرات متباعدة (مرة أو مرتين في الشهر)، وذالك من اجل مراقبتها ومعرفة أحوالها . وكما تستغل عادة في التنقل وقوافل التجار.

2 - رعي الماشية من الغنم والماعز : الذي يقوم عليه الأطفال والنساء والعبيد، أي أفراد العائلة في المخيم ،حيث أن هذا النوع من الرعي عكس سابقه، يعتمد على المتابعة اللصيقة للماشية حيث نجد إن الرعي يتم نهارا لم العودة بالقطيع مساءا عند غروب الشمس الى المخيم،في ا انتظار موعد الإبكار في اليوم الموالي لإعادة الكرة، لكن هذا الرعي له قواعد عرفية تضبطه وتسيره،حيث نجد في حمى القبائل مناطق يسمح الرعي فيها و استغلالها بيد أن هناك مناطق أخرى يمنع الرعي فيها وتسمى الحبوس، وهناك مناطق مشتركة بين القبائل، وهناك مناطق مشاعة وأخرى خاصة بأمنوكال يسمح للفقراء الرعي فيها.

لم يتأثر النشاط الرعوي بتدخل الاستعمار الفرنسي كثيرا ، خاصة من ناحية التنظيم الداخلي –طريقة الرعي و استغلال الأراضي الحمى حسب البناء الأسري ووظائفه في البناء الأسري قي المجال الرعوي – لكن على صعيد النظام الخارجي عرفت تحركات البدو في اهقار عدة مضايقات وضغوطات مورست عليها من ظرف الجيش الاستعماري الفرنسي ، حيث تمثل ذلك في عدة قوانين ، أولها قوانين الميثاق المبرم مع أمنوكال ، والتي نزلت لقيد حرية البدوي الذي كان لايعرف معنى الحدود بين اهقار وباقي المناطق التي تحيط بها ، كما أصبح اهقار يخضع لضريبة الاستعمارية بإضافة الى توسي التي تعطى لأمنوكال .

ب)- النشاط الزراعي وفرض الضريبة الاستعمارية :

لم يكن أهل اهقار قديما مزارعين في منطقة اهقار على الأقل ، لكن عرفوا المزارعة في مطلع القرن التاسع عشر في المناطق التي استقروا بها ذلك بفضل استعانتهم الأيادي الماهرة من تديكلت وتوات و جانت، ونذكر من بين هذه المناطق التي زرعها اموهاغ بمعية فلاحين أدلس تمنراست وابلسه، تاظروك .

تاظروك التي هي موضوع دراستنا الميدانية ، شهدت المزارعة في عهد أمنوكال احمد أق البكري باستعانته بكرزيكة وكيل توت - كرزيكة الذي يرتبط اسمه بإنشاء تاظروك- حيث كانت طريقة استغلال الأراضي الزراعية تعتمد على نظام الخماسة ، بين صاحب الأرض والفلاح

، حيث يستغل المزارع الأرض وله خمس المحصول والباقي لصاحب الأرض ، أو يكون ذلك بحسب مااتفقا عليه .كما لأمنوكال حق في المحصول حسب النظام التقليدي الذي يفرض على القبائل التابعة لأمنوكال توسي السنوية .لكن ما يمكن أن نستشفه من التغيرات الطارئة لدى الدخول الاستعماري،، هو إخضاع جميع الأنظمة الاجتماعية لسيطرة الاستعمارية .بالإضافة الى فرض الضريبة على الأنشطة الاقتصادية ، كان هناك مصادرة بعض الأراضي الزراعية واستغلال الأهالي للعمل فيها هذا ما نتج عنه الخلط في ملكية الأراضي ، حيث اعتبر المستعمر أن كل الأراضي تحت تصرف السلطة الاستعمارية .

- ج) النشاط التجاري والنظام الجمركي الاستعماري:

إذا كانت الثورة الحيوانية و النشاط الفلاحي ، يشكلان القاعدة الأولى لاقتصاد اموهاغ ان-اهقار ، فان التجارة لها مكانتها أيضا في هذا النظام ، والمدة الأولى في هذه التجاري في الملح ، الذي يشكل حجر الزاوية لتبادلات التجارية في الصحراء الكبرى كلها ، فالتجارة في اهقار عرفت طريقين أساسيين .الطريق الأول نحو الجنوب (السودان) ، والطريق الثاني نحو الشمال (تديكلت وتوات)

- الوجهة نحو الجنوب : في شهر ابريل أو مايو يرسل بعض اموهاغ بخدمهم للعمل في مناجم الملح في منطقة امدغور المتواجدة حاليا في أراضي بلدية إدلس ، لاستخراج الملح وذلك لمدة أسبوعين أو ثلاثة ،وفي شهر يوليو ينقلون كميات الملح على ظهور الجمال ، أين يمرون بمراعي تمسنا لترتاح جمالهم . كما يبدلون بعضهم بجمال أكثر حيوية واشد قوة . ويمضون با في تجاه المراكز التجارية لمدة زمنية تصل نحوى شهرين.ليستبدلوا الملح عن طريق المقايضة بالعديد من البضائع، مثال الذرة الصفراء و ملابس القطن والأحذية الأدوات المنالية والآلات المصنوعة من الحديد الصلب و السلاح والذخيرة.

وفي شهر يناير يعود كيل اهقار الى الشمال ليستريحوا بعض الوقت مرة أخرى في تمسنا ، قبل أن يواصلوا سفرهم الى بلادهم ، حيث يصلون في شهر مايو أو أوائل ابريل .

- الاتجاه نحو الشمال : الرحلات التجارية الأخرى التي يقوم با كيل اهقار، هي اتجاه القوافل الى أسواق تديكلت وتوات .وهي تبدأ من اهقار في شهر يناير أو أوائل ابريل وتنتهي في ابريل ، و في هذه الأسواق يقايض فيها اموهاغ الجمال والغنم والمعز والحمير ومنتجات الألبان مثل السمن و

الجـ، وذلك مقابل التمر والملابس والقطن وأغطية الصوف ،التي تصنع في القرارة وغرداية وبقية المناطق توات وتديكلت .وكذا الشاي والسكر...الخ . كما نجد بعض الرحلات التجارية التي يقوم با كيل اهقار نحو مدينة جانت.

ففي مطلع القرن العشرين أصيب هذا النظام بخلل بسبب الحصار الاستعماري ، المفروض على منطقة اهقار شمالا و جنوبا . ما أدى الى تراجع الحركة التجارية ، خاصة إذا علمنا أن رجال الدين في اهقار قد أصدروا فتوى تحرم المنتجات الزراعية القادمة من إن-صالح ، كونا نجستها الأيادي الاستعمارية . ثم بعد ذلك خضوع كيل اهقار للسلطة الاستعمارية ، التي فرضت بعض القوانين من اجل السيطرة على الحركة التجارية في اهقار . ومن بين هذه القوانين نجد فرض الضريبة موازاة مع دفع توسي لأمنوكال ، فضلا عن تنظيم الحركة التجارية وتنقل القوافل في الصحراء الكبرى ، حيث تعطى تأشيرات العبور ، حيث يحدد فيها تاريخ الذهاب والإياب .

الخلاصة العامة التي يمكن أن نستخلصها من تأثير السياسة الاستعمارية على النظام الاقتصادي هو التحكم والإخضاع للعصبية الحاكمة للسلطة الاستعمارية ، الذي نتج عنه استسلام باقي العصبيات التابعة للعصبية الحاكم ، وخضوع النشاط الاقتصادي التقليدي لسلطة الاستعمارية، ذلك رغم بقاء توسي كضريبية تعطى لأمنوكال ، الذي أصبح قائدا مثل قادة الجيش الاستعماري.لا يمكنه إصدار الأوامر إلا بإذن الاحتلال الفرنسي.

ثالثا)- الحياة الاجتماعية في ظل الاستعمار الفرنسي :

لقد تأثر النظام الاجتماعي لكيل اهقار بتواجد الاستعمار كباقي الأنظمة التقليدية المهيكلة له ،ذلك بظهور عدة مظاهر اجتماعية منها إرغام الأهالي للانخراط في صفوف الجيش الاستعماري " مهاريست " le Mehariste [1]، وكذا العمل في شركات التنقيب والمناجم ، هذا ما أدى الى دخول اموهاغ الى إطار العمل المأجور .أمام هذا كله ، ماهي أهم التغيرات التي ظهرت في الحياة الاجتماعية أبان التواجد الاستعماري ؟

أ)- الأحوال الأسرية:

إن التطرق الى البناء ووظائف الأسرة في مجتمع إموهاغ لايمكن فصله عن البناء القبلي ، لان القبيلة مبنية على التجمع العشائري الذي هو أيضا مبني على اتحاد عائلات ممتدة و متكونة من اسر

[1] -Général (C.R) Pierre Denis : « Hoggar 1958 – 1960 » ; GERARD KLOPP éditeur .p :125.

نواتيه ، هذه العلاقات المبنية على شكل هرمي المتمثلة في الروابط القرابية ، هذه الروابط القرابية محمية ومضبوطة عرفيا، هده القوانين العرفية تساعد شيخ القبيلة أو شيخ العشيرة (أمغار) أو أب الأسرة في فرض السلطة للخضوع و استتباب الأمن والاستقرار داخل الأسرة .

هذا البناء الاجتماعي عرف تأثرات وتحولات إبان خضوع كيل اهقار للاستعمار الفرنسي .خاصة من الناحية الوظيفية لهذا البناء، والتي انعكست على البناء الاجتماعي .

فبإرغام الأهالي على الدخول في الجيش الاستعماري ، حيث أصبح يتقاضى اجر مقابل عمله ، بعد ما كان يلتحم مع جماعة عصبيته لدفاع عن القبيلة أو تلاحم مجموعة قبائل وسعي وراء القوت جماعيا ، هذا ما جعل من الفرد مستقلا اقتصاديا عن مجموعته ،وكان ذلك بداية ظهور الفردانية داخل ا لتمع ، بالإضافة لذلك نجد هناك بعض الأفراد الذين عملوا في مجال التنقيب في الشركات الاستعمارية ، مثل تلك المتواجد في انيكر كحراس أو عاملين في البناء أو الحفر ...الخ. هذه ا الات أجبرت العديد من الشباب للهجرة الى هذه المناطق ، تاركين وراءهم أهاليهم ،ذلك ما فتح أمامهم فرصة الاحتكاك بالأشخاص الآخرين ، القادمين من الشمال ومن منطقة توات وتديكلت وكذا مع الفرنسيين أنفسهم ، هذا ما اكسبهم الخبرة في العديد من ا الات منها البناء والسباقة ...الخ.

من هنا نستنتج أن أهل تاظروك بعد الاستعمار طرأت عليهم عدة تحولات أثرت على البناء الاجتماعي لديهم ، الذي كان موجها للالتحام وتماسك داخل القبيلة انطلاقا من الأسرة ، حيث كان نمو الوازع الذاتي الذي توجهه الدوافع الاقتصادية المبنية على الأجر ، الذي يتحصل عليه العامل في مكان عمله ، وكان نتيجة ذلك ظهور الأسر النواتية المستقلة اقتصاديا عن العائلة الممتدة ، لكن ما يمكن ملاحظته هو أن الروابط القرابية والاجتماعية بقية موجودة ، حيث نراها جليا في التضامن ، الزيارات العائلية والتجمع في بيت الجد أو الأب الأكبر كل يوم ، وفي أيام الأعياد على الخصوص .

النتيجة التي توصلنا إليها هنا هي أن الروابط الاقتصادية داخل البناء الاجتماعي، شهدت في العهد الاستعماري نوعا من التحولات ، منها ذاك التفكك الذي عرفته هذه الأخير، نذكر على سبيل المثال ظهور العمل المأجور والابتعاد عن الرعي و الترحال التي كانت العمل الملازم و السياسي له وأصبح بنسبة له عملا ثانويا يلتجأ إليه عند عودته للمخيم. بينما الروابط الاجتماعية بقية متماسكة مشكلة التلاحم الاجتماعي داخل البناء الاجتماعي ، هذا ما نلاحظه حتى في

وضعية القصور في تاظروك وتوضع المنازل على شكل مجموعات ، هذه المجموعات لها روابط قرابة اجتماعية قوية لم تستطع القوات الاستعمارية تفكيك هذا التلاحم بل زاد في التماسك بسبب اعتبار الاستعمار الفرنسي ماهو إلا تدخل استعمار للعقيدة الكفار والملحدين هذا ما نجده في كلامهم قائلين "إكوفار" يعني لا يصفونهم إلا بالكفر.

ب)- التضامن الاجتماعي:

لقد توصلنا فيما سبق الى أن التواجد الاستعماري في تاظروك ، لم يؤثر على البناء الاجتماعي بقدر ما اثر في النظام الاقتصادي بل زاد من قيمة الالتحام الاجتماعي داخله ، حيث نجد العديد من المظاهر الاجتماعية تعبر عن التضامن الاجتماعي في المجتمع .

ففي أيام الحصاد نجد أن الأهالي يقومون به جماعيا ، حيث يدعوا صاحب البستان معارفه لمساعدته في الحصاد وفصل حبوب القمح عن السنابل بطريقة تقليدية ، حيث يصنع من الطين حفرة على شكل صاع لتوضع فيها السنابل من القمح أو الشعير ، وتقوم النساء بدرسها بعصي من الخشب من اجل فصل الحبوب عن السنبلة (تفكيك السنابل)، ثم يتم رفعه نحو الأعلى للتخلص من القشرة التي لافائدة منها وتستعمل عادة غذاء للحيوانات ، ثم يتحصل في الأخير على حبوب القمح ويتم وضعه في الأكياس في نهاية المطاف تقوم المرأة صاحبة البستان بإعطاء زميلاتها حفنات من القمح مقابل مساعدتها في العمل ويمثل هذا التضامن تجنى حتى المحاصيل الزراعية .

ويعتبر كذالك" البريح" احد مظاهر التضامن الذي يقوم به الرجال سواء كان ذلك في البساتين أو في بناء المنازل ، حيث يعلن صاحب البستان أو المنزل أمام الملأ انه ينوي مثلا القيام "بالبريح" ،وهي كلمة عربية مشتقة من برح أي قام بالإشهار وغدا صباحا يتوافد الأهالي إلى مكان البريح للعمل دون مقابل ، حيث يتكفل صاحب الحاجة بإطعامهم ويكون ذلك على شكل وليمة .

هذه الظاهرة وأخرى نلاحظها منتشرة في مجتمع تاظروك ، والتي شهدت امتدادا حتى الآونة الأخيرة رغم تراجعها تدريجيا في العشرينية الأخيرة.

المظاهر أخرى هي مظاهر عرفها اماهم بعد استقراره في مدينة تاظروك، واحتكاكه ببقية المجتمعات خاصة الأفراد القادمين من تيديكلت –ان صالح- حيث حدث بينهم اندماج اجتماعي، أدى الى ظهور مجتمع جديد من ميزاته التحدث بالتماهق ولباس إموهاغ ، أي أن الوافدين من

أهل تديكلت وتوات اضمحلوا في مجتمع اموهاغ واصبحو منهم، أما فيما يخص البدو منهم فمظاهر التضامن لديهم باقية على حالها، حيث نجد أصحاب الماشية منهم يعيرونا للفقراء من اجل حلبها لأطفالهم .....الخ.

خلاصة القول هو أن اموهاغ في تاظروك استطاعوا التمسك بقيمهم الاجتماعية التضامنية،ذلك رغم الحملات الاستعمارية الساعية لتفكيك البناء الاجتماعي لهم ومحاولة ترقيتهم وعصرتنهم بالمفهوم الفرنسي . هذا التماسك عبر عنه سكان تاظروك في العديد من المظاهر التضامنية تعبر عن تماسكهم وتلاحمهم ضد الجوع وتشرد في ظل الأوضاع الاستعمارية المتأزمة.

رابعا) -المظاهر الثقافية والسياسة الاستعمارية:

إن الأنظمة الاجتماعية في منظورها الشمولي تشكل نظاما اجتماعيا واحدا متماسكا من حيث البناء والوظيفة، حيث يتأثر أحداها بباقتيها فبإخضاع السلطة التقليدية للاستعمار الفرنسي، انعكس ذلك على جميع الأنظمة الاجتماعية المكونة للمجتمع.من هنا إذن ماهية أوجه التأثير على النظام الثقافي ؟ .

أ) دور المدرسة القرآنية في الحفاظ على القيم الاجتماعية:

يعتبر التعليم ضروريا وحتميا من اجل تطويرا الحركة الفكرية والعلمية لدى أي مجتمع كان.وعنصر أساسيا في تنظيم وترقية الأفراد سلوكيا وحضاريا، فالمدرسة القرآنية في مجتمع اموهاغ لها مكانتها الاجتماعية ، لما تلعبه من دور في ترقية الفكر العقائدي للمجتمع . هذا ما تترجمه مكانة الإسلام في حياة اماهη . وما تعكسه مكانة الطالب[1]الذي يحضا بمكانة مرموقة في ا لتمع لما يحمله من علم وما يقوم به من دور داخل ا لتمع من فض نزاعات وعقد زواج وتقديم الفتوى لسائلين وتعليم الأطفال.

لقد امتاز النظام القبلي بالوجود الدائم لدور المدرسة القرآنية كركن من أركان هذا البناء، حيث نجد غالبا لكل قبيلة متنقلة أو مستقرة معلم "أطالب" مكلف بتلقين الأطفال القران والحديث الشريف والفقه والمƒ والتوحيد....الخ. هذا التلقين يتم عن طريق الكتاتيب، حيث تعتبر بيت المعلم أو خيمته منبرا له يدرس فيه ويقدم الخدمات منه. أو في المسجد.

[1]-الطالب : هو الاسم الذي يطلقه اموهاغ على معلم القران في المدرسة القرآنية .

في التدريس تستعمل أدوات بيداغوجية تقليدية عند معلمي القران لدى إموهاغ ، نذكر من بين هذه الأدوات" ألوح" مصنوع من الخشب الذي يستخلص من أغصان الشجر المحلي ، يقوم الحداد "الحرفي " بصنعه ونقشه . كما يصنع القلم من عود القصب ، أما الحبر فيصنع من الفحم المترسب على الصفيحة الحجرية المستعملة لصنع الخبز ، حيث يوضع الفحم "الوش" في قارورة واسعة الفتحة مع شعر المعز الأسود و الماء ويضاف إليها عادة مستخلص النسخ الكامل لشجر الطلح ، كما يضاف لها السكر من اجل تعقيد السائل . هذا عن الأدوات البيداعوجية .

أما عن أحوال التعليم في المدرسة القرآنية في تاظروك، فيمكننا أن نتناولها من حيث التوزيع القبلي لها ، اين نجد أن هناك لكل قبيلة معلما أو مجموعة من معلمين يدرسون القران كما يحاطون بمكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي ، ذلك لما يحملون من العلم المقدس ، وما يقومون به من أعمال وما يلعبونه من دور داخل ا لتمع من نشر معرفة، والفصل في القضايا والنزاعات ، وعقود الزواج ، الأشراف على الولائم والجنائز .

بالنسبة لقبائل "اغرم" المستقرة في وسط مدينة تاظروك ، نجد أطالب خامه الذي جاء به كرزيكة سليمان من ازجر . وأثناء استيطانه في تاظروك عكف على تعليم القران في مجاله ، وقد علم أجيالا وأجيال ، استمر في التعليم حتى أواخر عمره . وخلفه في ميدان التعليم أولاده مع العديد من حفظة القران منهم صابرة محمد ،و دحيمي محمد ،و كرزيكة لحسن لدى ايت لواين المستوطنين، في حي تبركاتين البعيد عن المدينة 7 كلم تقريبا ، و زماكي محمد وهم عاكفون على التدريس حتى الآن .

أما بالنسبة لقبائل إسقمارن المستوطنون في تبيربيرت ، فنجد قبيلة دادوعلي التي توارث أبناءها التدريس و أمور الدين و الدنيا لدى قبائل إسقمارن حتى يومنا هذا .

أما عن مقابل هذه الخدمة الدينية والدنيوية التي يعكف عليها هؤلاء المدرسون هو تقدم الماشية والإتيان لهم بالحطب والحليب ومشتقاته والهدايا، حيث يقوم المتمدرسين بجمع الحطب كل يوم والإتيان بها الى بيت المدرس كل مساء ،وكذا تقد يم الهدايا كل ما بلغ المتمدرس مرتبة في قراءة القرآن، إما بالنسبة لختم الأحزاب فكلما ختم التلميذ حزبا صنع له أهله وليمة صغيرة يتم تناولها في (اقربيش)[1].

1- اقربيش : هو المكان الذي يدرس فيه التلاميذ القران أو ما يعرف الآن بالمدرسة.

. ب)- الأدب الشفوي و تأثره بالتواجد الاستعماري :

إن التحدث عن الأدب الشفوي يجرنا إلى الكلام عن مكانة الأدب الشفوي في المجتمع ، حيث تعتبر المنافذ الأدبية قنوات لتعبير عن الشعور الذي يثلج صدور معبريه لذا كان الشعر و القصة و الحكمة و الأمثال ، أوجه الأدب الشفوي المتناقل بين مجتمع إموهاغ كونه يحمل الإرث الاجتماعي ، و كذا الحوادث التاريخية .

و لكن رغم احتفاظ الذاكرة بالكثير من المنتوج الاجتماعي إلا أنه يشهد اختفاء في الآونة الأخيرة لاهتمام الأجيال الحديثة بدراسة و بمظاهر العصرية و في هذا الإطار يجرنا الحديث عن أهم التغيرات الطارئة على الأدب الشعبي الشفوي إبان الاستعمار الفرنسي من الناحية الفكرية و كذا اللغوية.

فمن الناحية الفكرية فبعد أن كان إموهاغ ينشغلون بانتصاراتم و أفراحهم و أقراحهم ، و كذا تمجيد الشجاعة و الكرم و النبل والإباء ، و التغني بالحب الذي يحس إحساسا صادقا نقيا كثيرا ما يتجاوز المتعة الحسية، و يتخذ أبعادا روحية صافية ، كل هذا نجده في الأفكار التي يحملها الشعر الملحون منه و الغير الملحون .

ونظرا للمكانة التي يمتاز بها الشعر الملحون عند اموهاغ ، اعتبره السعيد القشاط ، كالأكل والشرب . لا يستغنون ولا يقلعون عنه .

فاماهη يغني في بيته، وفي الطريقة لجلب الماء ، ولسقي الحيوانات وفي صحرائه ، وهو يمتطي ظهر جمله . يتغنى ليطرد الملل والنعاس في ليالي الصيف الرطبة ، حيث يحلوا لهم السير بعد يوم من الحر القائظ .كما هو الحال بالنسبة للمرأة[1] .

ينضم إموهاغ الشعر حسب الضر وف والأحوال فهناك رسا ئل شعرية تنقل أنباء الحروب ، وأخرى يتغنى فيها بالحبيب ، والبعض الآخر ينظم شعره على الحياة اليومية وقساوة الطبيعة .

فبعد خضوع المنطقة للاستعمار الفرنسي، ظهرت عدة تغيرات في المواضيع واللغة هذه التغيرات نستشفها في الأشعار التالية:

الـاهدڨ ينصرتن يا ! يكناسن دغ النور اسلسه   نانيƒ دغ ايظس دينننسى إوارتن النوريرغى

الـاهدون ينصرهم ا ! وسيصنع لهم من النور الملابس   نراهم في النوم و كأنم نورا ضاوي

[1]- محمد سعيد القشاط : " التوارق " ، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء . ليبيا، ص:151.

وهناك بيت شعري آخر هو:

يا ! تنيجدي دغ إهنج ايسواغ إمران وين ترج

اللهم نجيني من العدو الظالم هؤلاء أهل تارقى

هذه الأبيات و أخرى توحي بأن الشعراء إموهاغ قد استنفروا من وضعهم ومن الاستعمار الغاشم

ج)- ظهور التعليم الحديث ومحاولة غرس الثقافة الفرنسية :

كان إموهاغ يدرسون أطفالهم في الكتاتيب ليلا ، ذلك بعد انتهائهم من أدوارهم الاجتماعية ،من رعي وجمع الحطب وكذا العمل في الحقول ، ويتم ذلك بالجلوس حول النار- التي جمعوا من اجلها الحطب – لدراسة بنورها ، ويقوم المعلم بتلقينهم القران والحديث والف والفقه ، هذا عند المستقرين أو الماكثين بمكان ما ، أما في حال الترحال يتنقل المعلم مع تلامذته من اجل تعليمهم ، ذلك لممارسة حياتم اليومية نارا وتدارس القران مع المعلم ليلا . حتى أتى الاستعمار بفكرة تعليم الأطفال في المدارس الفرنسية .لكن السؤال المطروح ،ماهي السياسة الاستعمارية لنشر التعليم الحديث ؟ وكيف واجه اموهاغ هذه السياسة ؟

إن الحديث عن ظاهرة التمدرس في النظام المدرسي الحديث إلى: في المدرسة الحديث يمكن تقسيمه الى قسمين : في حين التواجد الاستعماري الفرنسي ، وما بعد الاستقلال .

1- التعليم في عهد الاستعمار الفرنسي:

لقد سخر الاستعمار الفرنسي طاقات كبيرة من اجل نشر الثقافة الفرنسية (لغة وتاريخا وآدابا...) .ذلك بإحداث أقسام مدرسية بدوية منذ سنة 1947.تقوم على أساس تنقل المعلم مع المخيم دون فصل التلميذ عن مجتمعه الأصلي.

كانت اول خيمة في قرية تاظروك (المركز الزراعي) سنة 1958 ، حيث قام المسيحي لويس بيلات بجهود كبيرة من اجل إقناع الأهالي في تاظروك، سوى أكانوا مستقرون في المركز الزراعي أوهم بدو رحل في شعاب الوديان المتاخمة لتاظروك ، لكن هذه الجهود لم تثمر إلا القليل من حيث استجابة الأهالي ، الذين اعتبروا المستعمرين كفار لا يجب إتباعهم ، بل لا يجوز بعث الأطفال الى مدارسهم مخافة دخولهم في ملة الكفر ، لكن المستعمر لمعرفته ودراسته لهذا المجتمع عرف كيف يحسم الأمر لصالحه ، باعتماده على إقناع القوة الحاكمة على هذا المجتمع والمتمثلة في العصبية الغالبة المتجسد في شخص أمنوكال "بأي" الذي بعث في سنة 1959 الى كل رئيس قبيلة

"أمغار " لبعث بطفلين من اجل الدخول في المدرسة الفرنسية ،كان هذا الأمر الإجباري المفروض قد كانت له نتيجة في البداية ، حيث طبق الأمر كما طلبه أمنوكال ، لكن بعد الاستقلال تراجع حيث عزف العديد من المتمدرسين عن الدراسة ، فما واصل الا القليل منهم ، هذا مايدل على أن دخولهم الى الدراسة إلا امتثالا لأوامر أمنوكال ،وليس اقتناعا بأهمية الدراسة .

لكن بعد الاستعمار لم تتخلى الدولة الجزائرية عن نفوذ أمنوكال ، حيث تم اعتماد تمثيله في المجلس الوطني ، أما على مستوى التعليم ، فقد كانت سياسة الدولة محاولة إقناع المجتمع في اهقار ، واعتمده في ذلك سلطة أمنوكال القاهرة لإجبار الأهالي لأجل إدخال أبنائهم –خاصة البدو و الرحل منهم –في النظام الداخلي ، و من اجل ممارسة حقهم في الدراسة ، حيث تم فتح أقسام الطور الأول في تاظروك بنسبة لتلاميذ المستقرين ، أما البدو منهم فتم بعثهم الى داخلية أدلس ، ثم بعد ذلك تم توجههم فيما بعد الى داخلية تمنراست.

2- أما عن تطور التعليم في تاظروك فيما بعد الاستقلال فيمكننا تقسيمه الى ثلاثة أقسام :

- الفترة الأولى تمتد من 1962 الى سنة 1979 م:

في هذه الفترة كانت الدراسة تتم في الأقسام التي أنشاها الاستعمار الفرنسي، حيث كان يدرس فيها الأولى ابتدائي والثانية حتى الثالثة. فبنسبة لبقية الأطوار الباقية فتوجه الى الداخلية في مقر الولاية بتمنراست ، وكان يشرف على التدريس رجل مسيحي اسمه ميشيل MICHEL لتعليم الفرنسية مع وافدين من الشمال الجزائري لتعليم العربية ، ما يلاحظ في هذه الفترة أن القليل من التلاميذ من واصل الدراسة خاصة الفتيات ، حيث تم إخراجهن من مقاعد الدراسة لعدم وجود داخلية للبنات في مقر الولاية ، إضافة الى الذهنية الاجتماعية التي ترى أن لا أهمية في تعليم البنات في ذلك الوقت .

- الفترة الثانية (1979 الى سنة 1987) :

هذه المرحلة عرفت انجاز اول مدرسة ابتدئيه (1979 1980) المسماة حاليا مدرسة بكته بن إبراهيم من ذلك الحين تعمل المدرسة بستة أفواج تربوية وتعمل بنظام الدوام الواحد مع زيادة عدد المتمدرسين فيها أصبح حظ الفتاة في الدراسة متوفر حتى بلوغ مستوى السادسة مع إرسال تلميذة واحدة الى مقر الولاية سنة 1986 وذلك لوجود أهلا لها في ولاية تمنراست حيث تعتبر ولية أمرها في الولاية عضو في النساء الجزائريات التي عملت على أقناع أهل الفتاة بضرورة الدراسة وفي

سنة 1987 تزايد عددهن حيث تم إرسال اثنتين منهن الى اكمالية إدلس وثلاثة الى ولاية تمنراست قد يكون هذا بداية كسر عقدة حجب الفتيات عن الدراسة .

- الفترة الثالثة(1987 الى سنة 2006) :

بداية هذه الفترة عرفت فتح ملحقة لإكمالية أدلس في مدرسة بكته بن إبراهيم ، حيث تم فتح قسمين السنة السابعة والثامنة ، حيث تم إرجاع التلاميذ الدارسين في أدلس لفتح قسم الثامنة بعدد 14 تلميذ ، أما الصاعدين الى السابعة ، فكان عددهم 25 عدد الفتيات ، وكان 12 وعدد الفتيان 13 هنا نلاحظ أن حظ الفتاة في الدراسة بدء في التزايد . في سنة 1992 استقلت اكمالية تاظروك عن اكمالية أدلس ، وأصبح لها مركز مستقل عن ابتدائية بكته بن إبراهيم ، رغم عدم اكتمال البناء في المركز لقد زاول التلاميذ دراستهم فيها، ما نلاحظه هنا هو رغم ارتفاع مستوى دراسة الفتاة في الاكمالية ، إلا أن إمكانية إرسالها الى مقر الولاية ضئيل ، حيث أن التلميذات المحظوظات هن اللواتي لهن أقاربن في مقر الولاية ، هذا ما يدل أن العائق أمسى أكثر من ما هو خلفية ذهنية لذا نلاحظ ان هناك من التلميذات اللواتي يعدن السنة التاسعة رغم انتقالهن الى الطور الثانوي ، الى جانب ذلك عدم وجود مركز تكويني مهني يساعدهن على الاندماج في الأوساط المهنية في ظل هذه الظروف المتنامية نمو ضعيفا استطاع القليل من هؤلاء التلاميذ اجتياز المرحلة الثانوية وبلوغ المقاعد الجامعية ، حيث توجه العديد منهم الى مراكز التكوين في مستوى التاسعة لضفر بماهرات مهنية مثل(مكانيك السيارات –الكهرباء – النجارة – الصحة ....الخ). والبعض الأخر منهم من سجل نفسه في المعهد التكنولوجي لتكوين المعلمين.

في سنة 2003 فتحت أبواب الثانوية لتتابع الفتيات الدراسة فيها ، هناك من انقطعن عن الدراسة من قبل تم إدراجهن لمتابعة الدراسة سنة بعد ذلك ،كان اول مركز للباكلوريا فكان عدد الناجحين فيها 16 من 22 اكبر نسبة على مستوى الولاية .

رغم كل هذه التطورات التي عرفها قطاع التعليم الا انه لا يخلو من المشاكل منها نقص الماطرين واستبدالهم بمستخلفين بالإضافة الى عدم وجود مستشارين نفسانيين وكذالك مشكل التسرب المدرسي .

خلاصة القول أن الاستعمار الفرنسي وبعد استقلال الدولة الجزائرية ، اعتمد على العصبية الحاكمة في اهقار لإخضاع أهل اهقار لتدريس أبنائهم ، لكن هذا الاعتماد تراجع مع تزايد

إمكانيات الدولة الجزائرية في إيصال الهياكل التعليمة الى كل المناطق الحضرية والريفية من اجل تمكين الشعب الجزائري كله من التعليم .

أما عن السياسة الاستعمارية من اجل غرس الفكر الكولوني ، لم تتمكن من ذلك وذاك راجع الى الفكرة المغروسة مسبقا هي أن هؤلاء القوم هم كفار، فكل ماهو ات منهم فهو يحمل أفكار إلحادية لذا فإن كل من درس لديهم قد يتأثر بأفكارهم الإلحادية . ورغم ذلك فقد تعلم العديد من أبناء تاظروك على أيديهم ،وكذا اكتسابهم اللغة الفرنسية لكن الثقافة الفرنسية لم تنعكس على تصرفاتهم .

- ملخص الفصل:

لقد كان للاستعمار الفرنسي تأثيرات سلبية على النظام الاجتماعي لاموهاغ ، حيث أدى ذلك الى الحيلولة دون السير الطبيعي للتغيرات الحاصلة في نظامهم ، خاصة عند استقرارهم في المناطق الريفية قائمين على الزراعة ،فكان التدخل الاستعماري فيها قد أدى الى خضوع السلطة التقليدية للقوة الاستعمارية ، منذ اضمحلال سيطرتها على النظام الاجتماعي هذه الأوضاع المزرية ورثتها الدولة الجزائرية بعد الاستقلال لكن السؤال المهم طرحه هو ماهي السياسة التي وضعتها الجزائر من اجل السيطرة على الأوضاع الاستعمارية ؟ وما هي التدابير التي اتخذتها من اجل استيطان البدو إموهاغ في تاظروك ؟.

- ملخص الفصل :

في هذا الفصل قمنا بتناول الإطار العام لتاظروك ، من الجانب الطبيعي الديموغرافي و الأصول الاجتماعية لسكانا هذا التقديم يتشى لنا معرفة البنية الطبيعية للمنطقة ، وكيف أثر على البناء الاجتماعي وكذا البناء الاجتماعي وكيف تم الاندماج بين مختلف القبائل ،وماهية الروابط التاريخية التي تربطهم هذه المعطيات تسمح لنا بتناول التغيرات أطارئة على المجتمع بعد استقراره في تاظروك .

الفصـــل السادس

السلطة الاستعمارية والنظام الاجتماعية التقليدي.

تمهيـــد : لقد تطرقنا في الفصول السابقة بنوع من العمومية لموضوع السلطة التقليدية لاموهاغ ، وكدا الدخول الاستعماري الفرنسي لموطنهم هدا سواء كان تحليلا تاريخيا للإحداث ، أما في هذا الفصل فنحاول دراسة هده الوقائع التاريخية تحليلا خلدونيا ، حيث نحاول ان نبين كيف تمت السيطرة على العصبية والقيادة ؟و كيف تم توجيه الرياسة من طرف السلطات الاستعمارية؟و ماهي أهم التحولات التي حدثت اثر ذلك؟.

أولا - خضوع السلطة التقليدية للاستعمار الفرنسي :

أ- السلطة قبيل الاستعمار الفرنسي:

إن المنظور العام للنظام الهيكلي لـتمع إموهاغ هو مبني على البناء القبلي ، الذي قاعدته الأسرة ويرأسه أمغار رئيس القبيلة، الذي هو مصدر الرياسة المبنية على أساس الترابط والتلاحم بين أفراد القبيلة الواحدة،حيث تربط بينهم الروابط القرابية المبنية على النسب القريب بالإضافة الى الروابط ا لاجتماعية التي تتمثل في ضوابط اجتماعية تتحكم في حياتم ، هذا كله يدخل تحت إطار المدلول الخلدوني للعصبية الخاصة ، أما تلاحم بين مجموعة القبائل مشكلة الـتمع الأم الكونفدرالية، والتي يرأسها أمنوكال (الملك) بالسلطة والقهر، فهي تلاحم تلك العصبيات الخاصة التي تحكم وتربط بينها المصالح العامة وكما تقوم على النسب البعيد .

هذه السلطة المطلقة التي كانت لدى أمنوكال الناتجة عن الولاء المطلق من طرف القبائل ولا وجود ليد قاهرة فوق أمنوكال، جعلت من الوضع السياسي لمنطقة اهقار مستقرا، حتى مطلع القرن العشرين .وفي هذه الفقرات نحاول إظهار حالة تاظروك في ظل سلطة تقليدية في الفترة الزمنية ما بين (1850-1904) ، أي من تولى أمنوكال الحاج احمد أق الحاج البكري الحكم، الى غاية تولي أمنوكال اتسي أق املال.

1-الحاج احمد أق الحاج البكري (1850-1877) :

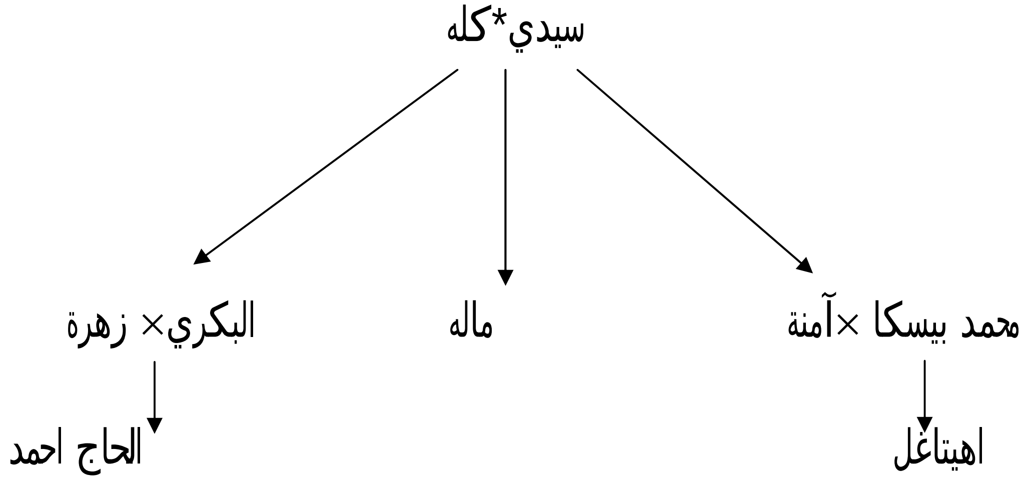
إن توكيل الخلافة للحاج احمد أق الحاج البكري رغم حياة خاله أق مامة،الذي تقدم به السن وهرم وأصبح عاجزا لكن لم يعترفا به رسميا الا بعد وفاه أق مامة.

لكن رغم كل هذا فان عند تنصيبه رسميا بعد وفات أمنوكال فانه يمكن أن يتم إعادة النظر في تنصيبه ,في حاله ما إذا تقدم احد المرشحين المنافسين، لكن ما حصل أن تعزيز مكانة الحاج احمد قبل وفاة أمنوكال قد مكنت من تدعيم جميع القبائل وإسكات جميع المنافسين لان قوه العصيبة الحاكمة رجحت الكفة له.

في هذه المرحلة شهدت منطقه تاظروك انتعاش الزارعة فيها، وبناء اول منازل لهم والمتمثلة في الدهاليز المحاذية للبساتين .

2- اهيتاغل أق محمد بيسكا (1877-1900):

وهو ابن خال الحاج احمد أمنة البنت الثالثة لكلة بينما كان الحاج احمد ابن البنت الأولى :



في حكمه لم يشهد ولم يذكر أن عرفت منطقة اهقار أية اضطرابات سياسية، أما بالنسبة لتاظروك فعرفت ازدهارا اجتماعيا واقتصادي الذي تمثل في اتساع رقعة الزراعة عند قبائل اليدوية التي كانت ترعى في المناطق المتاخمة لواد تاظروك، والتي أعتمد في مزارعها علي اليد الخبيرة من توات وتديكلت واغلبهم الحراطين وآخرون من كيل جانت.

هذا ما أظهر شريحة جديد من المجتمع، وهي شريحة المزارعين ((الخماسة)) ، حيث أنهم يعملون بنظام الخماسة لدى أصحاب الأرضي من البدو.

خلاصة القول أن نظام اموهاغ في اهقار قبيل الاستعمار هو نظام قبلي امومي أي هدا مسار نسوى امومي فيما يخص السلطة ، وتحكمه العصبية الحاكمة لقبيلة إهقارن من كيل تايتوق،والتي لا ينازعهم فيها أحد .

ب)- السلطة التقليدية إبان الاحتلال الفرنسي:

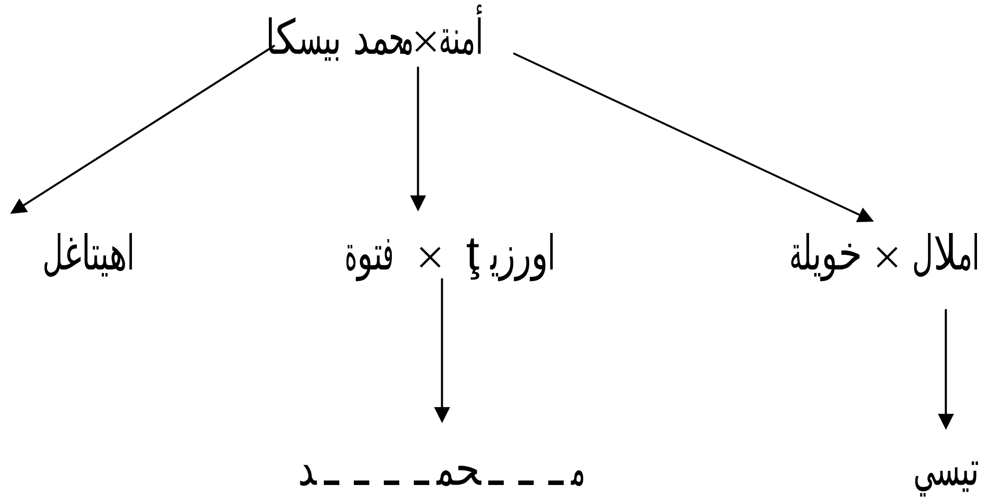
لقد عرفت السلطة في اهقار بعد اهيتاغل خلافا في من يتولى الخلافة بعد وفاته ، نزاعا بين الأفراد الذين من حقهم السلطة وهم محمد أق اورزيق ابن الأخت الكبرى لهيتاغل ، وهو أول المرشحين حسب القاعدة ، ولكنه كان مسننا وبدون نفوذ ، وكان معه اتسي أق املال وخويلة الأخت الصغرى لاهيتاغل ،هو المرشح الثاني وكان أقل سنا من محمد اورزيق لكنه أكثر ديناميكية وذو مبادئ ثابتة وشجاعة حربية لانظير لها ، وهو من دعاة رفض توغل الاستعمار الفرنسي ، وبالإضافة إليهما هناك مترشحين ثانويين .

بعد استفحال الوضع وتفاقمه تدخل حيينها كما يحدث غالبا عند ما يكون عدم تفاهم في التمعات المغاربية ، اثنتين من رجال الدين يمثلون السلطة الدينية، في دلك العصر غابدين وبكته أق إبراهيم لتسوية النزاع، حيث وضع غابدين مسبحته بين يديه وصاح ستصبحان الاثنان زعيمين في نفس المنصب. و قطع قماش عمامته على نصفين متساويين و ضع لكل منهما قطعة على رأسه. ولكن هذا حل جزئي ومؤقت أكثر من ذلك فقد ظهرت مشاكل أخرى تتعلق بصلاحيات المنصب، أصبح الزعيمان يأخذان الضريبة -توسى- في نفس الوقت ، الى جانب تدخل رجال الدين (غابدين –بكته) وتحريمهم استهلاك التمور الآتية من إن-صالح التي يعتبرونا نجسة من طرف الكفار المحتلين لان صالح ، كما ترددت بعض القبائل حول أي أمنوكال .

لكن مع مرور الوقت استطاع اتسي أق املال حجب نظيره بسرعة ،والتف حوله كيل اهقار لمقاومة التوغل الفرنسي .

1) اتسي أق املال(1900-1904):

إذا هو الابن الأكبر للأخت الصغرى لأمنوكال السابق .



بعد هزيمة تيت 1902 وتكالب الاستطلاع العسكرية وما تبعه من انيارللقوة المعنوية لكيل اهقار ، واستطاعت السلطات الفرنسية أن تتدخل بصفة غير مباشرة لاستغلال الوضعية لصالحها بعد أن أعلنت عدم استعدادها للتعامل مع اتسي أق املال، وأي كان من كيل اهقار ما عدا موسى أق أماستان وعمه الخير .

من هنا طرأ على النظام التقليدي لكيل اهقار تحولا جذري، حيث تم تحويل السلطة من اتسي أق املال الى موسى أق امستان ،وذلك رغم أن أتسى أق املال حي وغير عاجز، إلا أن موسى قد دعمته القوة الاستعمارية لاستمالة السلطان له.

2)- موسى أق امستان (1904 – 1921) : حفيد سيدي أق محمد أق الخير عن طريق البنت الأصغر لهدا الأخير ، وبالنسبة لصالح يقع موسى في الترتيب السابع (الجيل السابع) أما بالنسبة الى كلة فيقع في الجيل الرابع . فهو أبن تاباوت بنت تمطلوست بنت اماهيس بنت كله.

ونظرا للدعم الذي وجده من طرف الفرنسيين، فقد استفادت قبيلته كيل غلا من امتيازات جديدة ، الاستيلاء على ارضي كيل تايتوق الرافضين لتوغل الفرنسي في أبلسة و سيلت . وازداد احتياطهم من الجمال المحصل عليها من غنيمة الحرب على انصار كاويس ، إعادة العلاقات التجارية مع توات وتيديكلت وزندر.

وفي نفس الوقت اعتبر اهقار وحدة جغرافية وادارية تنتمي الى دائرة الأقاليم الصحراوية تحت المراقبة العسكرية الفرنسية لإقليم الواحات وورقلة .

توفي موسى سنة 1921 بطريقة غامضة، لكن كما يبدو لم يطرح إشكال في انتخاب الثلاثة زعماء بعده ، وقد يعود ذلك الى فقدان المنصب لأهميته وحوافزه وانضوائه تحت لواء سلطة أخرى[1].

لكن الاستطلاع العام لهذا الصراع حول السلطة، نلاحظ انه مفتوح لكنه منحصر في إطار نفس الفصيلة ونفس العصية التي لها الغلبة (كيل غلا) ، واستطاعت القاعدة أن تحفظ هذا المنصب في الزمان لصالح نفس العصبية ، وذالك رغم تغلغل الاستعمار في المنطقة وسيطرته على النظام العام للمجتمع اموهاغ ، هذا ما يعني أن الاستعمار الفرنسي استطاع أن يفهم مجتمع اموهاغ بعد دراسة معمقة سمحت له بالسيطرة على النظام الاجتماعي من خلال إخضاع العصبية الغالبة والمسيطرة لإرادته .

النتيجة العامة التي يمكن استخلاصها، هي أن العصبية الحاكمة استطاعت الحفاظ على السلطة رغم التواجد الاستعمار الفرنسي، لكنها فقدت قواتا وهيبتها داخل ا لتمع، هذا ما يظهر بداية تلا شي الوازع الجماعي في نفوس أفراد ا لتمع.

ثانيا) النظام الاقتصادي التقليدي والسيطرة الاستعمارية:

إن تناول موضوع النظام الاقتصادي التقليدي في مضمونه العام يبين لنا انه مبني على التنظيم العرفي المسير له تحت سلطة أمنوكال الذي له قوة الغلبة التي تفرضها قبيلته والقبائل الموالية له وذلك من اجل الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي ، كما نرى ذلك في إطار الكونفدرالية لكن السؤال المطروح هو ماهي وضعية النشاط الاقتصادي في ظل الاحتلال الفرنسي وما هي التغيرات الطارئة عليه

أ)- النشاط الرعوي والرقابة الاستعمارية:

إن الركيزة الأساسية للنشاط الاقتصادي بالنسبة لكيل اهقار هي الرعي، حيث تشكل قطعان الجمال والغنم والماعز مجموع رأس المال، الذي يملكه (إموهاغ) ومجمل استثماراته . وبالتالي فهي تشكل أساس الاقتصاد القومي في اهقار ونميز بين نوعين من النشاط الرعوي .

1 - رعي الجمال : الذي يقوم عليه الرجال الذين يعكفون على رعي الإبل وتربيتها ورعايتها، وكذا وشمها فهم يتنقلون با في المراعي المتاخمة للمخيم، في حالة توفر الكلأ وإرسالها الى مراعي

---

[1]-مرموري حسن: "التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين".مرجع سبق ذكره، ص:103.

بعيدة عن المخيم في حالة حدوث الجفاف في المنطقة، هذا النوع من الرعي لايقتضي المتابعة اللصيقة بل على الراعي أن يستطلع على القطيع مرات متباعدة (مرة أو مرتين في الشهر)، وذالك من اجل مراقبتها ومعرفة أحوالها . وكما تستغل عادة في التنقل وقوافل التجار.

2 - رعي الماشية من الغنم والماعز : الذي يقوم عليه الأطفال والنساء والعبيد، أي أفراد العائلة في المخيم ،حيث أن هذا النوع من الرعي عكس سابقه، يعتمد على المتابعة اللصيقة للماشية حيث نجد إن الرعي يتم نهارا ثم العودة بالقطيع مساءا عند غروب الشمس الى المخيم،في ا انتظار موعد الإبكار في اليوم الموالي لإعادة الكرة، لكن هذا الرعي له قواعد عرفية تضبطه وتسيره،حيث نجد في حمى القبائل مناطق يسمح الرعي فيها و استغلالها بيد أن هناك مناطق أخرى يمنع الرعي فيها وتسمى الحبوس، وهناك مناطق مشتركة بين القبائل، وهناك مناطق مشاعة وأخرى خاصة بأمنوكال يسمح للفقراء الرعي فيها.

لم يتأثر النشاط الرعوي بتدخل الاستعمار الفرنسي كثيرا ، خاصة من ناحية التنظيم الداخلي –طريقة الرعي و استغلال الأراضي الحمى حسب البناء الأسري ووظائفه في البناء الأسري قي المجال الرعوي – لكن على صعيد النظام الخارجي عرفت تحركات البدو في اهقار عدة مضايقات وضغوطات مورست عليها من ظرف الجيش الاستعماري الفرنسي ، حيث تمثل ذلك في عدة قوانين ، أولها قوانين الميثاق المبرم مع أمنوكال ، والتي نزلت لقيد حرية البدوي الذي كان لايعرف معنى الحدود بين اهقار وباقي المناطق التي تحيط بها ، كما أصبح اهقار يخضع لضريبة الاستعمارية بإضافة الى توسي التي تعطى لأمنوكال .

ب)- النشاط الزراعي وفرض الضريبة الاستعمارية :

لم يكن أهل اهقار قديما مزارعين في منطقة اهقار على الأقل ، لكن عرفوا المزارعة في مطلع القرن التاسع عشر في المناطق التي استقروا بها ذلك بفضل استعانتهم الأيادي الماهرة من تديكلت وتوات و جانت، ونذكر من بين هذه المناطق التي زرعها اموهاغ بمعية فلاحين أدلس تمنراست وابلسه، تاظروك .

تاظروك التي هي موضوع دراستنا الميدانية ، شهدت المزارعة في عهد أمنوكال احمد أق البكري باستعانته بكرزيكة وكيل توت - كرزيكة الذي يرتبط اسمه بإنشاء تاظروك- حيث كانت طريقة استغلال الأراضي الزراعية تعتمد على نظام الخماسة ، بين صاحب الأرض والفلاح

، حيث يستغل المزارع الأرض وله خمس الحصول والباقي لصاحب الأرض ، أو يكون ذلك بحسب مااتفقا عليه .كما لأمنوكال حق في الحصول حسب النظام التقليدي الذي يفرض على القبائل التابعة لأمنوكال توسي السنوية .لكن ما يمكن أن نستشفه من التغيرات الطارئة لدى الدخول الاستعماري،، هو إخضاع جميع الأنظمة الاجتماعية لسيطرة الاستعمارية .بالإضافة الى فرض الضريبة على الأنشطة الاقتصادية ، كان هناك مصادرة بعض الأراضي الزراعية واستغلال الأهالي للعمل فيها هذا ما نتج عنه الخلط في ملكية الأراضي ، حيث اعتبر المستعمر أن كل الأراضي تحت تصرف السلطة الاستعمارية .

- ج) النشاط التجاري والنظام الجمركي الاستعماري:

إذا كانت الثورة الحيوانية و النشاط الفلاحي ، يشكلان القاعدة الأولى لاقتصاد اموهاغ ان-اهقار ، فان التجارة لها مكانتها أيضا في هذا النظام ، والمدة الأولى في هذه التجاري في الملح ، الذي يشكل حجر الزاوية لتبادلات التجارية في الصحراء الكبرى كلها ، فالتجارة في اهقار عرفت طريقين أساسيين .الطريق الأول نحو الجنوب (السودان) ، والطريق الثاني نحو الشمال (تديكلت وتوات)

- الوجهة لاو الجنوب : في شهر ابريل أو مايو يرسل بعض اموهاغ بخدمهم للعمل في مناجم الملح في منطقة امدغور المتواجدة حاليا في أراضي بلدية إدلس ، لاستخراج الملح وذلك لمدة أسبوعين أو ثلاثة ،وفي شهر يوليو ينقلون كميات الملح على ظهور الجمال ، أين يمرون بمراعي تمسنا لترتاح جمالهم . كما يبدلون بعضهم بجمال أكثر حيوية واشد قوة . ويمضون با في تجاه المراكز التجارية لمدة زمنية تصل نحوى شهرين.ليستبدلوا الملح عن طريق المقايضة بالعديد من البضائع، مثال الذرة الصفراء و ملابس القطن والأحذية الأدوات المnلية والآلات المصنوعة من الحديد الصلب و السلاح والذخيرة.

وفي شهر يناير يعود كيل اهقار الى الشمال ليستريحوا بعض الوقت مرة أخرى في تمسنا ، قبل أن يواصلوا سفرهم الى بلادهم ، حيث يصلون في شهر مايو أو أوائل ابريل .

- الاتجاه لاو الشمال : الرحلات التجارية الأخرى التي يقوم با كيل اهقار، هي اتجاه القوافل الى أسواق تديكلت وتوات .وهي تبدأ من اهقار في شهر يناير أو أوائل ابريل وتنتهي في ابريل ، و في هذه الأسواق يقايض فيها اموهاغ الجمال والغنم والمعز والحمير ومنتجات الألبان مثل السمن و

الجـ، وذلك مقابل التمر والملابس والقطن وأغطية الصوف ،التي تصنع في القرارة وغرداية وبقية المناطق توات وتديكلت .وكذا الشاي والسكر...الخ . كما نجد بعض الرحلات التجارية التي يقوم با كيل اهقار نحو مدينة جانت.

ففي مطلع القرن العشرين أصيب هذا النظام بخلل بسبب الحصار الاستعماري ، المفروض على منطقة اهقار شمالا و جنوبا . ما أدى الى تراجع الحركة التجارية ، خاصة إذا علمنا أن رجال الدين في اهقار قد أصدروا فتوى تحرم المنتجات الزراعية القادمة من إن-صالح ، كونا نجستها الأيادي الاستعمارية . ثم بعد ذلك خضوع كيل اهقار للسلطة الاستعمارية ، التي فرضت بعض القوانين من اجل السيطرة على الحركة التجارية في اهقار . ومن بين هذه القوانين نجد فرض الضريبة موازاة مع دفع توسي لأمنوكال ، فضلا عن تنظيم الحركة التجارية وتنقل القوافل في الصحراء الكبرى ، حيث تعطى تأشيرات العبور ، حيث يحدد فيها تاريخ الذهاب والإياب .

الخلاصة العامة التي يمكن أن نستخلصها من تأثير السياسة الاستعمارية على النظام الاقتصادي هو التحكم والإخضاع للعصبية الحاكمة للسلطة الاستعمارية ، الذي نتج عنه استسلام باقي العصبيات التابعة للعصبية الحاكم ، وخضوع النشاط الاقتصادي التقليدي لسلطة الاستعمارية، ذلك رغم بقاء توسي كضريبية تعطى لأمنوكال ، الذي أصبح قائدا مثل قادة الجيش الاستعماري.لا يمكنه إصدار الأوامر إلا بإذن الاحتلال الفرنسي.

ثالثا)- الحياة الاجتماعية في ظل الاستعمار الفرنسي :

لقد تأثر النظام الاجتماعي لكيل اهقار بتواجد الاستعمار كباقي الأنظمة التقليدية المهيكلة له ،ذلك بظهور عدة مظاهر اجتماعية منها إرغام الأهالي للانخراط في صفوف الجيش الاستعماري " مهاريست " le Mehariste [1]، وكذا العمل في شركات التنقيب والمناجم ، هذا ما أدى الى دخول اموهاغ الى إطار العمل المأجور .أمام هذا كله ، ماهي أهم التغيرات التي ظهرت في الحياة الاجتماعية أبان التواجد الاستعماري ؟

أ)- الأحوال الأسرية:

إن التطرق الى البناء ووظائف الأسرة في مجتمع إموهاغ لايمكن فصله عن البناء القبلي ، لان القبيلة مبنية على التجمع العشائري الذي هو أيضا مبني على اتحاد عائلات ممتدة و متكونة من اسر

---

[1] -Général (C.R) Pierre Denis : « Hoggar 1958 – 1960 » ; GERARD KLOPP éditeur .p :125.

نواتيه ، هذه العلاقات المبنية على شكل هرمي المتمثلة في الروابط القرابية ، هذه الروابط القرابية محمية ومضبوطة عرفيا، هده القوانين العرفية تساعد شيخ القبيلة أو شيخ العشيرة (أمغار) أو أب الأسرة في فرض السلطة للخضوع و استتباب الأمن والاستقرار داخل الأسرة .

هذا البناء الاجتماعي عرف تأثرات وتحولات إبان خضوع كيل اهقار للاستعمار الفرنسي .خاصة من الناحية الوظيفية لهذا البناء، والتي انعكست على البناء الاجتماعي .

فبإرغام الأهالي على الدخول في الجيش الاستعماري ، حيث أصبح يتقاضى اجر مقابل عمله ، بعد ما كان يلتحم مع جماعة عصبيته لدفاع عن القبيلة أو تلاحم مجموعة قبائل وسعي وراء القوت جماعيا ، هذا ما جعل من الفرد مستقلا اقتصاديا عن مجموعته ،وكان ذلك بداية ظهور الفردانية داخل المجتمع ، بالإضافة لذلك نجد هناك بعض الأفراد الذين عملوا في مجال التنقيب في الشركات الاستعمارية ، مثل تلك المتواجد في انيكر كحراس أو عاملين في البناء أو الحفر ...الخ. هذه المجالات أجبرت العديد من الشباب للهجرة الى هذه المناطق ، تاركين وراءهم أهاليهم ،ذلك ما فتح أمامهم فرصة الاحتكاك بالأشخاص الآخرين ، القادمين من الشمال ومن منطقة توات وتديكلت وكذا مع الفرنسيين أنفسهم ، هذا ما اكسبهم الخبرة في العديد من المجالات منها البناء والسباقة ...الخ.

من هنا نستنتج أن أهل تاظروك بعد الاستعمار طرأت عليهم عدة تحولات أثرت على البناء الاجتماعي لديهم ، الذي كان موجها للالتحام وتماسك داخل القبيلة انطلاقا من الأسرة ، حيث كان نمو الوازع الذاتي الذي توجهه الدوافع الاقتصادية المبنية على الأجر ، الذي يتحصل عليه العامل في مكان عمله ، وكان نتيجة ذلك ظهور الأسر النواتية المستقلة اقتصاديا عن العائلة الممتدة ، لكن ما يمكن ملاحظته هو أن الروابط القرابية والاجتماعية بقية موجودة ، حيث نراها جليا في التضامن ، الزيارات العائلية والتجمع في بيت الجد أو الأب الأكبر كل يوم ، وفي أيام الأعياد على الخصوص .

النتيجة التي توصلنا إليها هنا هي أن الروابط الاقتصادية داخل البناء الاجتماعي، شهدت في العهد الاستعماري نوعا من التحولات ، منها ذاك التفكك الذي عرفته هذه الأخير، نذكر على سبيل المثال ظهور العمل المأجور والابتعاد عن الرعي و الترحال التي كانت العمل الملازم و السياسي له وأصبح بنسبة له عملا ثانويا يلتجأ إليه عند عودته للمخيم. بينما الروابط الاجتماعية بقية متماسكة مشكلة التلاحم الاجتماعي داخل البناء الاجتماعي ، هذا ما نلاحظه حتى في

وضعية القصور في تاظروك وتوضع المنازل على شكل مجموعات ، هذه المجموعات لها روابط قرابة اجتماعية قوية لم تستطع القوات الاستعمارية تفكيك هذا التلاحم بل زاد في التماسك بسبب اعتبار الاستعمار الفرنسي ماهو إلا تدخل استعمار للعقيدة الكفار والملحدين هذا ما نجده في كلامهم قائلين "إكوفار" يعني لا يصفونهم إلا بالكفر.

ب)- التضامن الاجتماعي:

لقد توصلنا فيما سبق الى أن التواجد الاستعماري في تاظروك ، لم يؤثر على البناء الاجتماعي بقدر ما اثر في النظام الاقتصادي بل زاد من قيمة الالتحام الاجتماعي داخله ، حيث نجد العديد من المظاهر الاجتماعية تعبر عن التضامن الاجتماعي في المجتمع .

ففي أيام الحصاد نجد أن الأهالي يقومون به جماعيا ، حيث يدعوا صاحب البستان معارفه لمساعدته في الحصاد وفصل حبوب القمح عن السنابل بطريقة تقليدية ، حيث يصنع من الطين حفرة على شكل صاع لتوضع فيها السنابل من القمح أو الشعير ، وتقوم النساء بدرسها بعصي من الخشب من اجل فصل الحبوب عن السنبلة (تفكيك السنابل)، ثم يتم رفعه نحو الأعلى للتخلص من القشرة التي لافائدة منها وتستعمل عادة غذاء للحيوانات ، ثم يتحصل في الأخير على حبوب القمح ويتم وضعه في الأكياس في نهاية المطاف تقوم المرأة صاحبة البستان بإعطاء زميلاتها حفنات من القمح مقابل مساعدتها في العمل ويمثل هذا التضامن تجنى حتى المحاصيل الزراعية .

ويعتبر كذالك" البريح" احد مظاهر التضامن الذي يقوم به الرجال سواء كان ذلك في البساتين أو في بناء المنازل ، حيث يعلن صاحب البستان أو المنزل أمام الملأ انه ينوي مثلا القيام "بالبريح" ،وهي كلمة عربية مشتقة من برح أي قام بالإشهار وغدا صباحا يتوافد الأهالي إلى مكان البريح للعمل دون مقابل ، حيث يتكفل صاحب الحاجة بإطعامهم ويكون ذلك على شكل وليمة .

هذه الظاهرة وأخرى نلاحظها منتشرة في مجتمع تاظروك ، والتي شهدت امتدادا حتى الآونة الأخيرة رغم تراجعها تدريجيا في العشرينية الأخيرة.

المظاهر أخرى هي مظاهر عرفها اماهغ بعد استقراره في مدينة تاظروك، واحتكاكه ببقية المجتمعات خاصة الأفراد القادمين من تيديكلت –ان صالح- حيث حدث بينهم اندماج اجتماعي، أدى الى ظهور مجتمع جديد من ميزاته التحدث بالتماهق ولباس إموهاغ ، أي أن الوافدين من

أهل تديكلت وتوات اضمحلوا في مجتمع اموهاغ واصبحو منهم، أما فبما يخص البدو منهم فمظاهر التضامن لديهم باقية على حالها، حيث نجد أصحاب الماشية منهم يعيرونا للفقراء من اجل حلبها لأطفالهم .....الخ.

خلاصة القول هو أن اموهاغ في تاظروك استطاعوا التمسك بقيمهم الاجتماعية التضامنية،ذلك رغم الحملات الاستعمارية الساعية لتفكيك البناء الاجتماعي لهم ومحاولة ترقيتهم وعصرتنهم بالمفهوم الفرنسي . هذا التماسك عبر عنه سكان تاظروك في العديد من المظاهر التضامنية تعبر عن تماسكهم وتلاحمهم ضد الجوع وتشرد في ظل الأوضاع الاستعمارية المتأزمة.

رابعا) - المظاهر الثقافية والسياسة الاستعمارية:

إن الأنظمة الاجتماعية في منظورها الشمولي تشكل نظاما اجتماعيا واحدا متماسكا من حيث البناء والوظيفة، حيث يتأثر أحداها بباقتيها فبإخضاع السلطة التقليدية للاستعمار الفرنسي، انعكس ذلك على جميع الأنظمة الاجتماعية المكونة للمجتمع.من هنا إذن ماهية أوجه التأثير على النظام الثقافي ؟ .

أ) دور المدرسة القرآنية في الحفاظ على القيم الاجتماعية:

يعتبر التعليم ضروريا وحتميا من اجل تطويرا الحركة الفكرية والعلمية لدى أي مجتمع كان.وعنصر أساسيا في تنظيم وترقية الأفراد سلوكيا وحضاريا، فالمدرسة القرآنية في مجتمع اموهاغ لها مكانتها الاجتماعية ، لما تلعبه من دور في ترقية الفكر العقائدي للمجتمع . هذا ما تترجمه مكانة الإسلام في حياة اماهﱠ . وما تعكسه مكانة الطالب[1]الذي يحضا بمكانة مرموقة في المجتمع لما يحمله من علم وما يقوم به من دور داخل المجتمع من فض نزاعات وعقد زواج وتقديم الفتوى لسائلين وتعليم الأطفال.

لقد امتاز النظام القبلي بالوجود الدائم لدور المدرسة القرآنية كركن من أركان هذا البناء، حيث نجد غالبا لكل قبيلة متنقلة أو مستقرة معلم "أطالب" مكلف بتلقين الأطفال القران والحديث الشريف والفقه والﮦ والتوحيد....الخ. هذا التلقين يتم عن طريق الكتاتيب، حيث تعتبر بيت المعلم أو خيمته منبرا له يدرس فيه ويقدم الخدمات منه. أو في المسجد.

[1]-الطالب : هو الاسم الذي يطلقه اموهاغ على معلم القران في المدرسة القرآنية .

في التدريس تستعمل أدوات بيداغوجية تقليدية عند معلمي القران لدى إموهاغ ، نذكر من بين هذه الأدوات" ألوح" مصنوع من الخشب الذي يستخلص من أغصان الشجر المحلي ، يقوم الحداد "الحرفي " بصنعه ونقشه . كما يصنع القلم من عود القصب ، أما الحبر فيصنع من الفحم المترسب على الصفيحة الحجرية المستعملة لصنع الخبز ، حيث يوضع الفحم "الوش" في قارورة واسعة الفتحة مع شعر المعز الأسود و الماء ويضاف إليها عادة مستخلص النسخ الكامل لشجر الطلح ، كما يضاف لها السكر من اجل تعقيد السائل . هذا عن الأدوات البيداعوجية .

أما عن أحوال التعليم في المدرسة القرآنية في تاظروك، فيمكننا أن نتناولها من حيث التوزيع القبلي لها ، اين نجد أن هناك لكل قبيلة معلما أو مجموعة من معلمين يدرسون القران كما يحاطون بمكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي ، ذلك لما يحملون من العلم المقدس ، وما يقومون به من أعمال وما يلعبونه من دور داخل المجتمع من نشر معرفة، والفصل في القضايا والنزاعات ، وعقود الزواج ، الأشراف على الولائم والجنائز .

بالنسبة لقبائل "اغرم" المستقرة في وسط مدينة تاظروك ، نجد أطالب خامه الذي جاء به كرزيكة سليمان من ازجر . وأثناء استيطانه في تاظروك عكف على تعليم القران في منزله ، وقد علم أجيالا وأجيال ، استمر في التعليم حتى أواخر عمره . وخلفه في ميدان التعليم أولاده مع العديد من حفظة القران منهم صابرة محمد ،و دحيمي محمد ،و كرزيكة لحسن لدى ايت لواين المستوطنين، في حي تبركاتين البعيد عن المدينة 7 كلم تقريبا ، و زماكي محمد وهم عاكفون على التدريس حتى الآن .

أما بالنسبة لقبائل إسقمارن المستوطنون في تبيربيرت ، فنجد قبيلة دادوعلي التي توارث أبناءها التدريس و أمور الدين و الدنيا لدى قبائل إسقمارن حتى يومنا هذا .

أما عن مقابل هذه الخدمة الدينية والدنيوية التي يعكف عليها هؤلاء المدرسون هو تقدم الماشية والإتيان لهم بالحطب والحليب ومشتقاته والهدايا، حيث يقوم المتمدرسين بجمع الحطب كل يوم والإتيان بها الى بيت المدرس كل مساء ،وكذا تقديم الهدايا كل ما بلغ المتمدرس مرتبة في قراءة القرآن، إما بالنسبة لختم الأحزاب فكلما ختم التلميذ حزبا صنع له أهله وليمة صغيرة يتم تناولها في (اقربيش)[1].

---

[1]- اقربيش : هو المكان الذي يدرس فيه التلاميذ القران أو ما يعرف الآن بالمدرسة.

. ب)- الأدب الشفوي و تأثره بالتواجد الاستعماري :

إن التحدث عن الأدب الشفوي يجرنا إلى الكلام عن مكانة الأدب الشفوي في التمع ، حيث تعتبر المنافذ الأدبية قنوات لتعبير عن الشعور الذي يثلج صدور معبريه لذا كان الشعر و القصة و الحكمة و الأمثال ، أوجه الأدب الشفوي المتناقل بين مجتمع إموهاغ كونه يحمل الإرث الاجتماعي ، و كذا الحوادث التاريخية .

و لكن رغم احتفاظ الذاكرة بالكثير من المنتوج الاجتماعي إلا أنه يشهد اختفاء في الآونة الأخيرة لاهتمام الأجيال الحديثة بدراسة و بمظاهر العصرية و في هذا الإطار يجرنا الحديث عن أهم التغيرات الطارئة على الأدب الشعبي الشفوي إبان الاستعمار الفرنسي من الناحية الفكرية و كذا اللغوية.

فمن الناحية الفكرية فبعد أن كان إموهاغ ينشغلون بانتصاراتم و أفراحهم و أقراحهم ، و كذا تمجيد الشجاعة و الكرم و النبل والإباء ، و التغني بالحب الذي يحس إحساسا صادقا نقيا كثيرا ما يتجاوز المتعة الحسية، و يتخذ أبعادا روحية صافية ، كل هذا نجده في الأفكار التي يحملها الشعر الملحون منه و الغير الملحون .

ونظرا للمكانة التي يمتاز بها الشعر الملحون عند اموهاغ ، اعتبره السعيد القشاط ، كالأكل والشرب . لا يستغنون ولا يقلعون عنه .

فاماهη يغني في بيته، وفي الطريقة لجلب الماء ، ولسقي الحيوانات وفي صحرائه ، وهو يمتطي ظهر جمله . يتغنى ليطرد الملل والنعاس في ليالي الصيف الرطبة ، حيث يحلوا لهم السير بعد يوم من الحر القائظ .كما هو الحال بالنسبة للمرأة[1] .

ينضم إموهاغ الشعر حسب الضر وف والأحوال فهناك رسا ئل شعرية تنقل أنباء الحروب ، وأخرى يتغنى فيها بالحبيب ، والبعض الآخر ينظم شعره على الحياة اليومية وقساوة الطبيعة .

فبعد خضوع المنطقة للاستعمار الفرنسي، ظهرت عدة تغيرات في المواضيع واللغة هذه التغيرات نستشفها في الأشعار التالية:

الااهدڨ ينصرتن يا ! يكناسن دغ النور اسلسه   نانيƒ دغ ايظس دينسى إوارتن النوريرغى

الااهدون ينصرهم ا ! وسيصنع لهم من النور الملابس   نراهم في النوم و كأنم نورا ضاوي

[1]- محمد سعيد القشاط : " التوارق " ، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء . ليبيا، ص:151.

وهناك بيت شعري آخر هو:

يا ! تنيجدي دغ إهنج   ايسواغ إمران وين ترج

اللهم نجيني من العدو الظالم   هؤلاء أهل تارقى

هذه الأبيات و أخرى توحي بأن الشعراء إموهاغ قد استنفروا من وضعهم ومن الاستعمار الغاشم

ج)- ظهور التعليم الحديث ومحاولة غرس الثقافة الفرنسية :

كان إموهاغ يدرسون أطفالهم في الكتاتيب ليلا ، ذلك بعد انتهائهم من أدوارهم الاجتماعية ،من رعي وجمع الحطب وكذا العمل في الحقول ، ويتم ذلك بالجلوس حول النار- التي جمعوا من اجلها الحطب – لدراسة بنورها ، ويقوم المعلم بتلقينهم القران والحديث والf والفقه ، هذا عند المستقرين أو الماكثين بمكان ما ، أما في حال الترحال يتنقل المعلم مع تلامذته من اجل تعليمهم ، ذلك لممارسة حياتم اليومية نارا وتدارس القران مع المعلم ليلا . حتى أتى الاستعمار بفكرة تعليم الأطفال في المدارس الفرنسية .لكن السؤال المطروح ،ماهي السياسة الاستعمارية لنشر التعليم الحديث ؟ وكيف واجه اموهاغ هذه السياسة ؟

إن الحديث عن ظاهرة التمدرس في النظام المدرسي الحديث إلى: في المدرسة الحديث يمكن تقسيمه الى قسمين : في حين التواجد الاستعماري الفرنسي ، وما بعد الاستقلال .

1- التعليم في عهد الاستعمار الفرنسي:

لقد سخر الاستعمار الفرنسي طاقات كبيرة من اجل نشر الثقافة الفرنسية (لغة وتاريخا وآدابا...) .ذلك بإحداث أقسام مدرسية بدوية منذ سنة 1947.تقوم على أساس تنقل المعلم مع المخيم دون فصل التلميذ عن مجتمعه الأصلي.

كانت اول خيمة في قرية تاظروك (المركز الزراعي) سنة 1958 ، حيث قام المسيحي لويس بيلات بجهود كبيرة من اجل إقناع الأهالي في تاظروك، سوى أكانوا مستقرون في المركز الزراعي أوهم بدو رحل في شعاب الوديان المتاخمة لتاظروك ، لكن هذه الجهود لم تثمر إلا القليل من حيث استجابة الأهالي ، الذين اعتبروا المستعمرين كفار لا يجب إتباعهم ، بل لا يجوز بعث الأطفال الى مدارسهم مخافة دخولهم في ملة الكفر ، لكن المستعمر لمعرفته ودراسته لهذا المجتمع عرف كيف يحسم الأمر لصالحه ، باعتماده على إقناع القوة الحاكمة على هذا المجتمع والمتمثلة في العصبية الغالبة المتجسد في شخص أمنوكال "بأي" الذي بعث في سنة 1959 الى كل رئيس قبيلة

"أمغار " لبعث بطفلين من اجل الدخول في المدرسة الفرنسية ،كان هذا الأمر الإجباري المفروض قد كانت له نتيجة في البداية ، حيث طبق الأمر كما طلبه أمنوكال ، لكن بعد الاستقلال تراجع حيث عزف العديد من المتمدرسين عن الدراسة ، فما واصل الا القليل منهم ، هذا مايدل على أن دخولهم الى الدراسة إلا امتثالا لأوامر أمنوكال ،وليس اقتناعا بأهمية الدراسة .

لكن بعد الاستعمار لم تتخلى الدولة الجزائرية عن نفوذ أمنوكال ، حيث تم اعتماد تمثيله في ا لمس الوطني ، أما على مستوى التعليم ، فقد كانت سياسة الدولة محاولة إقناع ا لتمع في اهقار ، واعتمده في ذلك سلطة أمنوكال القاهرة لإجبار الأهالي لأجل إدخال أبنائهم –خاصة البدو و الرحل منهم –في النظام الداخلي ، و من اجل ممارسة حقهم في الدراسة ، حيث تم فتح أقسام الطور الأول في تاظروك بنسبة لتلاميذ المستقرين ، أما البدو منهم فتم بعثهم الى داخلية أدلس ، ثم بعد ذلك تم توجههم فيما بعد الى داخلية تمنراست.

2- أما عن تطور التعليم في تاظروك فيما بعد الاستقلال فيمكننا تقسيمه الى ثلاثة أقسام :

- الفترة الأولى تمتد من 1962 الى سنة 1979 م:

في هذه الفترة كانت الدراسة تتم في الأقسام التي أنشاها الاستعمار الفرنسي، حيث كان يدرس فيها الأولى ابتدائي والثانية حتى الثالثة. فبنسبة لبقية الأطوار الباقية فتوجه الى الداخلية في مقر الولاية بتمنراست ، وكان يشرف على التدريس رجل مسيحي اسمه ميشيل MICHEL لتعليم الفرنسية مع وافدين من الشمال الجزائري لتعليم العربية ، ما يلاحظ في هذه الفترة أن القليل من التلاميذ من واصل الدراسة خاصة الفتيات ، حيث تم إخراجهن من مقاعد الدراسة لعدم وجود داخلية للبنات في مقر الولاية ، إضافة الى الذهنية الاجتماعية التي ترى أن لا أهمية في تعليم البنات في ذلك الوقت .

- الفترة الثانية (1979 الى سنة 1987) :

هذه المرحلة عرفت انجاز اول مدرسة ابتدئيه (1979 1980) المسماة حاليا مدرسة بكته بن إبراهيم من ذلك الحين تعمل المدرسة بستة أفواج تربوية وتعمل بنظام الدوام الواحد مع زيادة عدد المتمدرسين فيها أصبح حظ الفتاة في الدراسة متوفر حتى بلوغ مستوى السادسة مع إرسال تلميذة واحدة الى مقر الولاية سنة 1986 وذلك لوجود أهلا لها في ولاية تمنراست حيث تعتبر ولية أمرها في الولاية عضو في النساء الجزائريات التي عملت على أقناع أهل الفتاة بضرورة الدراسة وفي

سنة 1987 تزايد عددهن حيث تم إرسال اثنتين منهن الى اكمالية إدلس وثلاثة الى ولاية تمنراست قد يكون هذا بداية كسر عقدة حجب الفتيات عن الدراسة .

- الفترة الثالثة(1987 الى سنة 2006) :

بداية هذه الفترة عرفت فتح ملحقة لإكمالية أدلس في مدرسة بكته بن إبراهيم ، حيث تم فتح قسمين السنة السابعة والثامنة ، حيث تم إرجاع التلاميذ الدارسين في أدلس لفتح قسم الثامنة بعدد 14 تلميذ ، أما الصاعدين الى السابعة ، فكان عددهم 25 عدد الفتيات ، وكان 12 وعدد الفتيان 13 هنا نلاحظ أن حظ الفتاة في الدراسة بدء في التزايد . في سنة 1992 استقلت اكمالية تاظروك عن اكمالية أدلس ، وأصبح لها مركز مستقل عن ابتدائية بكته بن إبراهيم ، رغم عدم اكتمال البناء في المركز لقد زاول التلاميذ دراستهم فيها، ما نلاحظه هنا هو رغم ارتفاع مستوى دراسة الفتاة في الاكمالية ، إلا أن إمكانية إرسالها الى مقر الولاية ضئيل ، حيث أن التلميذات المحظوظات هن اللواتي لهن أقاربن في مقر الولاية ، هذا ما يدل أن العائق أمسى أكثر من ما هو خلفية ذهنية لذا نلاحظ ان هناك من التلميذات اللواتي يعدن السنة التاسعة رغم انتقالهن الى الطور الثانوي ، الى جانب ذلك عدم وجود مركز تكويني مهني يساعدهن على الاندماج في الأوساط المهنية في ظل هذه الظروف المتنامية نمو ضعيفا استطاع القليل من هؤلاء التلاميذ اجتياز المرحلة الثانوية وبلوغ المقاعد الجامعية ، حيث توجه العديد منهم الى مراكز التكوين في مستوى التاسعة لضفر بماهرات مهنية مثل(مكانيك السيارات –الكهرباء – النجارة – الصحة ....الخ). والبعض الأخر منهم من سجل نفسه في المعهد التكنولوجي لتكوين المعلمين.

في سنة 2003 فتحت أبواب الثانوية لتتابع الفتيات الدراسة فيها ، هناك من انقطعن عن الدراسة من قبل تم إدراجهن لمتابعة الدراسة سنة بعد ذلك ،كان اول مركز للباكلوريا فكان عدد الناجحين فيها 16 من 22 اكبر نسبة على مستوى الولاية .

رغم كل هذه التطورات التي عرفها قطاع التعليم الا انه لا يخلو من المشاكل منها نقص الماطرين واستبدالهم بمستخلفين بالإضافة الى عدم وجود مستشارين نفسانيين وكذالك مشكل التسرب المدرسي .

خلاصة القول أن الاستعمار الفرنسي وبعد استقلال الدولة الجزائرية ، اعتمد على العصبية الحاكمة في اهقار لإخضاع أهل اهقار لتدريس أبنائهم ، لكن هذا الاعتماد تراجع مع تزايد

إمكانيات الدولة الجزائرية في إيصال الهياكل التعليمة الى كل المناطق الحضرية والريفية من اجل تمكين الشعب الجزائري كله من التعليم .

أما عن السياسة الاستعمارية من اجل غرس الفكر الكولوني ، لم تتمكن من ذلك وذاك راجع الى الفكرة المغروسة مسبقا هي أن هؤلاء القوم هم كفار، فكل ماهو ات منهم فهو يحمل أفكار إلحادية لذا فإن كل من درس لديهم قد يتأثر بأفكارهم الإلحادية . ورغم ذلك فقد تعلم العديد من أبناء تاظروك على أيديهم ،وكذا اكتسابهم اللغة الفرنسية لكن الثقافة الفرنسية لم تنعكس على تصرفاتهم .

- ملخص الفصل:

لقد كان للاستعمار الفرنسي تأثيرات سلبية على النظام الاجتماعي لاموهاغ ، حيث أدى ذلك الى الحيلولة دون السير الطبيعي للتغيرات الحاصلة في نظامهم ، خاصة عند استقرارهم في المناطق الريفية قائمين على الزراعة ،فكان التدخل الاستعماري فيها قد أدى الى خضوع السلطة التقليدية للقوة الاستعمارية ، منذ اضمحلال سيطرتها على النظام الاجتماعي هذه الأوضاع المزرية ورثتها الدولة الجزائرية بعد الاستقلال لكن السؤال المهم طرحه هو ماهي السياسة التي وضعتها الجزائر من اجل السيطرة على الأوضاع الاستعمارية ؟ وما هي التدابير التي اتخذتها من اجل استيطان البدو إموهاغ في تاظروك ؟.

-خـــــاتمة-

لقد استرسلنا في دراستنا لموضوع استيطان إموهاغ في اهقار بعد ما كانوا بدو ورحل يمارسون حياة الترحال بإشكالها طلبا لقوتي مواشيهم ، ومقاومة لقسوة الطبيعة ومحاولة التكيف معها ، وكان احتكاكهم بالعديد من الحضارات دافعا لهم لتفكير في اتخاذ ضفاف الوديان موطنا لهم لممارسة الزراعة ، ذالك باعتمادهم على الحراطين اليد الخبيرة في الزراعة و الفقارة .

هذا التعايش الذي تمر بين كيل اهقار وكيل توات نتج عنه عدة تغيرات سادت النظام التقليدي لاموهاغ وأدت الى حدوث عدة تغيرات جذرية . منها ماهو راجع الى استيطانهم في أماكن معينة ومنها ما هو عائد الى الاحتكاك الثقافي بينهم وبين بقية الشعوب. إننا نحن في دراستنا هذه قد تناولنا تاظروك في دراستنا الميدانية وركزنا على التعايش الحاصل بين إموهاغ –ان- اهقار وكيل توات، من جهة وبينهم وبين إموهاغ –ان- ازجر من جهة أخرى . إذن وما هي التغيرات التي حصلت بينهم وبين الدخول الإستعماري الفرنسي ؟ والتي طرأت في ظل الدولة الجزائرية؟.

هذه الدراسة فتحت لنا الباب للعديد من التساؤلات عن موضوع التوطين في أهقار الاندماج الاجتماعي لاكيل أهقار مع بقية الشعوب الوافدة إلى اهقار من شمال الجزائر ومن البلدان الإفريقية، حيث عرفت مدينة تمنراست ذالك الاندماج الذي خلف عدة ظواهر اجتماعية جديرة بالدراسة وكذا التغيرات الحاصلة في هذا المتمع الناتج عن الاندماج الاجتماعي الحاصل بين كيل أهقار وبقة الأجناس .

ومن هذا يمكننا ان نطرح هذا السؤال الذي نراه كسؤال انطلاقة لبحوث جديدة وهو:- هل الاندماج الاجتماعي الحاصل بين كيل أهقار وبقية الشعوب في مدينة تمنراست أدى الى حدوث تحولات جذرية في بنائهم لاجتماعي؟.

قـــــــائمة المراجـــــــــع

- أولا) المصادر والمراجع بالعربية :

1. ابن بطوطة ،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المكتبة البطقة التالية القاهرة ،1969.
2. ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1958.
3. الببلاوي حازم ، التمع التكنولوجي الحديث. الناشر منشأة المعارف الإسكندرية ، مطبعة القاهرة 1972.
4. البرازي نوري خليل ، البداوة و الاستقرار في العراق ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .1963.
5. البطريق محمد كامل ، النهوض بالتمعات الريفية.مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.1964.
6. بوشارب عبد السلام : الهقار أمجاد وانجاد.المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، رويبة.
7. الجميل مكي ، البدو والبداوة في الوطن العربي.سرس مركز تنمية التمع العربي اليوم ، لبنان .1962.
8. الخشاب احمد ، سكان التمع العربي، دراسة تكاملية، دار المحامي للطباعة.بدون سنة.
9. ديهكال الطيب ، واقع التجارب النووية الفرنسية ، وخلفياتا في منطقة عين ايكر.طبعة صندوق ترقية الفنون و الآداب، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر.2004.
10. زناتي سلام محمود ، موجز النظم الاجتماعية والقانونية ، التمعات البدائية والمدنية.المطبعة العربية الحديث، القاهرة.1977.
11. السويدي محمد ، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1986.
12. السويدي محمد، مقدمة في دارسة التمع الجزائري.ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.1990.
13. صابر محي الدين ، مليكه لويس : البدو والبداوة. سرس لبنان مركز تنمية التمع في العالم العربي اليوم ، لبنان .1966.

14. صابر محي الدين، عوامل التغير الحضري في نمط الحياة البدوية.بحث في الأمانة العامة لجامعة الدولة العربية ، رعاية البدو رالتحضرهم وتوطينهم القاهرة .1965.
15. صبحي حنا نبيل، التمعات الصحراوية في الوطن العربي. دار المعارف، لبنان، الطبعة الأولى، 1984.
16. عابد الجابري محمد ، العصبية والدولة. دار الطليعة بيروت ، ط:3 .1982.
17. عاطف غيث محمد، قاموس علم الاجتماع
18. . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.1979.
19. العربي إسماعيل، تاريخ الرحالة والاستكشاف في البر والبحر ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1961.
20. العوجي مصطفى ، الأمن الاجتماعي.مؤسسة نوفل ، بيروت ، لبنان .1983.
21. غيرستر جورج ، الصحراء الكبرى. ترجمة خيري حماد ، المكتبة التجارية الطبع والتوزيع والنشر ، بيروت .1961.
22. فرانكودي نتالي ، تحفة فنية اسمها الجزائر . تعريب شريف فرس المؤسسة الايطالية ،ايطاليا ، 1981.
23. الفوال مصطفى صلاح ، البداوة العربية والتنمية. مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.1967.
24. القشاط محمد سعيد ، التوارق عرب الصحراء الكبرى.مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء ، ليبيا.
25. محجوب محمد عبده ، انثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة.دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1964.
26. المدني توفيق ، كتاب الجزائر.دار الطليعة والنشر، الجزائر ، الطبعة الثانية .1984.
27. مرور بيرجو ، العالم العربي اليوم.ترجمة: محي الدين محمد، دار مجلة شعر، بيروت.1963.
28. مسلم محمد ، منهجية البحث العلمي. دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران.2001.
29. مغربي عبد الغني، الفكر الاجتماعي عند بن خلدون. ترجمة: شريف بن دالي حسين.المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.1986.
30. مليكه لويس ، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية. الهيئة المصرية النشر، الإسكندرية، الد الثاني.1970.

31. مورت بوتو ، تمهيد في علم الاجتماع.ترجمة: محمد جوهر وآخرون ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ط:1 . 1972.

- ثانيا) المراجع باللغة الفرنسية:

32. Alain (Romey) , les Saïd atba de n'eoussu .histoire et état actuel de leur nomadisme ; éd, Lhamattan. 1983.
33. Augustin (B), N.Lacroix, L'évolution du nomadisme en Algérie , Imp. Crientale, Pierre fontana.1906.
34. Awwad Mohamed, Le nomadisme dans les pays du moyen orient , (p.p353/368) colloque international sur les problèmes de zone aride, Paris, Une sco-mai.1960.
35. Badi (D), et Bellil(R) , Evolution de la relation enter kel ahaggar et kel adagh , In cahiers d'iremam, N°04.1993.
36. Barth (H) , Voyage set découvertes en Afrique septentrionale et centrale , Paris.1860.
37. Benhazera (M) , Six mois chez les touaregs de l'Haggar , A.Jourdin, 1908.
38. BLANCUERNON (C) , Le Hoggar .Paris ,Arthaud.1965
39. Boukhabza (M) , L'agro pastoralisme traditionnel en Algérie , Alger.
40. Bourgeot (A) , Analyse des rapports de production chez les pasteurs et les agriculteurs de l'Ahaggar , In (LYBICA), Centre de recherches anthropologiques pré- historiques et ethnographiques, Tome :21 ; Alger,1973.
41. ----------- , Le corps touareg désarticulé ou l'impensé politique , In cahiers d'études africains, 136, XXXI-4 ; Paris.1994.
42. ----------- , Les sociétés Touaregues, Nomadisme, Identité, Resistonce, Karthal, 1995.
43. C.F.O.Bremaud .J. Pagot , Pâturages nomadisme et transhumance en zone saharienne , Recherche sur la zone aride,Actes colloque ,de Paris UNESCO.1962.
44. Capot Rey, Etat actienne du nomadisme au Sahara , (pp 329/393), Recherche sur la zone arides .

45. --------- , Le mouvement de la population dons le territoires du sud Alger ,(pp232.248) ;Revue africaine 2éme et 3éme trim.1940.
46. Cassajus (D) , Les amis français de la couse Touaregues ,, cahier d'études africaines, vol, 35 ; N°137.1995.
47. Castries (H) , Question sahariennes, Librairie africaine et coloniale , Paris.1995.
48. Cauvet (G) , Le raid du Lt cottnest au Hoggar combat de tit, 7mai1902 .Marseille, Raoul et j.Brunon.1945.
49. Cloud (H-hawad) , Le fils et enjeux, De parenté touarègue , Cambridge université presse, Edit maison des sciences de l'homme, Paris.1986.
50. --------------- , Les touaregs : Portrait en fragments .Aix-en-Provence, Edisud, 1993.
51. Dayak (Mano) , Touaregs la tragédie ,Lattes, 1992.
52. Durveyréer Henri , Les Touaregs du nord challme ,Paris, 1864.
53. --------------- , Les Touarègues kel Dennik .Chalumet, Paris. 1864.
54. Elkenz (H) , levage et agriculture , Dan l'étude pastoralisme Diarra mecheria et El-bidaardes, Algér .1978.
55. F.Barth : « Le nomadisme dans les montagnes et sur les hauts plateoux de l'Asie du sud . (369/385), Colloque international sur les problèmes de la zone aride. Paris, UNESCO.1960.
56. Gast (M), La société traditionnelle de kel Ahaggar .Edi sud , Paris,1987.
57. Clabot-Briggs, Climats et adaptation humaine au Sahara , (75à85), Colloque international de biologie des populations sahariennes du 23au25Oct 1969.Alger.
58. Lacroix (A), et Bernard (A) , Pénétration saharienne 1906-1930 , Rep. Edition jaques gandini 1993.
59. Landolfi (Paul) , In Salah 1904/Tamanrasset 1905, Le deux soumission des Touaregues kel Ahaggar , In cahiers d'études Africaines, XXXVIII-1, 149.1998.
60. Laperrine (H) : « Une tournée dans le sud de l'annexe de tidiklt, BCAF/Renseignements coloniaux.(s.d).
61. Lehuraux (C) , Le conquérant des oasis . Plon, parix 1935.

62. ----------- , les français au Sahara , éd. les territoires du sud Alger 1937.
63. Lhote (Henri) , De l'origine d'un nom à l'histoire d'une tawsit : Les ikeshshemaden , In cahiers d'iremam. 1993.
64. ----------- ,le Hoggar , espace et temps , Armond – colin, paris 1984.
65. -----------, les touaregs du Hoggar (ahaggar) , Payot, Paris 1955.
66. Louis Pilate, Histoire de Tazrouk, Une petit village d'Ahaggar, Centre de documentation saharienne Ghraia ; Algrei.1995.
67. Marceau (Geste) ,Pastoralisme nomade et pouvoir : la société traditionnelle de kel ahaggar ». In pastoralisme and society, Edisud, Axe-en-provence.1987.
68. ------------- , Histoire de commandement en Ahaggar , Doc. CNRPAH .Alger (s.d.)
69. Meynier (G), pacification du Sahara , Paris, 1990.
70. Monteil vincent, La tribus du fars et la sédentarisation des mandes ,
71. Pérennes (JJ) , Nature et enjeux de quelques projets récents de messe en valeur , (253/265) ,Dans enzeux sahariens ,1984.
72. Y. Anet, contribution à l'étude des pasteurs nomade , ARBAA raison, D'adication non citée .1962.

- رابعا) الرسائل والمذكرات الجامعية :

73. زندري عبد النبي ، السياحة والتغير الاجتماعي ، دراسة ميدانية لمدينة جانت ،مذكرة لنيل شهادة ليسانس ، جامعة سعد دحلب البليدة.2000/1999.
74. مرموري حسن، التوارق المستقرون ، دراسة انتربولوجية لمدينة جانت ،مذكر لنيل شهادة ليسانس ، جامعة الجزائر .1991/1990.
75. مرموري حسن، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بدية القرن العشرين ، دراسة سوسيو تاريخية ، رسائله لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر .2001/2000.
76. -Badi (D) , Les Touaregs de L'adagh des Ifoughas étude des traditions orales , Mémoire de magistère, Université Mouloud mamerie, Tizi-ouzou,1999/2000.

- خامسا) الدوريات والوثائق و السجلات :

77. سجل المواليد والوفيات للمركز الصحي لبلدية تاظروك .
78. منشورات الديوان الوطني للتاسيلي ، دورية ديسمبر 1993.
79. منشورة الديوان الوطني للإحصاء.1990.

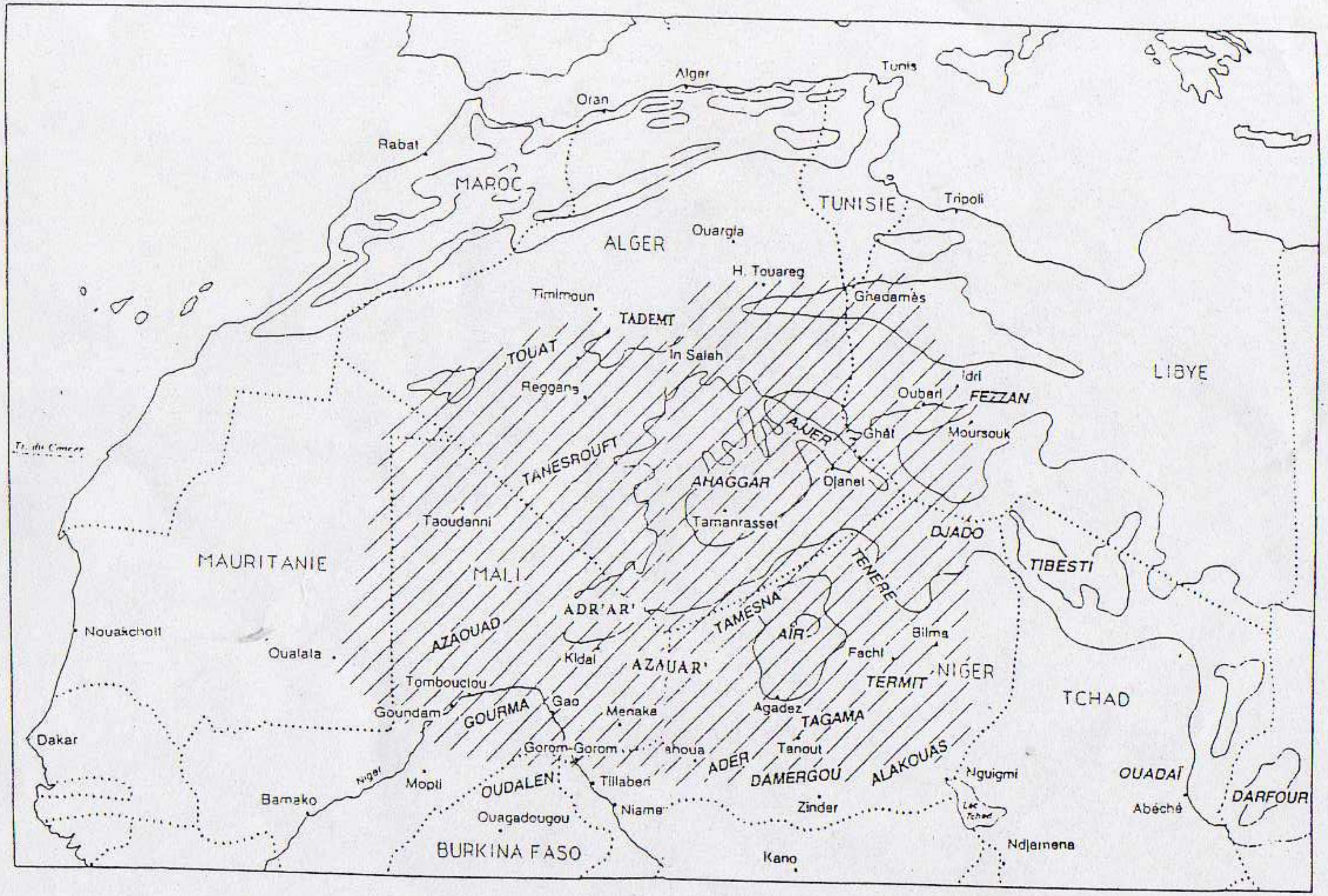
80. Rapport de L.A.P.C. de Tamanrasset ,13Janvier 1972.
81. Rapport de L.A.P.C. de Tamanrasset, 9janvier 1974.
82. Plan Directeur d'Aménagement et d'Urbanisme ; commune : Tazrouk, U.R.B.A.B. Blida. Phase : 01.
83. Plan Directeur d'Aménagement et d'Urbanisme ; Commune : Tazrouk, U.R.B.A.B. Blida. Phase : 02.
84. Plan D'Occupation des Sols N° :02 ; Tazrouk, Edition finale règlement d'urbanisme ; Mars2002. U.R.B.A.B. Blida.

- سادسا)المصادر الشفوية:

رقم المصدر	رمـ ـ ـز المصـ ـ ـدر	الـ ـ ـسن
01	م.ص	35
02	ا.غ	60
03	ت.ل	59
04	أ .ف	70
05	ط.ف	44
06	ق.م	55
07	س.م	40
08	ك.أ	35
09	ك.خ	28
	ك.ف	

10	ز.م	50
11	ز.ز	57
12	م.ش	65
13	د.ح د.أ	74
14	ج.أ	85
15	ج.س	54
16	د.س	64
17	د.م	73
18	د.خ	38

Āøøøøø fÊøøøøøøﻪJI

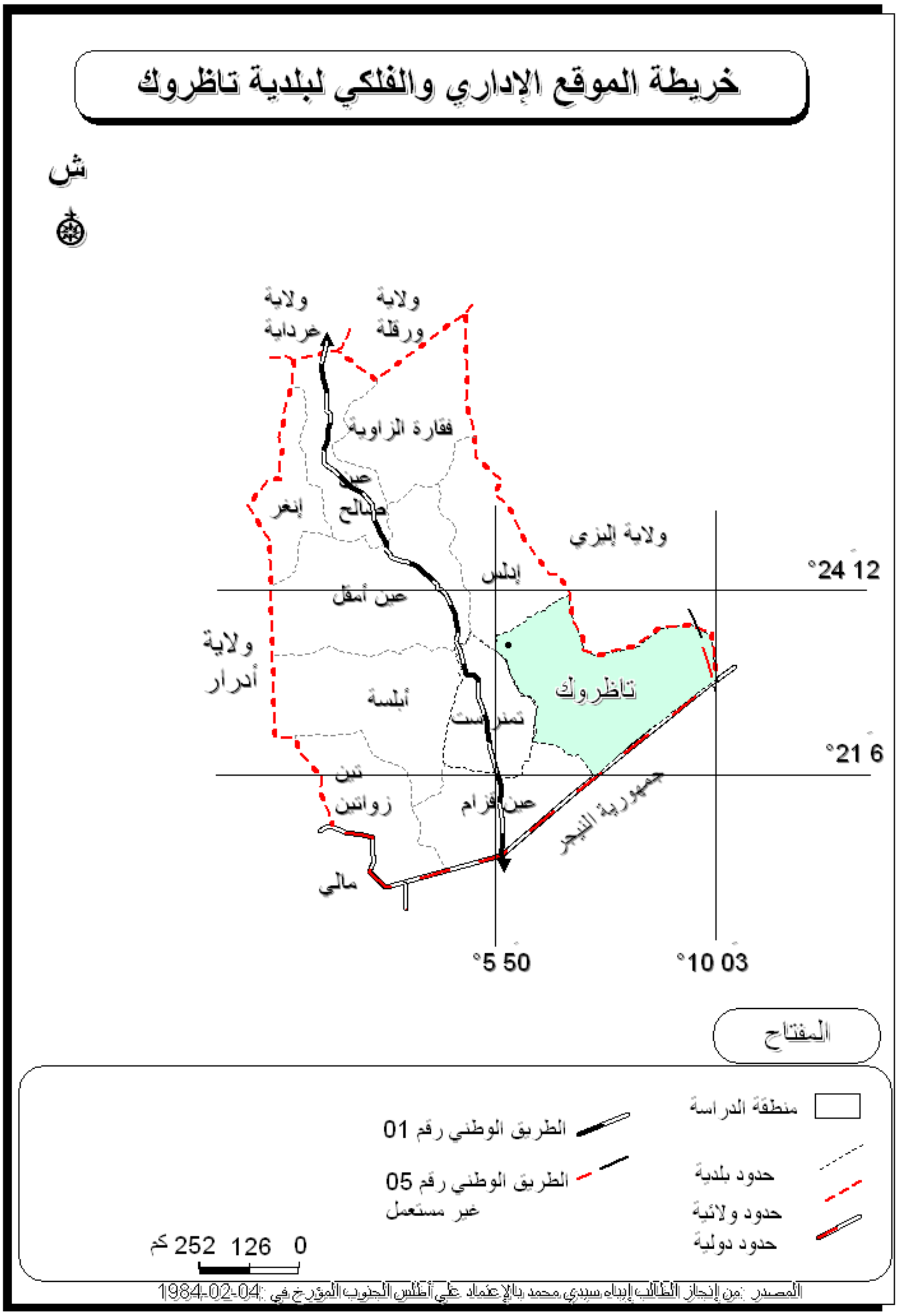


Régions sous influence politique touarègue au déut du siècle (comprenant les zones périphériques de contact et d'échanges avec l'extérìur) et États saharo-sahéliens actuels.

- التوزيع الجغرافي التوارق -

الملحق رقم 01

الملحق رقم : (02)



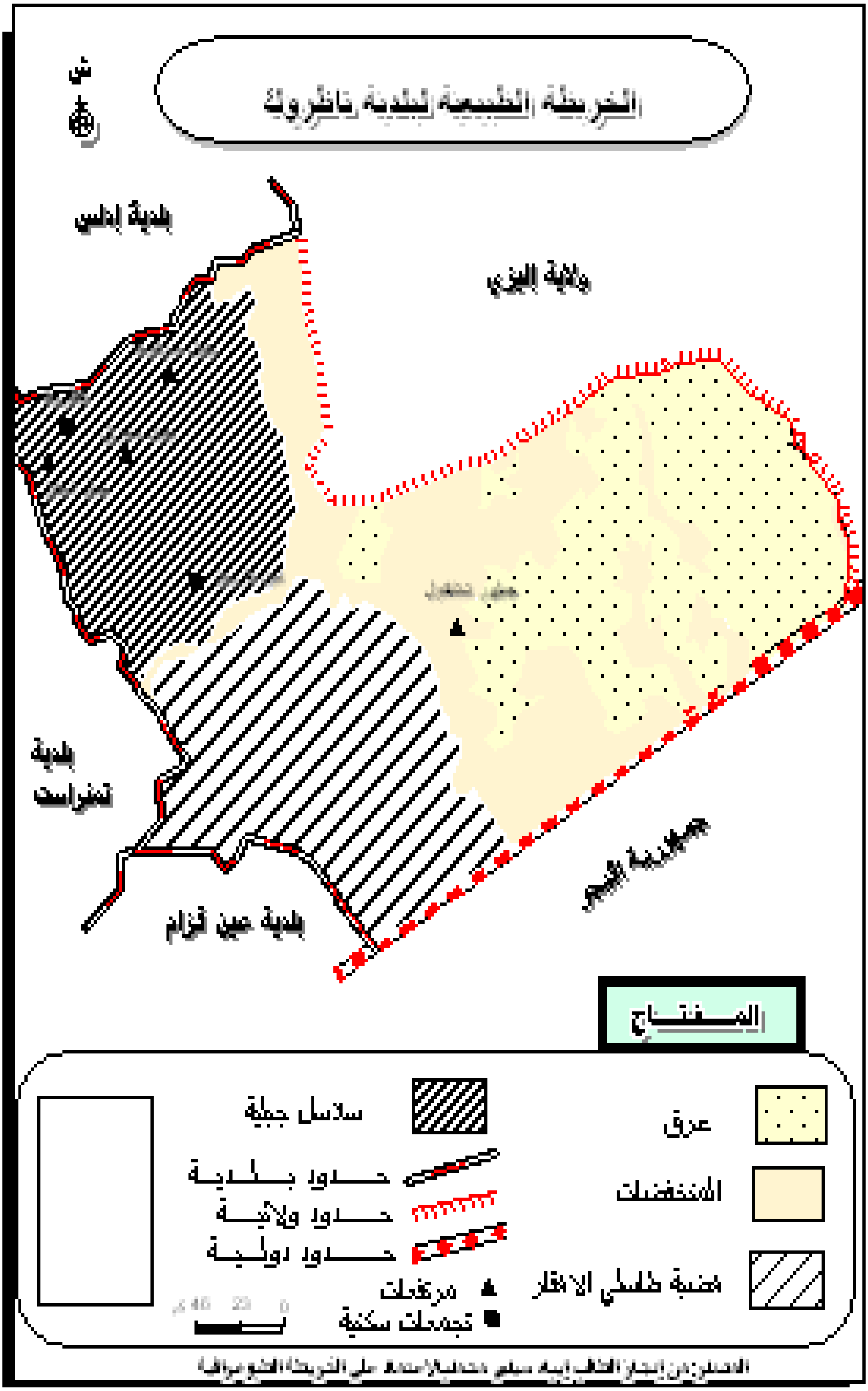
الخريطة الموقع الأداري لبلدية تاظروك



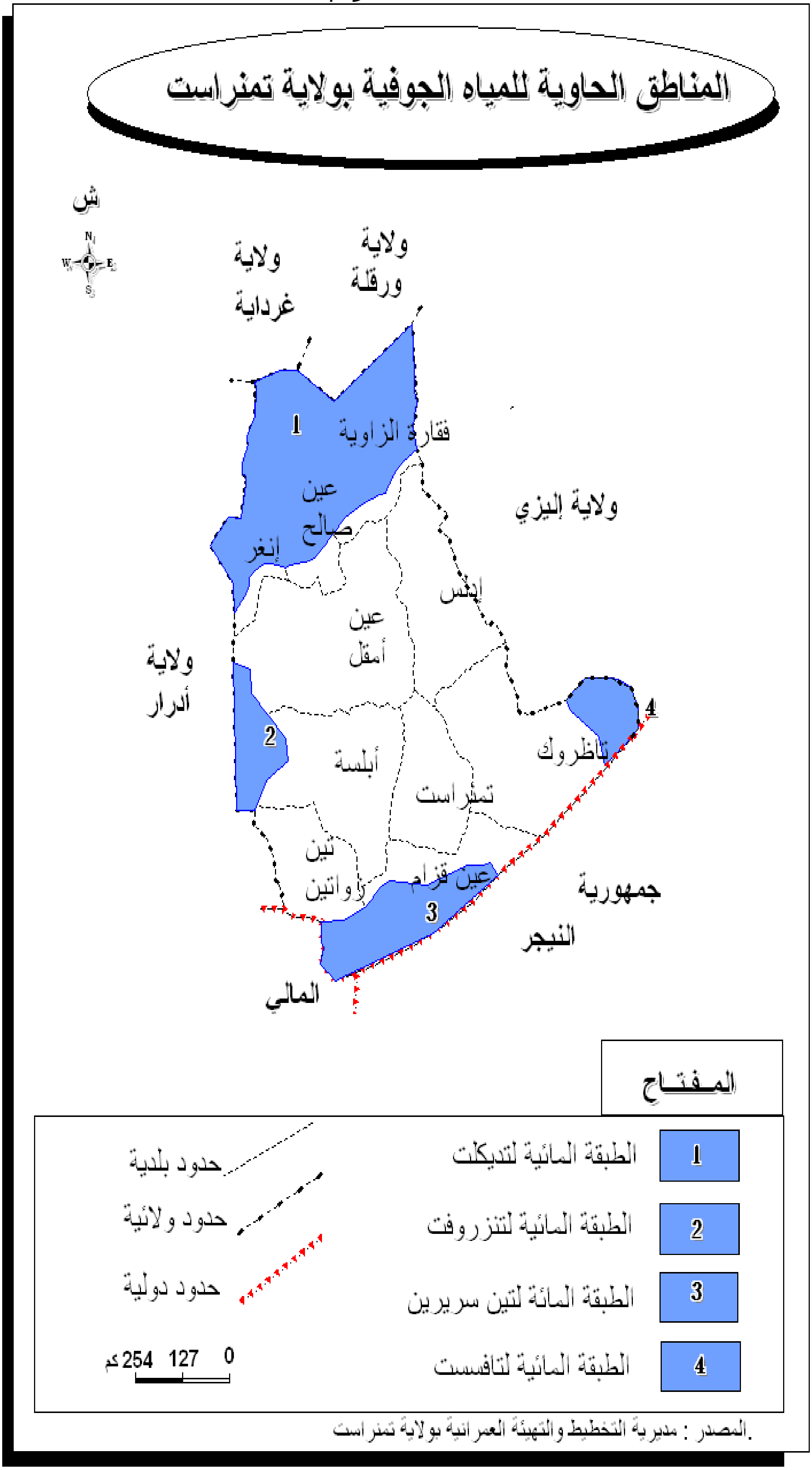
الملحق رقم(03)

المصدر : من إنجاز الطالب إيياه سيدي محمد بالاعتماد على الخريطة الطوبوغرافية

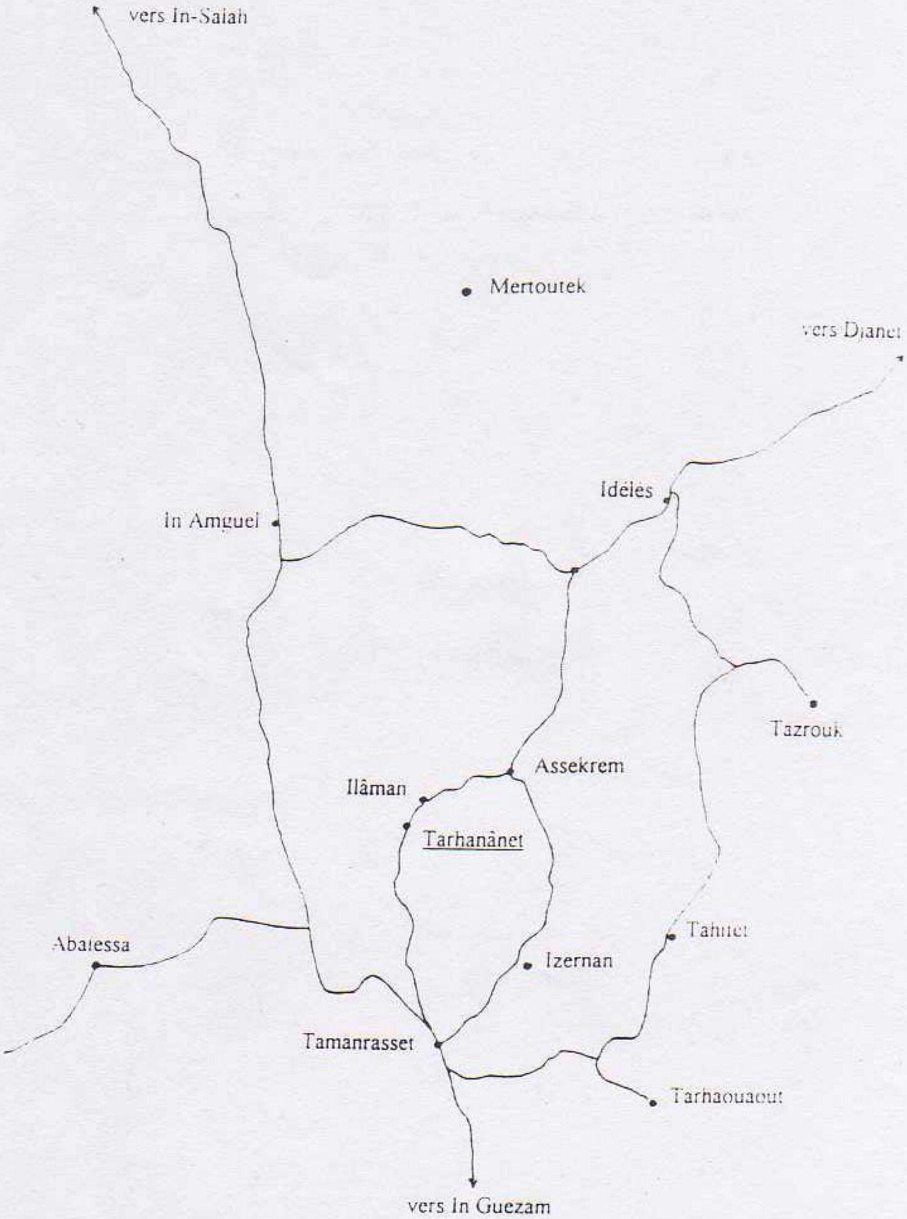
الملحق رقم : (04)



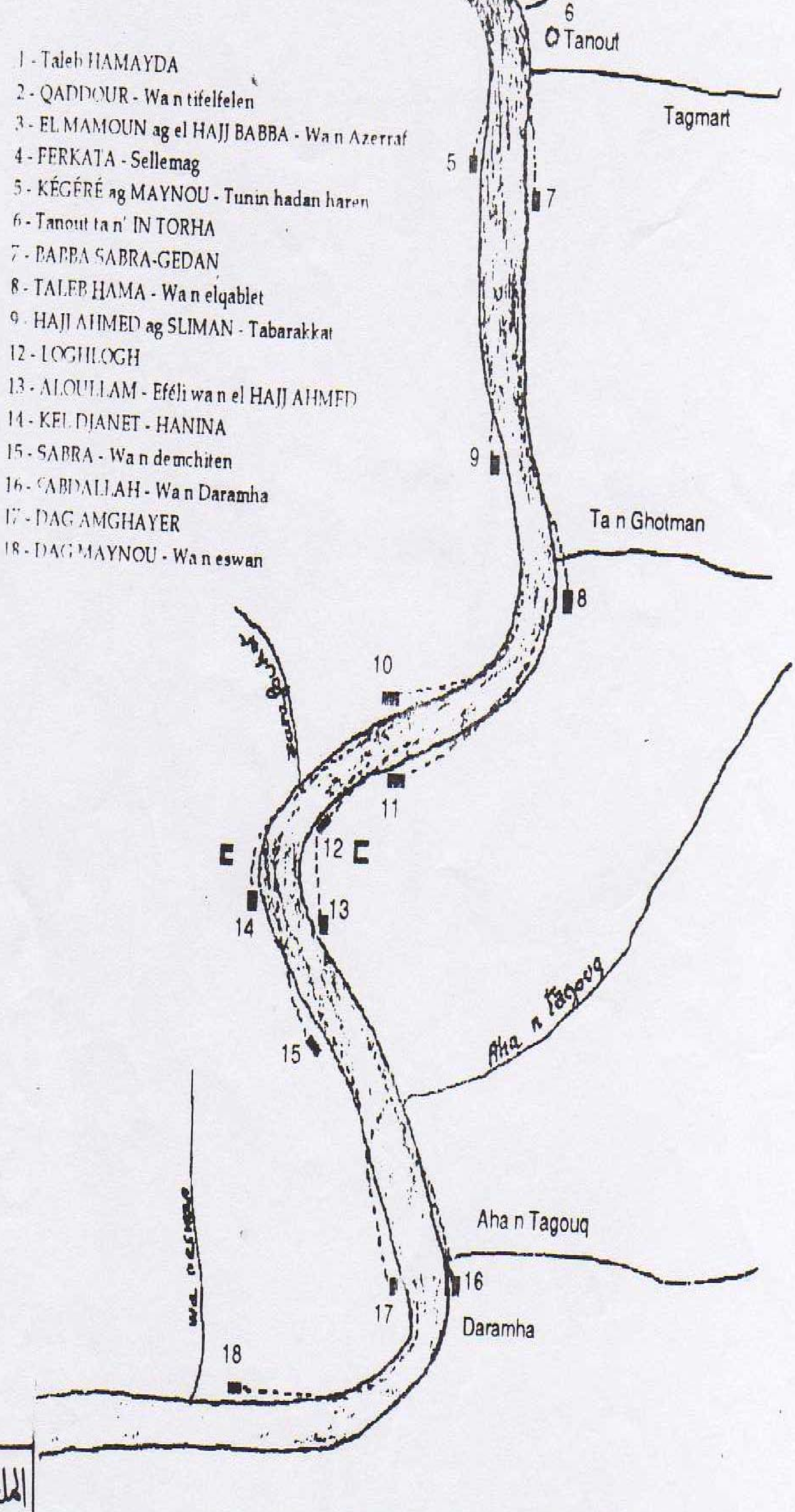
الملحة رقم : 05



المصدر : مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية بولاية تمنراست.



Situation du village de Tarhanânet dans l'ensemble de l'Atakor et de ses abords, massif au relief volcanique tourmenté, au coeur du Hoggar.



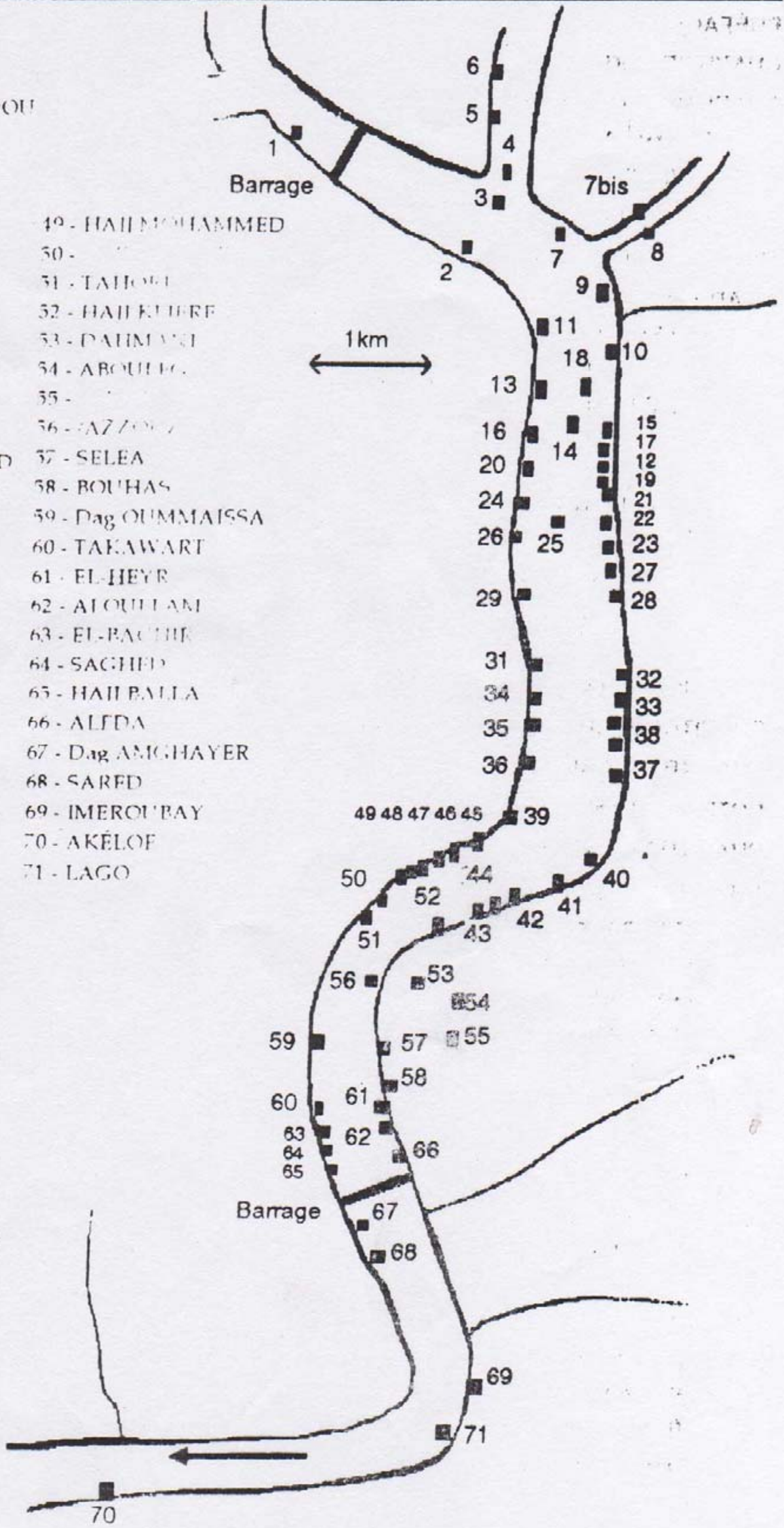
الملحق رقم 04

PUITS DANS L'OUED TAZROUK en 1992

(entre TAHUYAQ et AHA NEZZAN)

1 - HAMMED ag MIDI
2 - MOHAMMED FERKATA
3 - EL-HASSEN ag MAMMEDOU
4 - AJJI et DAG IDDER
5 - AMOUD ag KERZOU
6 - Dag MIDI
7 - MAMMA
7bis - BALLABALLA
8 - DESALI
9 - ÉLOU
10 - GOULLI et AHMED
11 - EL-HOSSEYNI
12 - WA IFEN
13 - HAYS.EN
14 - AMGHAR et MOHAMMED
15 - BALAD
16 - KEIÉRÉ, ÉLOU; AMOUD
17 - HAMMED ag SÉLÉ
18 - SLÉA et BEKROR
19 - HANNED ag IDDER
20 - MAZZAG
21 - HAMAYDOU
22 - EL-YACEN
23 - AKÉLOÉ
24 - ABERGENI
25 - CHATEAU D'EAU
26 - AMMED
27 - Dag HARRAH
et dag LOGHLOGH
28 - ASKYOU
29 - ALELLOU
30 - HAMOUD
31 - MOHAMMED TOHARIOT
32 - MOHAMMED BEKROR
33 - IDDA
34 - HAJJ SIDI MOUSSA
35 - HAJJ ECH-CHIH
36 - " "
37 - ABDOU
38 - BOUBAKER
39 - ABDERRAHMAN AKAWAR
40 - HAJJ SIDI
41 - CHIBANI et SIDIGHELI
42 - HAYMED et HAJJ HADI
43 - HAJJ AHMADOU
44 - SID AHMED ag GHAYA
45 - TAHER ag EL-HAJJ
46 - HAJJ BALLA
47 - SID AHMED
48 - DEALI

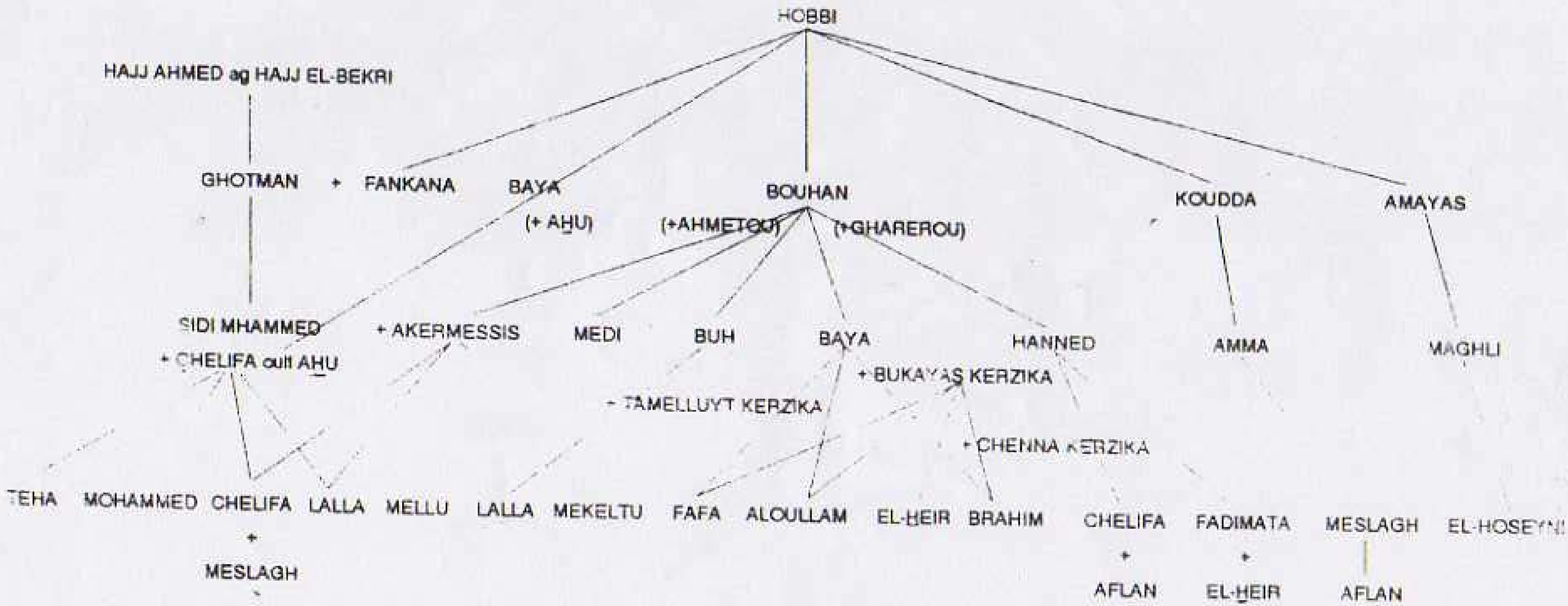
49 - HAJJ MOHAMMED
50 -
51 - TAHO...
52 - HAJJ K...ERF
53 - DAHM...
54 - ABOULEG.
55 -
56 - AZZ...
57 - SELEA
58 - BOUHAS
59 - Dag OUMMAISSA
60 - TAKAWART
61 - EL-HEYR
62 - ALOULLAM
63 - EL-BACHIR
64 - SAGHED
65 - HAJJ BALLA
66 - ALEDA
67 - Dag AMGHAYER
68 - SARED
69 - IMEROUBAY
70 - AKÉLOF
71 - LAGO



الملحق رقم 09

الملحق رقم 10

ANNEXE N° 8: TABLEAU DES FAMILLES D'IHAGGAREN de TAZROUK



Le signe + signifie "marié à"

Le trait indique la filiation

AHMETOU ET GHAREROU étaient toutes les deux des "TIKLATIN" de BOUHAN.

HOBBI avait un frère, HAFI, qui est une arrière, arrière grand-père de MOHAMMED ag LETA.



الطابع الذي سلمته السلطات الفرنسية لموسى اق اماستان مع البرنوس الذي تم الإعتراف به كـ إمنوكال. لقد ظهر في عدد من الرسائل المكتوبة بتيفناغ إلى الضباط الفرنسيين أو إلى الأب فوكولد، لكن هذا الطابع قد فقد من طرف موسى أثناء مواجهة إحدى الغزوات في خريف عام 1914 ليستبدل بآخر.

المصدر: *Lettres au Marabout 1999, p 13*

الملحق رقم 11



إحدى الرسائل من موسى بـ انستوقا إلى الأب فوكولد بتمنراست مؤرخة بـ (8 من شهر أوهيم و ايزارن) الموافق لـ 6 مارس 1914.

المصدر : *Lettres au Marabout, p166*

الملحق رقم 12

حـــروف التيـفيناغ
Les Caractères Tifinar.

« La langue touarègue, en général, sans distinction de dialecte s'appelle, dans le dialecte de l'Ahaggar, tamâhak. Dans le dialecte de l'Adrar on l'appelle Tamâc[...] Tamâhak signifie « la touarègue » ; c'est le féminin singulier du mot Amâhar « Touareg ». Caractères d'écriture touarègue : Tifinar (sing. tăfinek).[1]

Transcription	Tifinar	Nom	Observations
A, E, I, ou O	•	tarerit ؟	ne se place qu'à la fin des mots.
B	ⴲ, Θ, ⵀ	ieb يَبْ	
Ch	6, 9	iech يَشْ	
D	V, Λ	ied يَدْ	
Ḍ	Ǝ	ieḍ يَضْ	ḍ emphatique.
F	ⵊⵊ, I	ief يَفْ	
G	⋈	ieg يَجْ	
Ġ	ï	ieġ يَقْ	très doux x. g : prononciation entre le g, le d, le j et [...]
H	⋮	ieh يَهْ	h aspiré.
I	Ƹ	iei يَيْ	
J	ⵊ	iej يَجْ	
Ḳ	•••	ieḳ يَقْ	correspond au ق arabe.
Kh	∷	iekh يَخْ	
K	•:	iek يَكْ	
L	ll	iel يَلْ	
M	コ	iem يَمْ	
N	I	ien يَنْ	
O, OU	:	ieou يَوْ	
R	O, □	ier يَرْ	
Ṛ	⋮	ieṛ يَغْ	ṛ fortement grasseyé.
S	ʘ, ⊡	ies يَسْ	
T	+	iet يَتْ	
Ṭ	⊞	ieṭ يَطْ	ṭ emphatique.
Z	ж	ież يَزْ	
Ż	#	ieẓ يَظْ	ẓ emphatique.

*بعض المصطلحات بالتارقية ومرادفاتا بالعربية :

التارقية	العربية

الملحق رقم 13

(1) : Musée d'ethnographie et de préhistoire du Bardo. « Collections Ethnographiques » Planches Al[...]

تماهق	التارقية
أماهŋ	تارقي
إموهاغ	توارق
أغرم	مدينة
أكŭل	البلد
تغهامت	مƕال –بيت - عرفة
تيمزاغ	مساكن
إمزغن	الاهل
إهنان	الخيم
إيهن	الخيمة
إمسوكال	المسافرين - الرحالة
أدرييه	الأثر
آلس	الرجل
تمط	إمراة
أرآو	الطفل
أماوض	الشاب
موسنت	العلم
كيل أغرم	المتمدنين
إفرقان	البساتين
أماريس	الثمار
أفلي	الفقارة
تاوسيت	القبيلة
تدوكلت	تجمع

الملحق رقم (14)



(صورة مأخوذة من حفل تقليدي)

(أماهη فوق جمله وبكامل زينته)